سلسلةُ إحياءِ علومِ الدين (٣)

نَصبُ الأوتَاد

في الدِّفاعِ عن الرفاعيةِ والصوفيةِ الأسياد

وهو مناقشةٌ علميةٌ لإبطالِ أدلة الذهبيّ وابنِ تيمية

ومعه

إلجامُ مَن تكلَّم

على تقبيلِ الرفاعيِّ يدَ النبيِّ صلى الله عليه وسلَّم

وهو ردٌّ على شيخِنا الحافظ عبدِ الله بنِ الصدّيقِ الغُماري

ومعه

ردُّ مَن اعتدى على السيّد الصيّاديِّ أبي الهدى

قدّم له

خليفةُ السجّادة الرفاعية عضوُ الهيئة العالمية لتوثيقِ الأنسابِ

الشيخُ محمد رمضان الفرواني الحسيني الحموي

تأليف

الدكتور مجدي غسان معروف

مدير الفرع العربي لجامعة مدينة العلم

كوجرانواله الباكستان

توزيع

مؤسسة الكتب الثقافية

بسم الله الرحمن الرحيم

تشرف بإعداد هذه النسخة الالكترونية الفقير لعفو مولاه الكريم الجليل

أبو الهدى رفيق عقيل غفر الله له ولوالديه وأشياخه والمسلمين

سلسلةُ إحياءِ علوم الدين (٣)

نَصبُ الأوتَاد

في الدِّفاعِ عنِ الرفاعيةِ والصوفيةِ الأسياد

وهو مناقَشةٌ علميةٌ لإبطالِ أدلةِ الذهبيِّ وابنِ تيمية

ومعه

إلجامُ مَن تكلَّم

على تقبيلِ الرفاعيِّ يدَ النبيِّ صلى الله عليه وسلَّم

وهو ردٌّ على شيخنا الحافظ عبدِ الله بنِ الصدِّيقِ الغُماري

ومعه

ردُّ مَن اعتدى على السيّدِ الصيّاديِّ أبي الهدى

قدَّم له

خليفةُ السجّادة الرفاعية عضوُ الهيئة العالمية لتوثيقِ الأنسابِ

الشيخُ محمد رمضان الفروانيّ الحسينيّ الحمَويّ

تأليف

الدكتور مجدي غسان معروف

مدير الفرع العربي لجامعة مدينة العلم

كوجرانواله الباكستان

مؤسسة الكتب الثقافية



ملتزم الطبع والنشر والتوزيع
مؤسسة الكتب الثقافية
للطباعة والنشر والتوزيع
فقط
الطبعة الأولى
1435هـ - 2014م

للاستفسار ومراسلة المؤلف:
Ihyaa.series@gmail.com



مؤسسة الكتب الثقافية
لبنان
بيروت مقابل مدخل الطوارئ لمستشفى المقاصد
هاتف المكتب: 9611+/ 308377
فاكس المكتب: 9611+/ 308376
خلبوي - جوّال: 9613+/ 810561
خليوي جوّال: 9613+/ 822960
أونيسكو - بيروت: 11082010
رقم العلبة البريدية: 5115/ 114
culturalbooks@gmail.com
www.cultural-books.com

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله ربِّ العالمينَ والصلاةُ والسلامُ على محمّدٍ أفضلِ العالَمين.

اللّٰهمَّ ...

بعدَ القَبولِ أَوصِلْ ثوابَ هٰذا العملِ كلّه إلى رُوحِ صَفْوَةِ الْوُجُودِ سَيِّدِي رَسولِ الله الْمَحْمُودِ ثُمَّ إِلَى كُلِّ أَوْلِيَاءِ الله تَعَالَى، وإِلَى مَشَايِخِي، ثُمَّ إِلَى كُلِّ الْمُسْلِمِينَ فوقَ الأَرْضِ وتَحْتَ الأرضِ، ءامين عَسَى أنْ يَنْفَعَهُم في الْقَبْرِ ويَوْمَ الْعَرْضِ، يا مَنْ رَحْمَتُهُ وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ، وأنتَ حَسْبِي مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، وأَخُصُّ مِنْهُم شَيْخِي وسَيِّدِي وَمَولايَ سُلْطَانَ عُلَمَاءِ الزَّمَانِ صاحِبَ الْفَضْلِ بعدَ الله...

قد كنتَ كلَّ الصـالحينَ وأُمَّةً
خضَعَتْ لِعِزَّتِها حكاياتُ الأُمَمْ
يا سيِّدي السلطانُ بَعدَكَ ليسَ لي
إلا الوفاءُ إلى المَماتِ معَ الخدَمْ
يا صفحةً بيضـاءَ خـيرٌ مِلْؤها
مكنُونةً في الطُهْرِ تغْشاها النِّعَمْ
يا كعـبةَ العِـلمِ التي طافَتْ بها
كـلُّ الأدِلّـةِ يا لَذيّاكَ الحَرَم

خادمُ المسلمين الفقيرُ إلى اللهِ الرءوف
مجدي غسان معروف

شيخي الرفاعِيْ صاحبُ البرهانِ
مِن نَسْـلِ طه المصطفَى العدنانِيْ
هذا ابنُ بنتِ محمدٍ خيرِ الوَرَى
قطبُ الوجودِ الغوثُ في الأكوانِ
مُدَّتْ إليهِ يدُ الرسـولِ كرامةً
وبِلَثْـمِها يَـعْلُو عـلى الأقرانِ
ابْـنُ الحسينِ وجدُّه يُدعَى علي
بَـحْرُ الْعُـلومِ وسيّدُ الفرسانِ
مَـن أمُّـه الزهراءُ أحمدُ غوثُنا
يَـشفي اللّديغَ بنا مِن الثعبانِ
مِن أرضِ أمِّ عَبِـيدةٍ أسـرارُه
جـاءَتْ لَـنَا تحمي من النيرانِ

(الشيخ قاسم التَّلْمِنْسي رضي الله عنه)

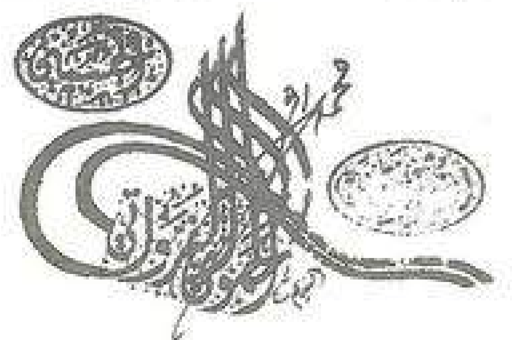
تقديمُ شيخِ السجادةِ الرفاعيةِ والبدويةِ في حلبَ الشهباءِ النسّابةِ عضوِ الهيئةِ العالميةِ لتحقيقِ وتوثيقِ الأنسابِ الشريفِ المعمَّرِ الشيخِ أبي رمضانَ محمد رمضان الفرواتي الحسيني الحموي:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الجليل الكريم والصلاة والسلام على سيدنا محمد صاحب الخلق العظيم وبعد...

فقد اطلعنا على كتاب تلميذنا ومريدنا الدكتور الشيخ مجدي غسان معروف وهو كتاب "نصب الأوتاد في الدفاع عن الرفاعية والصوفية الأسياد" فوجدناه كتاباً جليل القدر فريد المضمون دافع فيه كعادته بالحجة الشرعية من القرآن والحديث وأقوال الأئمة المعتبرين ونصر به الحق وأبطل به شبه الباطل فجزاه الله خيراً ونفع به وبأمثاله من المدافعين عن السنة الطاهرة المنصورة.

وكتبه خادم الفقراء النسابة
محمد رمضان الفرواتي الحموي الحسيني
الرفاعي شيخ السادة الرفاعية البدوية
في حلب الشهباء



بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ

الحمدُ للهِ والصلاةُ والسلام على سيِّدِنا رسولِ اللهِ، وبعد:

فاعلَمْ رحِمَكَ اللهُ تعالى أن التصوُّفَ هو الغايةُ بعدَ تعلُّمِ وتطبيقِ علمِ الشرعِ الواجبِ، وهو مقامُ الإحسانِ والنهايةُ لكلِّ مُرتَقٍ إلى أعلى المنازلِ والمراتبِ، فهو خلاصةُ الآدابِ في هذا الطريق، ولُبُّ اللُّبابِ للنهجِ الحَقيق، وهو خيرُ زادٍ وأصفى رفيق.

وكنت منذُ سنينَ استخرتُ اللهَ في الردِّ على مسئلةٍ فيها تنقيصٌ من السادةِ الصوفيّةِ نفعَ اللهُ بهم ءامين، ثم تزاحمت عليَّ همومُ الدنيا إلى أنْ تمَّمَ اللهُ على خيرٍ وهو هذا الكتابُ المبارَكُ إن شاء اللهُ واسمُهُ:

(نَصْبُ الأوتادِ في الدِّفاعِ عن الرِّفاعيَّةِ والصوفيَّةِ الأسياد)

واعلَم أنّ الداعيَ إلى تأليفِ هذا الكتابِ كلامٌ مزيَّفٌ رأيتُه لعبدِ الفتاحِ أبو غدة – وإني ءاسَفُ لذلكَ – استغلَّه أخذًا من كلامِ بشّار عواد معروف – أحـدِ المعاصـرين – تحليلاً وتفسيرًا كما رءاهُ هو – لكلامِ الذهبي المـردودِ في الطعنِ بالسادةِ الرفاعيةِ رفعَ اللهُ علَمَهم إلى يـومِ الـدين ءامـين، فالرفاعيةُ على سوءِ نيةِ الذهبيِّ أحوالُهم شيطانيةٌ، كذا زعَمَ، والذهبيُّ أخذ كلامَه تقليدًا محضًا من ابنِ تيميةَ وهـو مـن الذين في صدورِهم من الحق نُفور.

وحتى لا يقولَ أحدٌ بأني أفتري على ابن تيميةَ سأذكرُ مثالاً واحدًا هنا يُثبتُ صدقَ دعواي:

في كتابٍ لابنِ تيميةَ يعترضُ فيهِ على عبارةٍ في حزبِ البحرِ للإمامِ الغوثِ الكبيرِ أبي الحسَنِ الشاذلِيِّ قدَّسَ اللهُ سِرَّهُ العظيمَ ونفعَنا ببركاتِه وهي: اللهمَّ أنتَ ربِّي وعلمُكَ حَسْبِي.

اعترض ابنُ تيميةَ على قولِه: (وعِلْمُكَ حَسْبي)، وقال: هـذا مخالفٌ للشرعِ فإنَّ اللهَ أمرَ بالدعاءِ أمْرَ إيجابٍ أو استحبابٍ، ولو أوْكَلَ كلُّ شخصٍ حالَهُ إلى اللهِ لَما دعاهُ أحدٌ.

قُلتُ: كذا قالَ تعصُّبًا، لأنّ الإمامَ الشاذليَّ على خلافِ هَوَاهُ ومَشرَبِهِ، وهو سببُ التأثيرِ في الذهبيِّ، إلاّ أنّك تجدُه يتناقضُ تناقضًا عجيبًا في مجموعِ الفتاوي فيقول:
وهذا على أصحِّ القولَينِ في أنّ التوكُّلَ عليهِ بمنـزلةِ الدعاءِ، على أصحِّ القولَينِ. انتهى

فإنْ كانَ هذا أصحَّ القولَينِ يا ابْنَ تيميةَ فلماذا دفعَكَ حِقدُكَ إلى الاعتراضِ الباطلِ عليهِ وأنَّهُ مخالفٌ للشرعِ وأنتَ تقولُ في كتابٍ ءاخرَ إنه أصحُّ القولين، أتحاربُه لأنّه أخـذ بأصـحِّ القولين، ما هذا من خُلُقِ المسلمين.

وليس كلامي هذا في الدفاعِ عن الأسيادِ من الطائفةِ الرفاعيةِ خصوصًا والصوفيةِ عمومًا لأني صوفي، فليس لمثلي أن يدعيَ الانتسابَ إلى هذه الأُمّةِ الجليلةِ القـدرِ العظيمـةِ الشأن، ولكنْ إظهارًا للحقيقةِ وحبًّا بهم وبسيرتِهم ودفاعًا عن الحقِ حفاظًا على صحةِ التراثِ الإسلاميّ بطريقةِ النقدِ العلميّ فإنّ كثيرًا منَ الناسِ قد ضلّلهم الفرقُ المخالفةُ بتزويرِ الحقائقِ أو بعدمِ تسويغِ السائغِ شرعًا لأنهم يعتبرونَهم خُصومَهم، ولو كان مِمَّن يحبونَ لانبَرَوا للدفاعِ عنه كما هو حال كثيرين على مرّ العصورِ.

تنبيهٌ مهمٌّ: الذهبيُّ حافظٌ كبيرٌ مُطّلِعٌ تخرَّجَ بهِ حفاظٌ كبارٌ ولهُ منَ الخبرةِ الحديثيةِ وممارسةِ علومِ الحديثِ ما شهدَ لهُ بهِ الأمةُ بأسرِها، ومَن كانَ يُخالفُ الذهبيَّ في أمرٍ من الأمورِ فليسَ مِنَ الإنصافِ أن يتجاهلَهُ أو يردَّ كلامَهُ في التصحيحِ والتضعيفِ مطلقًا، ولو كان ذلكَ لَضاعَ الكثيرُ منَ التخريجاتِ والاجتهاداتِ في الحديثِ التي انفردَ فيها الذهبيُّ

عن غيرِهِ وكانَ ذلكَ منهُ في غايةِ الإتقانِ، وسيأتي كلامُ الحافظِ ابنِ السُّبْكِيِّ في حقِّهِ، وما ستراهُ من الكلامِ الشديدِ في حقِّ الذهبيِّ ليس مطلقًا في كل شيءٍ، إنّما هو في مناقشة الأمورِ التي تُذكرُ في مواضعِها في هذا الكتاب، فتنبَّهْ.

الذهبيُّ حافظٌ كبيرٌ، لكنْ كما قال السيوطيُّ في (قمعِ المعارِض) في نقدِ جرحِ الذهبي لكثيرٍ من كبار الأئمةِ وأعلامِ الأمةِ: كتبُه مشحونةٌ بذلكَ كالميزانِ والتاريخِ وسِيَرِ النبلاءِ، أفقابلٌ أنتَ كلامَه في هؤلاءِ، كلاّ واللهِ لا يُقبَلُ كلامُه فيهم، بل نُوصِلُهُم حقَّهم ونُوَفِّيهم.انتهى

وكما قالَ العلاّمةُ اللكنويُّ في كتابه الفاخرِ الرفعِ والتكميلِ في الجرحِ والتعديلِ: (بابٌ في لزومِ التروّي قبلَ قبولِ جرحِهِم للراوي) ثمّ قال:

ومِن ذلكَ جَرحُ الذهبيِّ في ميزانه وسير النبلاءِ وغيرِهما مِن تأليفاتِه في كثيرٍ من الصوفيةِ وأولياءِ الأمةِ فلا تعتبرْ بهِ ما لم تَجِدْ غيرَه من مُتوسِّطِي الأجلّةِ ومُنصِفِي الأئمةِ موافقًا

له.انتهى، وسيأتي مزيدُ تفصيلٍ عن التاجِ السبكيّ متى يُعتبرُ بكلامِهِ ومتى يُرَدُّ وهو كلامٌ جيدٌ.

تنبيهٌ مهمٌّ: الذهبيُّ انحرفَ عن ابنِ تيميةَ ءاخرَ عمره وكتبَ إليهِ يردُّه عن تهوُّرِهِ وشطحاتِهِ وتكبُّرِهِ كما ثبتَ ذلك عنه، ومِن ذلكَ قولُه في ابنِ تيميةَ: وأنا لا أعتقد فيه عصمة بل أنا مخالفٌ له في مسائلَ أصليةٍ وفرعيةٍ.انتهى كما في كتابهِ السيَر ونقله عنه شيخُ الإسلامِ الحافظ ابن حجر في الدرر الكامنة.

كذلكَ ذمَّ الذهبيُّ ابنَ تيميةَ في نصيحتِهِ الذهبيّةِ وهي ثابتةٌ عنهُ فقد نقلها علماءُ أجلاءُ وأكّدَ نسبتَها إليهِ الحافظُ المُتقنُ شمسُ الدينِ السخاويُّ في الإعلانِ بالتوبيخ لِمَن ذمَّ التاريخ.

وكذلكَ ذمَّه في بيانِ زغلِ العلمِ والطلَبِ ونسبَهُ فيها إلى التكبُّرِ والعُجْبِ واسودادِ القلبِ بعدَ دخولِه في علومِ الفلسفةِ.

قلتُ: ودخولُ ابنِ تيميةَ في الفلسفةِ هو الذي أدخلَهُ في أمورٍ أكبرَ مِن عقلِه وخاضَ فيها بغيرِ حقٍّ ولا تسليمٍ للشرعِ فآلت بهِ إلى القولِ بأزليةِ نوعِ العالم.

ذكرُ شيءٍ من عِلمِ السيِّدِ الإمامِ أحمدَ الرفاعي قُدِّسَ سرُّه

قال ابنُ الأثيرِ في الكاملِ في التاريخِ ءاخرَ سنةِ ٥٧٨: توفي أبو العباس أحمد بن علي بن الرفاعي من سُوَّادِ واسِطَ وكان صالحًا ذا قبولٍ عظيمٍ عندَ الناسِ، وله من التلامذة ما لا يحصى.انتهى

قلتُ: ومَن لم يعرفْ واسطَ ورجالاتِ واسطَ فهو معذورٌ، فكيفَ بمَن كانَ مِن ساداتِها وله هذا الجاهُ العظيمُ، فقد مات رضي الله عنه عن مائةٍ وثمانينَ ألفَ خليفةٍ، فكيفَ بالمريدين.

قال مُحَرِّرُ المذهبِ الشافعيّ الإمامُ الرافِعِيُّ الفقيهُ المشهورُ في كتابِ سوادِ العينَين: حدَّثني الشيخُ الإمامُ أبو شجاعٍ الشافعيُّ فيما رواهُ قائلاً:

كانَ السيِّدُ أحمدُ الرفاعيُّ رضي الله عنهُ عَلَمًا شامخًا وجبلاً راسخًا وعالِمًا جليلاً مُحدِّثًا فقيهًا مفسِّرًا ذا رواياتٍ عالياتٍ وإجازاتٍ رفيعاتٍ قارئًا مُجوِّدًا حافظًا مُجيدًا حُجَّةً رُحْلَةً متمكِّنًا في الدينِ. انتهى

قلتُ: والإمامُ أبو شجاعٍ رضي الله عنه بشَّرَه الإمامُ الرفاعيُّ بأنّه سيَعُمُّ علمُه وينفعُ المسلمين، كما في جلاءِ الصدى للأري.

ثمَّ قالَ: أخبرني العالمُ الكبيرُ بقيةُ الصالحينَ أبو زكريا يحيى ابنُ الشيخِ الصالحِ يوسفَ العسقلانيِّ الحنبليِّ قال: كنتُ في أمِّ عَبيدةَ زائرًا عندَ السيّدِ أحمدَ الرفاعيِّ وفي رِواقِهِ وحولَهُ من الزائرينَ أكثرُ من مائةِ ألفِ إنسانٍ، فيهمُ الأمراءُ والعلماءُ والشيوخُ والعامَّةُ وقد احتفلَ بإطعامِهم وإكرامِهم وحُسْنِ البِشْرِ لهم كلٌّ على حالِهِ وكانَ يصعدُ الكرسيَّ بعدَ الظهرِ فيعظُ الناسَ والناسُ حِلقًا حلقًا حولَه فصعِدَ الكرسيَّ ظهرَ خميسٍ وفي مجلسه وُعَّاظُ واسطَ وجمٌّ غفيرٌ من علماءِ العراقِ

وأكابرِ القومِ فبادرَهُ قومٌ بأسئلةٍ من التفسيرِ وءاخرونَ بأسئلةٍ من الحديثِ وجماعةٌ من الفقهِ وجماعةٌ من الخلافِ وجماعةٌ من الأصولِ وجماعةٌ من علومٍ أُخَرَ فأجابَ عن مِائَتَيْ سؤالٍ من علومٍ شتَّى ولم يتغيَّرْ حالُهُ حالَ الجوابِ ولا ظهرَ عليهِ أثرُ الحِدَّةِ، فأخذَتني الغَيرةُ من سائليهِ فقمتُ وقلتُ: أما كفاكم هذا؟ واللهِ لو سألتُموهُ عن كلِّ علمٍ دُوِّنَ لأجابَكم بإذنِ اللهِ بلا تكلُّفٍ، فتبسَّمَ وقالَ: دعهم يا أبا زكريا فليسألوني قبل أن يَفقدوني، فإنّ الدنيا زوالٌ واللهُ مُحَوِّلُ الأحوالِ، فبكى الناسُ وتلاطَمَ المجلسُ بأهلِهِ وعلا الضجيجُ وماتَ في المجلسِ خمسةُ رجالٍ وأسلَمَ من الصابئينَ والنصارى واليهودِ ثمانيةُ ءالافِ رجلٍ أو أكثرُ وتابَ أربعونَ ألفَ رجلٍ. انتهى

وقال أيضًا: قال لي شيخُنا سَنَدُ الْمُحدِّثينَ عبدُ السميعِ الهاشميُّ الواسطيُّ ببغدادَ وقد جرى ذكرُ السيِّدِ أحمدَ ابنِ الرفاعيِّ رضي الله عنه: أيْ عبدَ الكريمِ كانَ السيِّدُ أحمدُ ءايةً من ءاياتِ اللهِ ومعجزةً من مُعجزاتِ رسولِ اللهِ يمشي على

وجهِ الأرضِ ما وقعَتِ الأبصارُ على نظيرِهِ في عصرِهِ، قَلَّ في السلفِ مثيلُهُ ولا يوجدُ في الخَلَفِ عَدِيلُهُ، كانَ طريقَهُ الكتابَ والسُّنَّةَ، كانَ فَعّالاً لا قَوّالاً، شَرِبَها وحَكَمَ عليها، قهرَ حالَهُ وغلبَ طَوْرَهُ، كانَ إمامًا عالِمًا عَدْلاً، لو رأيتَهُ لرأيتَ كلَّ السلفِ.انتهى

قلتُ: وهذه الأسانيدُ كلُّها أئمةٌ أكابرُ ثقاتٌ مُتقِنين، فالأسانيدُ في غايةِ الصحةِ لا يمتري فيها اثنانِ مِن أهلِ العلمِ والفهمِ.

وقال الإمامُ الفقيهُ ابنُ الْمُلَقِّنِ الشافعيُّ في طبقاتِ الأولياءِ عن سيّدي أحمدَ الرفاعيِّ: كانَ أوحدَ وقتِه حالاً وصلاحًا فقيهًا شافعيًا.انتهى

وقال ابنُ تغري بردي في النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة: إمامُ وقتِهِ في الزهدِ والصلاحِ والعِلْمِ والعبادةِ، كان

من الأفرادِ الذين أَجْمَعَ الناسُ على عِلْمِهِ وفَضْلِه وصلاحِهِ.انتهى

فالإمامُ السيّدُ أحمدُ الرفاعيُّ رضي الله عنهُ كانَ سلطان عصرِهِ علمًا وصلاحًا وحالاً وفعلاً ومَقالاً، وهذا قد أجمعَ الناسُ عليهِ، وهذا هو طريقُ أتباعِهِ، التمكُّنُ من علمِ الدينِ أصولاً وفروعًا والسعيُ إلى نشرِهِ.

وليسَ الأمرُ كما يتوهَّمُ البعضُ مِمّن لا خبرةَ لهم أنّ الرفاعيةَ الأسيادَ شأنُهم وشُغلُهم حلقاتُ الذكرِ فحَسْبُ، وقد أساءَ الظنَّ فيهم مَن جرَّهُ وهمُه إلى هذا، فافهم وتنبَّهْ واعرفْ فيمَن تتكلمُ رحمني اللهُ وإياك ءامين.

الرفاعيةُ مشايخُ ابنِ تيميةَ وجماعتِه

- قالَ ابنُ رجبٍ الحنبليُّ تلميذُ ابنِ تيميةَ في ذيلِ طبقاتِ الحنابلةِ: قال الشيخ تقي الدين أبو العباس ابنُ تيمية رحمه الله: حدثني الشيخُ عزُّ الدينِ أحمدُ بنُ إبراهيمَ الفاروثي، أنه سمع الشيخَ شهابَ الدينِ عمرَ بنَ محمدٍ السُّهْرَوَرديَّ صاحبَ العوارفِ قال: كنتُ قد عزمت على أن أقرأ شيئًا من علم الكلام، وأنا متردد: هل أقرأ الإرشاد لإمام الحرمين، أو نهاية الإقدام للشهرستاني، أو كتابًا ءاخر ذكره، فذهبت مع خالي أبي النجيب، وكان يصلي بجنب الشيخ عبد القادر، قال: فالتفت الشيخ عبد القادر، وقال لي: يا عمر، ما هو من زادِ القبر، ما هو من زاد القبر، فرجعت عن ذلك. انتهى، ذكره في ترجمةِ السيِّدِ عبدِ القادرِ قدَّسَ اللهُ سرَّه العظيم.

- وقال الذهبيُّ في سيرِ أعلامِ النبلاء: وسمعتُ الإمامَ أبا العباس أحمد بن عبد الحليم سمعت الشيخ عز الدين الفاروثي، سمعت شيخنا شهاب الدين السهروردي يقول: عزمت على الاشتغال بأصول الدين، فقلت في نفسي: أستشيرُ الشيخَ عبدَ

القادرِ فأتيته، فقال قبل أنْ أنطِقَ: يا عمرُ، ما هو من عُدَّةِ القبرِ، يا عمر ما هو من عدة القبر. انتهى، لكنّ ابنَ رجبٍ حرَّفَ الروايةَ، والذهبيُّ صرَّحَ بسماعِها أما هو فعلَّقَها، وذكرَ كلمةَ علمِ الكلامِ بدلَ أصولِ الدينِ وزادَ مِن كيسه في لفظِها كتُبَ الأشاعرةِ فحسبُنا اللهُ ونعمَ الوكيلُ، ومَن أرادَ التوسُّعَ فلينظرْ في كتابي (إطلاق السهام على مَن ذمَّ علم الكلام)، فستعرف منه المرويَّ عن سيِّدي عبدِ القادر، على أنّي لا أجزِمُ بصحّةِ ما يرويهِ ابنُ تيميةَ، لِمَا رأيتُ منه من شطحاتٍ وتهوُّراتٍ في الحديثِ، فإنْ وردَ من طريقٍ ءاخرَ فبها ونعمَت.

ولا حاجةَ إلى الإطالةِ بذكرِ الاستدلالِ على توثيقِه الفاروثيَّ بهذه الروايةِ.

أما الحافظُ المِزّيُّ فقد سمعَ الحديثَ من العزِّ الفاروثيِّ ففي تهذيبِ الكمالِ في ترجمةِ الحسنِ بنِ خُمَيرٍ الحَرَازِيّ ما نصُّه:

روى له النسائيُّ في اليومِ والليلةِ حديثًا واحدًا، وقد وقع لنا بعلو مِن روايتِه، أخبرنا به أبو الحسن بن البخاري وأبو إسحاق بن الواسطي وأبو العباسِ أحمدُ بنُ إبراهيمَ بنِ عمرَ الفاروثيُّ... .

وفي ترجمةِ أبو العنبس الثقفي قال: روى له البخاريُّ في الأدب حديثًا واحدًا أخبرَنا به أبو العباس أحمد بن إبراهيم بنِ عمرَ الفاروثيُّ... .

أمّا الحافظُ ابنُ ناصرِ الدينِ الدمشقيُّ صاحبُ كتابِ (الردّ الوافر) في الدفاعِ عنِ ابنِ تيميةَ فقال عنه بعدَ قولِ الذهبيِ إنه: (العلاّمةُ عزُّ الدينِ أحمدُ بنُ إبراهيمَ المصطفوي، مشهورٌ). قلتُ: هو الإمامُ الزاهدُ أبو العباسِ أحمدُ بن إبراهيمَ بنِ عمرَ بن الفرجِ بن أحمد بن سابور بن علي بن غُنيمةَ الفاروثي. رَوَينا لُبسَ خرقةِ التصوّفِ مِن طريقِه عن أبيه عن جدِّه عن الشيخِ أحمدَ بنِ عليٍّ الرفاعيِّ.انتهى

أمّا الحافظُ البرْزاليُّ تلميذُ وصديقُ ابنِ تيميةَ، فقد قال ابنُ كثيرٍ في ترجمةِ الإمامِ الفاروثي ما نصُّه: سمع منه البرزالي كثيرًا صحيحَ البخاريّ وجامعَ الترمذيِّ وسننَ ابنِ ماجَهْ، ومسندَ الشافعيِّ، ومسندَ عبدِ بنِ حُمَيدٍ، ومعجمَ الطبرانيِّ الصغيرَ، ومسندَ الدارميِّ وفضائلَ القرءانِ لأبي عُبَيدٍ، وثمانينَ جزءًا وغيرَ ذلك.انتهى

أمّا الذهبيُّ فقال في معجمِ المحدِّثينَ أولَ الكتابِ ما نصُّه: العلاّمةُ عزُّ الدينِ أبو العباسِ المصطَفَويُّ الواسطي الفاروثي الشافعيُّ المقرئُ المفسِّرُ الخطيبُ الواعظُ الصوفيُّ بقيةُ الأعلام.
ثم قال: قد سلمت عليه وسألته عن شيء وصليت خلفه كثيرًا وسمعتُه يخطُبُ على منبرِ دمشقَ غيرَ مرةٍ وكان إمامًا متقنًا متعبِّدًا متواضِعًا حسَنَ البِشْرِ كبيرَ القدرِ.انتهى

وقال في تاريخِه: العمادُ القصّاصُ الفقيرُ الأحمديُّ الرفاعيُّ المزمزم، كان الشيخُ مليحَ الهيئةِ أبيضَ الشيبةِ له حُرمةٌ بينَ

الفقراءِ وصورةٌ وفيه دِينٌ وخيرٌ، حضَرْتُ سماعَه وكان مطربًا فيه روحٌ وحسٌّ، توفي في ربيع الأول وكان من أبناء الثمانين.انتهى

وقال الذهبيُّ في معجمِ الشيوخِ الكبير في ترجمةِ أحمدَ بنِ عثمانَ ما نصُّه:

وسمعتُ أحمدَ بنَ عثمانَ يقولُ: سمعت الأبرقوهيَّ يقول: أحضرَني والدي عند الشيخ فلانٍ الرفاعيِّ فوضع الشيخُ في فمي دينارًا مسح رأسي وظهري ودعا لي، وكان ذلك الدينار إشارةً إلى أني استغنيتُ بهذه، فما أعلم أنني سألت أحدا شيئا لنفسي، وأما مسح ظهري فإنني ما احتجت إلى النساء أبدا، وتزوجت امرأة للسنة و لم أدخل بها، وأما مسح رأسي فإنني متعت بحواسي وسمعي وبصري ولله الحمد.انتهى، وهذا أحمدُ بنُ عثمانَ يقولُ عنه الذهبيُّ:

جالسته فرأيته ذا وقار ورئاسة وفضائل، قد نيّف على الأربعين فحدثني، قال: ذهبنا إلى شهاب الدين الأبرقوهي لنلبس منه الخرقة عن السهروردي، فوجدناه في مرض

شديد، فقمنا وذهبنا، فنفذ من ردنا، وقال: ما تطلبونه تنالونه، إن شاء الله، وأنا فما أموت في مرضي هذا، فأنكر باطني هذا منه فاستدرك، وقال: لأن النبي صلى الله عليه وسلم وعدني أنني أموت بمكة، فلما كان بعد مدة جاء إلى مدرستنا اتفاقا فرحب به الوالد، فقال: لا تتكلفوا، قلنا قد هيأنا طعاما لنا ثم بعث أبي رجلا يشتري طاقيات، فقال: إلى أين يذهب هذا؟ قلنا: يا سيدي يحضر طاقيات لتلبسنا، فقال: اللهم اجعلنا ممن يُلْبِسُ لنبيك صلى الله عليه وسلم ولا تجعلنا ممن (يُلْبِسُ) عليه، فألبسَنا الخرقة وسمعنا منه شيئا، وسار من يومه إلى الحج فحضره أجله بمكة.انتهى

فهذا من مشايخِ الذهبيِّ وفيه سرٌّ عظيمٌ من الرفاعية.

قلتُ: فالجماعةُ تلاميذُ أحدِ أكابرِ مشايخِ الرفاعيةِ، والذهبيُّ حضرَ الحضرَةَ الرفاعيةَ ومدحَها، وهذه الرواياتُ لن تُعجبَ المخالفينَ في هذا الزمانِ، فإنّها ثقيلةٌ جدًا على قلوبهم

وصعبٌ قَبولُها، ولله في خلقِه شُؤونٌ، وسترى في الفصلِ التالي مدحَ ابنِ تيميةَ لهم مدحًا عظيمًا فاصبِرْ.

أمّا شيخُهم الإمامُ عزُّ الدينِ الفاروثيُّ خليفةُ سيّدِنا أحمدَ الرفاعيّ قدّسَ اللهُ سرَّهُ فهو كما قال صاحبُ الرد الوافر، بل أضِفْ إليها قولَ الإمامِ السّرّاجِ المخزوميّ في صحاحِ الأخبارِ ص٨٣ عنه: شيخُنا الشيخُ عزُّ الدينِ أحمدُ الفاروثيُّ أحدُ أشياخِ الطريقةِ الرفاعيةِ وواحدُ علماءِ الشريعةِ الأحمديةِ.انتهى

بل هو شيخُ الإسلامِ مجمَعٌ على إمامتِه في العلومِ، حتى قال الذهبي في تذكرةِ الحفاظِ:

وفيها توفي **الإمامُ الكبيرُ** عزُّ الدينِ أحمدُ بنُ إبراهيمَ بنِ عمرَ المصطفويُّ الفاروثيُّ بِواسِطَ.انتهى، وفي سير أعلامِه يقولُ: قَدِم عزُّ الدين الفاروثي **عالمُ العراق**.انتهى، وفي كتابه المعين في طبقاتِ المحدّثين يقول: **الشيخُ القدوةُ** عزُّ الدينِ أبو العباس أحمد بن إبراهيم بن عمر الفاروثي الواسطي الواعظ المقرئ.انتهى

وقال ابنُ العمادِ في شذراتِه: الإمامُ عزُّ الدينِ أبو العباس أحمد ابن إبراهيم ابن عمر الواسطي الشافعيُّ المقرئُ الصوفيُّ شيخُ العراقِ ولد بواسط في ذي القعدة سنة أربع عشرة وستمائة وقرأ القراءاتِ على أصحابِ ابنِ الباقلانيّ وسمع من عمر بن كرم وطبقتِه وكان **إمامًا عالِمًا متفنّنًا** متضلّعًا من العلوم والآدابِ رحّالا حريصًا على العلمِ ونشرِه.انتهى

وفي معرفةِ القراءِ الكبارِ يقولُ الذهبيُّ ص١٣٨٨ ما نصُّه: **الإمامُ العلاّمةُ القدوةُ** .. الشافعيُّ الصوفيُّ الواعظُ المفسّرُ خطيبُ دمشقَ .. وعُنِيَ بالحديثِ، وكانَ فقيهًا مُفتيًا عارفًا بالقراءاتِ في الجملةِ، بصيرًا بالنحوِ واللغةِ، عالِمًا بالتفسير خطيبًا واعظًا خَيّرًا صالحًا صاحبَ أورادٍ وتَهَجُّدٍ، وفُتوَّةٍ ومروءةٍ وتواضعٍ وكَيْسٍ ومحاسنَ كثيرةٍ، وكانَ له أصحابٌ ومُريدونَ انتفَعوا بصُحبتِه في دينِهم ودنياهم.انتهى

وترجمهُ العينيُّ في عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان ج١ص٢٤٢ قائلاً: عزُّ الدينِ هو الإمامُ العلاَّمةُ الزاهدُ العابدُ القدوةُ العارفُ **شيخُ الطريقةِ أبو العباسِ أحمدُ الفاروثيُّ الواسطيُّ الرفاعيُّ**.انتهى

والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ، فاعرفِ الرفاعيَّةَ مَن هم هُدِيت.

مدحُ ابنِ تيميةَ للرفاعيةِ مدحًا عظيمًا لا يريد الخصمُ رؤيتَه

في تلك المناظرة المزعومة التي هي بخط ابنِ تيميةَ يقول عن الرفاعية:

إنهم وإن كانوا منتسبين إلى الإسلام وطريقة الفقر والسلوك، ويوجدُ في بعضِهم التعبدُ والتألُّهُ والوجدُ والمحبةُ والزهدُ والفقرُ والتواضعُ ولِينُ الجانبِ والملاطفةِ في المخاطبةِ والمعاشرةِ **والكشفِ والتصرُّفِ**، ونحوُ ذلك.انتهى

هذا كلامُ ابنِ تيميةَ بحروفه، وهذا يعني أنه شهدَ وأثبت مرتبةَ الولايةِ والصلاحِ والاستقامةِ على الطريقِ لجماعةٍ من

الرفاعيةِ، بل خصّهم بالكشفِ (الإلهام الربّاني) والتصرُّفِ، وهو الذي يقول ابن تيمية عنه في ذكر محاسن أولياء الله، إن الله يعطيهم القدرة على (التصرف) في الأكوان، وهو يقول كما سيأتي ذكره بحروفه عن خرق العادة للصالحين في مجموعِ الفتاوي عند تعريف التوكُّل:

سببٌ لجلبِ المنافعِ ودفعِ المضارِّ، **فإنه يُفيدُ قوَّةَ العبدِ وتصريفَ الكونِ**.انتهى

وسيأتي كلامه أكثر تفصيلاً عن الأولياءِ وما أعطاهم الله من **(تدبير العالم)**.

وهنا نُوقفُ المخالِفِينَ على تعاميهم عن رؤية هذا المدح العظيم في حق الرفاعية من ابن تيمية، ونَضطرُّهم إلى حقيقةٍ لا بد منها، هي أن ابن تيميةَ **قصدَ فئة معيّنة من الرفاعية، لا الطريقةَ الرفاعية جملةً وتفصيلا**، بدليل شهادته لهم بالصلاح والولاية والمكاشفات والكرامات بقوله: **الكشف والتصرف**. وهذان لا يكونان إلا مع الاستقامةِ

والصلاحِ، فكيف يستقيم هذا عند خصومِنا، هذا مستحيلٌ، مستحيلٌ أن يطعنَ فيهم لأنهم ضالونَ مبتدعةٌ، ويُثبِتَ أنهم مستقيمون شرعا بل صالحون أولياء.

إذن لا بد من تحديد معنى كلام ابن تيمية، (هذه واحدة).

(أما الثانية) فهي الفخ الذي أوقعَ ابنُ تيميةَ نفسَهِ وأتباعَه فيه، فهو يرويها بنفسه ونقلَها أتباعُه عنها، و لم أجد أحدًا ممن رواها كان حاضرًا، فمخرجُها متّحِدٌ – كما هو مقررٌ في أصولِ الحديث – والأصل واحدٌ وإن تعدّدت الرواةُ، وهذا لا يفيدُ قوةً أبدًا، بل كيف يؤخذ بكلامِهِ وهو ثابتٌ عليهِ الكذب والعصبية كما مر في فعلتِه في حق الإمام الشاذلي.

وابنُ تيميةَ خصمٌ فلا يؤخذُ بكلامِهِ وحكمِهِ (كما نصّ عليه ابنُ تيمية) عندما حكم عليهِ القاضي المالكي، وهي هذه القصة التي ذكرها مُحِبّه ومادحُه المقريزي في السلوك

لمعرفة دول الملوك: **فاجتمع القضاة والفقهاء** بقلعة الجبل، **وحضر الأمراء**، فادعى ابنُ عدلان على ابن تيميه، فلم يجبه وقام يخطب، **فصاح عليه القاضي زين الدين بن مخلوف المالكي**: نحن أحضرناك للدعوى عليك، ما أحضرناك خطيبًا وألزمه بالجواب. **فقال له – أي ابن تيمية: أنت عدوي لا يجوز حكمُك عليّ**.انتهى بحروفه، وهذه منقولة بكثرة.

وهنا أوقع ابنُ تيميةَ نفسَه في ما أقرّ به، ويكون بهذا أبطل صحة ما نقله عن مناظرتِه لفئة من الرفاعية، وسبحان مقسّم العقول.

أمّا ما نقله ابنُ كثيرٍ من عبارةٍ محرَّفةٍ وهي:

(نحن أحوالنا إنما تنفقُ عند التتارِ ليست تنفقُ عند الشرعِ)، فضبط الحاضرون عليه تلك الكلمة، وكثر الإنكار عليهم من كل أحد.انتهى

قلتُ: ابنُ كثيرٍ حاقدٌ حقدًا أضرَّ بنزاهتِه، وهذا تحريفٌ منه، وغيرُه نقلَها عنه، وابنُ تيميةَ نفسُه حكاها في مناظرته المزعومة لهم بصيغة المدحِ وبلفظٍ مختلفِ الصيغةِ والمعنى، وهو ما نصه:

فجاءَ الرسولُ وأخبرَ أنهم اجتمعوا بشيوخِهم الكبار الذين يعرفون حقيقةَ الأسرارِ وأشاروا عليهم بموافقةِ ما أُمِروا به من اتباعِ الشريعةِ والخروجِ عما يُنكَرُ عليهم من البدعِ الشنيعةِ.

وقال شيخُهم الذي يسيحُ بأقطارِ الأرضِ كبلادِ التُّركِ ومصرَ وغيرِها: (أحوالُنا تظهرُ عند التتارِ، لا تظهرُ عندَ شرعِ محمدِ بنِ عبدِ الله).

وأنهم نزعوا الأغلالَ من الأعناقِ وأجابوا إلى الوفاق.انتهى كلام ابن تيمية بحروفه.

أمّا سببُها فهو التالي: إسلامُ أحمدِ بنِ هولاكو، وكذا ما نقله الإمامُ سراجُ الدينِ المخزوميُّ في صحاحِ الأخبار ص٨٩: السيّدُ عزُّ الدينِ أحمدُ الصغيرُ ابنُ السيّدِ عبد الرحيمِ الحسينيِّ،

أعقبَ السيّدَ سيفَ الدينِ عثمانَ ولم يُعقِبْ غيرَه، والسيّدُ سيفُ الدينِ عثمانُ هذا، مات أبوه في حياةِ جدّهِ سنةَ ولادتِه وتلك سنةَ أربعٍ وستّمائةٍ وتُوُفّيَ وعمرُه مائةٌ وسبعةُ أعوامٍ وكانَ إمامًا كبيرًا جليلَ القدرِ أخذَ عنه السلطانُ علاءُ الدينِ أبو سعيدٍ ابنُ الجايتق بن أرغون خان بن أياقابن هولاكو خان، وقد أسلم على يديهِ غازان خان وجميعُ عساكره ومتابعيه في نصفِ شوّال عام أربعٍ وتسعينَ وستّمائةٍ، ونزل غازان خان هذا بعد ذلك بدار الملك بتبريز وأمر بتخريب الكنائس وبيوتِ الأصنامِ ببركةِ السيّدِ سيفِ الدينِ الرفاعيّ المشارِ إليهِ رضوانُ الله عليهِ.انتهى

قلتُ: فقد ظهرَ إذَنْ معنى العبارةِ وأنّها صحيحةٌ سليمةُ المحملِ لا كما زعمه ابنُ كثيرٍ، وأنعِمْ وأكرِم بها من مفخرَةٍ عظيمةٍ للسادةِ الرفاعيةِ وهناك غيرُ هذا مما هو ثابتٌ في المراجعِ، أمّا تزويرُ ابنِ كثيرٍ للحقيقةِ فحسابُه يومَ القيامةِ عائدٌ إلى أصحابِ الحرمةِ الذينَ طعنَ فيهم بغيرِ بيّنةٍ، أما النقلُ المحرَّفُ ففيه التالي:

- كذبُ الذين نقلوا أن ابنَ تيميةَ ألزمَهم بنزع الأغلال، لأنه نفسَه يقول إنّ مشايخَ الرفاعيةِ الكبار هم الذين ألزموهم بهذا، فحسبُنا الله على ما ضاع من الأمانة.
- نقلُ ابنِ تيميةَ عن شيخِهم الكبير أنّ هذه الأحوالَ تظهرُ عند التتار إذ الحاجةُ تدعو إليها كما فعلوا لإسلامِ أحمد بنِ هولاكو، ولا حاجة إلى إظهارها عند المسلمين بدون حاجةٍ شرعية. فهذه عبارةٌ مستقيمةٌ مخالفةٌ لتهويلِ ابنِ كثيرٍ، ~~وابنُ كثيرٍ متصوِّفٌ على الطريقةِ الشاذليةِ لكن أفسدَهُ ابنُ تيميةَ واللهُ المستعانُ.~~
- ابنُ كثيرٍ وغيرُه نقَلَةٌ لا علمَ لهم بما جرى ولا بحقيقتِه بصدقٍ بدليلِ قولِ ابنِ تيميةَ في أولِ الكتابِ عن سبب تأليفِه: لِتَشوُّفِ الهِمم إلى معرفةِ ذلك وحرصِ الناس على الاطِّلاعِ عليه، فإنّ مَن كان غائبا عن ذلك قد يسمعُ بعضَ أطرافِ الواقعةِ، ومَن شهِدَها فقد رأى وسمعَ ما رأى وسمعَ، ومِنَ الحاضرينَ مَن سمعَ ورأى ما

لم يَسمعْه غيرُه ويَرَه، لانتشارِ هذه الواقعةِ العظيمةِ... إلى ءاخره

فلا حول ولا قوةَ إلا باللهِ، وما هكذا تكونُ الأمانةُ في النقلِ ولا يليقُ بحافظٍ كبيرٍ له قدرُه ومرتبتُه، ولكنّهُ كما قال صلى الله عليه وسلم: (حُبُّكَ الشيءَ يُعمِي ويُصمُّ) رواهُ أبو داودَ وحسَّنَه العراقي في تخريجِ الإحياء.

وكانَ من بابِ العدلِ أن يقولَ ابنُ كثيرٍ (يُقال) حتى يكونَ منصفًا ويبرأ من تهمةِ عصبيةِ الجاهليةِ، فإنه قال عن الإمامِ الرفاعيِّ رضي الله عنه: (يقال) إنّه حفظَ التنبيه وهو يعلمُ أنّه فوقَ هذا.

فإذا عرفتَ هذا، فاعلمْ وفّقَني اللهُ وإيّاكَ أنّه ثابتٌ بالدليلِ أنّ **مشكلةَ تفرُّقِ المنتسبينَ إلى الإسلامِ يعودُ أغلبُها إلى ابنِ تيمية**، ومَن عرفَ هذا الرجلَ عرفَ أيضًا كم هو متناقضٌ عمدًا لا سهوًا.

تنبيهٌ: ابنُ تيميةَ لم يكُنْ جاهلاً كما يظنُّ بعضُ الناسِ، بل كانَ متبحِّرًا جدًّا في العلومِ، ومَن وصفَه بالجهلِ فقد أساءَ وخالَفَ الواقعَ، إنّما المشكلةُ هي شطحاتُه المُهلِكةُ، وإنّه في كثيرٍ مِن الأحيانِ يتناقضُ فتقفُ محتارًا، وأنا عندما أطالِعُ له في المسئلةِ الواحدةِ أجدُه يُجيدُ فيها ثم بعدَها بسطورٍ أو بفصلٍ أو في كتابٍ ءاخرَ ينقُضُ ما قالَه، وهذا مِن أعجبِ الأمورِ، وسأنبِّهُ في هذا الكتابِ على جملةٍ مِن تناقضاتِه مع إقامةِ الدليلِ عليها مِن كلامِه وتناقضِه، وهو مِن أعجبِ الناسِ في تناقضاتِه، وذلك الذي دعا السيّدَ أبا الهدى الصيّاديَّ رضي الله عنه في قلادةِ الجواهرِ إلى التحيُّرِ في أمرِه في الصحيفةِ ٢٠٤ تقريبًا، وكذا نبَّه عليهِ وصرَّحَ به العلاّمةُ سلامة العزّامي القضاعي في فرقان القرءان وقال فيه إنّ ابنَ تيميةَ ألَّفَ في الردِّ على جهمٍ في مسئلةِ فناءِ النارِ ثم اعتقدها، فلا حول ولا قوة إلا بالله.

ومِمّا اغترَّ بهِ الذهبيُّ من كلامِ ابنِ تيميةَ طعنُه بأهل الطريقةِ الرفاعيةِ العليَّةِ التي هي طريقةٌ في الذكرِ والسلوكِ مُستَقاةٌ مِن سيّدِ أولياءِ عصرِه وهو شيخُ الإسلامِ حفيدُ النبيّ عليه الصلاةُ والسلامُ، مُجْلي الظلامِ وموقظُ النّيامِ مولانا وسيّدُنا أحمدُ الرفاعيُّ الكبيرُ قدّسَ اللهُ سرَّه العظيمَ الجليل.

وهذا ما فعله الذهبيُّ فقال في كتابِه (العِبَر في خبرِ مَن غَبَر) عن سيّدِنا أحمدَ الرفاعيِّ الكبيرِ قدَّسَ اللهُ سِرَّه:

ولكنَّ أصحابَه فيهم الجيدُ والرَدِيءُ، وقد كَثُرَ الزَغَلُ فيهم، وتجدَّدَت لهم أحوالٌ شيطانيةٌ منذ أخذتِ التتارُ العراقَ من دخولِ النيرانِ وركوبِ السباعِ واللَعِبِ بالحيّاتِ، وهذا لا عرفَه الشيخُ ولا صلحاءُ أصحابِه، فنعوذُ باللهِ من الشيطان. انتهى

وقلَّدَه قليلُ النظرِ أو مُحِبُّ الطعنِ بغيرِ دليل، والكلُّ سيُحاسَبُ يومَ القيامةِ واللهُ المستعانُ ربُّ العِباد، وهذا أوانُ الشروعِ في الرد فأقولُ طالبًا من اللهِ التوفيقَ والسَداد:

اعلمْ رعاكَ اللهُ أنّ الذهبيَّ لا يعرفُ حقيقةَ الرفاعيةِ لا مِن قريبٍ ولا من بعيدٍ، وقد وقعَ في حُرمةِ أسيادٍ أكابرَ بدونِ حجةٍ شرعيةٍ، بل إنَّ كلامَه يَئولُ بهِ إلى طعنٍ في المعجزاتِ، وهو لا يعرفُ الرفاعيةَ وغايةُ علمِهِ فيهم كتابٌ رءاهُ ولم يسمعْه من صاحبِه إنما قال بعدما ترجم السيّدَ أحمدَ الرفاعيَّ رضي الله عنه في تاريخ الإسلام ما نصُّه:

نقلتُ أكثرَ ما هنا عن يعقوبَ مِن كتابِ مناقبِ ابنِ الرفاعيِّ رضي الله عنه جمعِ الشيخِ محيي الدين أحمدَ بنِ سليمانَ الهمّامي الحسيني الرفاعي، شيخِ الرِواقِ المعمورِ بالهلالية بظاهر القاهرة، سمِعَه منه الشيخُ أبو عبدِ الله محمدُ بنُ أبي بكرِ بنِ الشيخِ أبي طالبٍ الأنصاريُّ الرفاعيُّ الدمشقيُّ. وقد كتبه عنه مناولةً وإجازةً المولى شمسُ الدينِ أبو عبدِ الله محمدُ بنُ إبراهيمَ الجزريُّ، وأودعه تاريخَه في سنة خمسٍ وسبعمائةٍ، فأوّله قال: ذكر ولادته، وهو نحوٌ مِن أربعةِ كراريسَ. وهو ثمانيةُ فصولٍ في مقاماتِه وكراماتِه وغيرِ ذلك. وهي بلا إسنادٍ

وقع الاختيارُ منها على هذا القدرِ الذي هنا.انتهى كلامُ الذهبيّ.

وهذا كشفَ الذهبيُّ نفسَه فلا معرفةَ له بالرفاعيةِ لا مِن قريبٍ ولا من بعيدٍ وما هكذا تكونُ الأمانةُ بالكلامِ عنهم كأنّه فريدُ الأوّلين والآخِرينَ في معرفتِهم، وهذا هو التعصُّب الأعمى المذمومُ.

والحقُّ الذي ستراهُ بعينَيكَ أن الذهبيَّ رجلٌ تائهٌ جدًا في هذه المسئلةِ لا يفقهُ ما يقولُه فاتّهم الأكابرَ بالشيطَنةِ وغفلَ عن كونِ شيطانه شبَّه له الحقَّ بالباطلِ ولبَّسَ عليهِ واستحوَذَ على عقلِه بحجَّةِ التمسُّكِ بالشرعِ فكانَ نتيجةُ كلامِه الطعنَ بالنبوّةِ من حيثُ يدري أو لا يدري، وهذا كلامٌ مُهلِكٌ مُوبقٌ، وسيأتي تفصيلُه إن شاء الله تعالى.

ابنُ تيميةَ وحدَّثني قلبي بالكرامةِ

في مناظرتِه المزعومةِ ص١٥ أتى بشيءٍ عجيبٍ، والمشكلةُ أنّه عجيبٌ في تناقضاتِه، فقد أنكرَ على الرفاعيةِ وأنكرَ وشدّدَ ثم قال:

فاستخرتُ اللهَ تعالى تلكَ الليلةَ واستعنتُه واستنصرتُه واستهديتُه وسلكتُ سبيلَ عبادِ اللهِ في مثلِ هذه المسالكِ حتى **أُلقِيَ في قلبي أنْ أدخلَ النارَ عندَ الحاجةِ إلى ذلك وأنّها تكونُ بردًا وسلامًا** على مَن اتّبعَ ملّةَ إبراهيمَ الخليلِ، وأنّها تُحرقُ أشباهَ الصابئةِ أهلَ الخروجِ عن هذه السبيلِ.انتهى

قلتُ: ما شاءَ اللهُ تباركَ اللهُ، ومنذُ متى كانَ حديثُ النفسِ أو (أُلقِيَ في قلبي) حجّةً شرعيةً يُعمَلُ بها، وكيفَ جزَمَ بأنّه خاطرٌ رحمانيٌّ لا شيطانيٌّ، هذه فظاعةٌ كبرى، فإنّها تشريعٌ زائدٌ على الكتابِ والسنّةِ وأقوالِ الأئمةِ المعتبرين، وأنا لا أتكلمُ عن كشفِ الأولياءِ.

وفي كلامِه شطَحاتٌ، وتهوينٌ لأمرِ معجزةِ نبيِّ اللهِ إبراهيمَ عليه الصلاةُ والسلامُ، فقد جعَلَ النارَ لا تُحرقُ المسلمينَ، إنّما تُحرقُ أشباهَ الصابئةِ، وذكرَ منهم النُّصَيريةَ والإسماعيليّةَ إلى ءاخرِ كلامِه.

بل النارُ تُحرقُ عادةً المسلمينَ وغيرَهم إلاَّ مَن سلَّمَه اللهُ منها مِن بابِ خرقِ العادةِ وقد حصلَ لقِلّةٍ من المسلمينَ، ليس كما يقولُ ابنُ تيميةَ.

ولأيِّ شيءٍ جعَلَها اللهُ معجزةً لنبيِّه إبراهيمَ عليه الصلاةُ والسلامُ، وينصُّ ابنُ تيميةَ أنّه أُلقِيَ في قلبه أنّها تكونُ بردًا وسلامًا عليهِ كما كانت على مَن نزلَ فيهِ قرءانٌ يُعجزُ المشركين.

ثم قال في ص١٩ ما نصُّه:

فاستعظَمَ الأميرُ هجومي على النارِ وقال: أتفعلُ ذلك، فقلتُ له: نعم قد استخرتُ اللهَ في ذلكَ، **وأُلقِيَ في قلبي أنْ أفعلَهُ**،

ونحنُ لا نرى هذا وأمثالَه ابتداءً، **فإنّ خوارقَ العاداتِ إنّما تكونُ لأمةِ محمدٍ صلى الله عليه وسلم المتَّبعينَ له باطنًا وظاهرًا لحجَّةٍ أو حاجةٍ.... إلى ءاخرِ كلامِه**

قلتُ: ما شاء الله، انظروا إلى قولِه (نحن)، نحنُ مَن يا ابنَ تيميةَ، وكأنّه طلبَ مِن جماعةٍ غيرِه أنْ يفعلوا مثلَ ما فعلَ، ويُلقى في قلوبِهم أنّ يدخلوا النارَ وتكونَ بردًا وسلامًا عليهم كما كانت على إبراهيمَ.

والرجلُ بهذا يشهدُ لنفسه بالولايةِ وأنّ خوارقَ العاداتِ قد أُلقيَ في قلبه أنّها تقعُ له، شهدَ لنفسه باتّباعِ الشرعِ باطنًا وظاهرًا وهذا سببُ خرقِ العاداتِ له أيْ لأجلِ ولايتِه، أفلا يرى أتباعُه أنّه يُزكّي نفسَه بالإلهامِ الربّانيّ والولايةِ، أوقاحةٌ أعظمُ من هذه.

وجوابي على تزكيتِه نفسَه وشهادتِه لنفسه بالصلاحِ و(**أُلقيَ في قلبي**) هو قولُه تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ﴾.

سؤالٌ مُحرجٌ لابنِ تيميةَ وأتباعِه:

إنْ كانَ ابنُ تيميةَ صادقًا حقًّا في إبطالِ ما يسمّيهِ حِيَلًا، وقد أُلقِيَ في قلبِهِ أنْ يدخلَ النارَ وأنّها تكونُ بردًا وسلامًا عليه، فلماذا لم يدخلِ النارَ فيقطعَ ألسنةَ الرفاعيةِ ببطولاتِه، ويكسرَهم أمامَ الملإِ العظيمِ.

أليسَ كما يقولُ مأمورًا بالدفاعِ عن الدينِ فقد كان عليهِ أن يدخلَها حتى ينصرَ دينَ الله كما يقولُ، فإنَّ الرفاعيةَ بزعمه ووهمِه قد أضروا بالدينِ ضررًا عظيمًا ، فأينَ هو مِن نُصرةِ الدينِ، ولماذا قصَّرَ في الدفاعِ عنه.

هذا يقالُ له كما قيلَ قديمًا: (**أسمعُ جعجعةً ولا أرى طحنًا**) أيُرضيكُم أنَّ ابنَ تيميةَ تركَ نُصرةَ الدينِ بعدَما استنصرَ واستهدى واستعانَ باللهِ وأُلقِيَ في قلبه أنّها لا تضرُّه، ما هكذا تُوردُ الإبلُ أبدًا أبدًا.

تناقضُ ابنِ تيميةَ تناقضًا أشدَّ

قد شهدَ على نفسه أنّه أطاعَ نفسَه الأمّارةَ بالسوءِ وأنَّ ما أُلقِيَ في قلبِه كانَ مِنَ الشيطانِ، لأنّه قالَ للأميرِ وقتَها كما في ص١٧: قلتُ للأميرِ: نحنُ لا نستحلُّ أنْ نأمرَ أحدًا بأنْ يدخلَ نارًا ولا تجوزُ طاعةُ مَن يأمرُ بدخولِ النارِ، وفي ذلك الحديثُ الصحيحُ.انتهى بحروفِه

قلتُ: عاد وقال نحنُ، قبلناها على سبيلِ التنزُّل.

لكنّه قال: (لا نستحلُّ أنْ نأمرَ أحدًا بأنْ يدخلَ نارًا).

قلتُ: فكيفَ تستحلُّ أنْ تأمرَكَ نفسُك وتطيعَها فيما لا يحلُّ كأنّك فوق الشرعِ وأحكامِه.

وقال: (ولا تجوزُ طاعةُ مَن يأمرُ بدخولِ النارِ)

قلتُ: فكيف جازَ لك، أيجوزُ لك وحدَك أم نسيتَ ما قلته قبلَها بسطورٍ، أم هو التلاعبُ بالدين فحسبُ.

وقال: (وفي ذلك الحديثُ الصحيحُ)

قلتُ: وهذا الحديثُ نازلٌ في الرفاعيةِ وحدَهم، أم أنّك ينطَبِقُ عليكَ الأحاديثُ المتواترةُ فقط.

سؤالٌ أشدُّ إحراجًا لابنِ تيميةَ وأتباعِه:

بأيِّ حقٍّ وفي أيِّ شريعةٍ تركَ ابنُ تيميةَ الحديثَ الصحيحَ وعمِلَ بقاعدةِ (أُلْقِيَ في قلبي)، ألا ترونَ أنَّ الآيةَ تنطبقُ عليهِ ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾، هذه لا مفرَّ مِنها، هو قال بأنّه لا يجوزُ، ثم تركَ حكمَ الشرعِ وأخذ بحكم (أُلقِيَ في قلبي).

الخلاصةُ القاضيةُ: الجوابُ على ابنِ تيميةَ هو عندَ ابنِ تيميةَ، فقد قال في مختصر الفتاوِي المصريةِ في فصلِ السماعِ الذي أمرَ بِهِ الله ما نصُّه:

وإذا وجد منفعةً بقلبِه ولم يجد شاهدَ ذلك مِن الكتابِ والسنةِ لم يلتفت إليه، كما أن الفقيهَ إذا أراد قياسًا لا يشهدُ له الكتابُ والسنةُ لم يلتفت إليه ويكونُ باطلاً، وقال أبو سليمانَ الداراني: إنه لَيَمُرُّ بقلبي النكتةُ مِن نُكَتِ القومِ فلا أقبَلُها إلا بشاهِدَيْ عدلِ الكتابِ والسنةِ، وقال أيضًا: ليس

لِمَن أُلْهِمَ شيئًا مِن الخيرِ أنْ يقبلَه حتى يجدَ فيهِ أثرًا فإذا وجد فيه أثرا كان نورا.انتهى بحروفِه كلامُ ابنِ تيمية

قلتُ: قد فضحَه اللهُ فشهد على نفسه بأنّه خالفَ الأثرَ الذي قال عنه: (ولا تجوزُ طاعةُ مَن يأمرُ بدخولِ النارِ، وفي ذلك الحديثُ الصحيحُ)، فمَن هو الذي خالفَ الشرعَ معشرَ العقلاءِ، وسيأتي مزيدٌ مِن فضائحِه.

وقبلَها بصفحةٍ يقول كاذبًا: قلتُ للأمير: أنا ما امتحنتُ هؤلاءِ، لكنْ هم يزعمونَ أنَّ لهم أحوالاً يدخلون بها النار، وأن أهلَ الشريعةِ لا يقدرون على ذلك ويقولون لنا: هذه الأحوالُ التي يعجزُ عنها أهلُ الشرعِ، ليس لهم أن يعترضوا علينا، بل يُسَلَّمُ إلينا ما نحنُ عليه سواءٌ وافقَ الشرعَ أو خالَفَه.انتهى

قلتُ: هذا كذبٌ على الرفاعيةِ إلاَّ أنْ يقصِدَ قومًا ءاخرينَ، وأمّا أنَّ الرفاعيةَ يُنكرونَ قدرةَ أهلِ الشريعةِ على دخولِ النارِ فكذبٌ وبهتانٌ عظيمٌ.

واعلَمْ أنَّ مَن قالَ بما نقلَه ابنُ تيميةَ عن قولِ القائلِ إنّه يُسلَّمُ له الحالُ سواءٌ وافقَ الشرعَ أم لا، وأنَّ هذا حكمُ الشرعِ فيه فهو كافرٌ ملعونٌ، والواجبُ على كلِّ أحدٍ أنْ يتَّبعَ الشرعَ، ومَن شذَّ شذَّ إلى النارِ.

وهذه العبارةُ مِن كذبِ ابنِ تيميةَ، ولا أظنُّ أحدًا يجرؤ على أنْ يقولَ أصلاً: سلِّموا لي سواءٌ وافقتُ الشرعَ أم لا، هذا من زخرفاتِه هو، ولا ندعو اللهَ إلا أنْ يُعامِلَه بما يستحقُّه.

وعَوْدًا على ذي بَدِيءٍ، فما قاله الذهبيُّ: (ولكنَّ أصحابَه فيهم الجيِّدُ والرَدِيءُ)

قلتُ: هذا افتراءٌ واضحٌ بغيرِ بيِّنةٍ، فهلاَّ كان ذكر واحدًا مِمَّن يَزعُمُ أنهُ رديءٌ من أصحابِ السيِّدِ أحمدَ، فلماذا يكذبُ الذهبي، والتحدّي ما زالَ قائمًا بيني وبينَ مَن يقلِّدُونَه تقليدًا دونَ تحقيقٍ أن يذكروا واحدًا مِمَّن هو من (أصحاب

السيِّدِ أحمدَ قدَّس اللهُ سرَّه رديءٌ كما يفتريه، فأصحابُه قدَّس اللهُ سِرَّهُم العظيمَ طاهِرو السيرةِ والسَّريرةِ أهلُ صدقٍ.

وأحدُ الأدلةِ على هذا الكذبِ أن السيِّدَ أحمدَ عندما بلغَه قولُ الحجّاجِ عن نفسِهِ: (أنا الحقّ)، قال: لو كان على الحقّ ما قال أنا الحقّ، ولم يعتبرْه غائبًا كما اعتبرَهُ السيّدُ عبدُ القادرِ الجيلانيُّ قدَّسَ اللهُ سرَّهُ العظيمَ.

فالأَولى به كونُه يطرُدُ مَن كان غيرَ مستقيمٍ أو رديئًا مِن أصحابِه، أو يقومُ بذلك أحدُ خلفائِه، فطعنُ الذهبيِّ طعنٌ بغيرِ بيِّنةٍ وهو حرامٌ، وجرحٌ غيرُ مفسَّرٍ والجرحُ غيرُ المفسَّرِ مقابلَ التعديلِ المفسَّرِ الصريحِ الشديدِ مردودٌ عند أهلِ العلمِ، وهو يعرفُ هذا، لكنّها العصبيةُ الممقوتة تفضَحُ صاحبَها وتجرحُه، فإنّ أقلَّ ما يُقالُ إنه خانَ الأمانةَ في ترجمةِ أُناسٍ فجرَحَ العُدولَ الثقاتِ وعدَّلَ المجروحين لأنّهم أحبابُه.

قال: **(وقد كثُرَ الزَغَلُ فيهم)**

قلت: عند مَن ومتى؟ هو واحدٌ رأسُ الفتنةِ في الافتراءِ عليهم وهو ابنُ تيمية، وابتلاهم اللهُ به كما يبتلي عبادَه الصالحين، وقد رأينا عاقبةَ ابنِ تيميةَ في السجنِ على يد قضاةِ المسلمين، فأين كثرةُ الزغَلِ التي تزعمُها، فلا حول ولا قوة إلا بالله.

وما عَلِمْنا أحدًا طعن على الرفاعيةِ قبلَ ابنِ تيميةَ، وسترى عجَبًا في ادِّعائه الغيبَ بكلامٍ فيه كفرٌ صريحٌ والعياذُ بالله.

وأراد الذهبيُّ بالزغَلِ، أنّ كلَّ واحدٍ يقولُ فيهم شيئا، وهذا كلُّه من مختَرعاتِ الذهبيِّ التي وقعَ فيها في شَرَكِ ابنِ تيمية.

قال: **(وتجدَّدَت لهم أحوالٌ شيطانيةٌ منذ أخذتِ التّتارُ العراقَ)**

قلت: ومَن جاءَ بهذه الفِريةِ غيرُك عن شيخِك ابنِ تيمية، وابنُ كثيرٍ مثلُك فهو من حِزبِه وإلا لما عوقبَ وضُرِبَ بأمرِ قاضي القضاةِ كما هو مسطورٌ في كتبِ التاريخ فشأنُكما سواءٌ، ولو شئتُ لأقسَمتُ أنّه لو قال ابنُ تيميةَ بأنّ الرفاعيةَ

مستقيمونَ أفاضلُ لقمتُم بمدحِهم على أكملِ وجهٍ وطعنتُم فيمن طعن فيهم ونصبتُم كلَّ حجةٍ للدفاعِ عنهم.

ولستَ أنتَ حجّةً شرعيّةً أيها المخلوقُ ولا حكَمًا عليهم، متى يُظهِرونَ هذه الخوارقَ ومتى يُخفونَها، وأوّلُ سؤالٍ تنهدمُ به حجّتُك هو التالي:

لو حصل أنّ المسئلةَ مجرَّدُ تزامُنٍ بين ظهورِ هذه الخوارقِ وبينَ دخولِ التتارِ فما جوابُك.

السؤالُ الثاني الذي يُسقِطُ شُبهتَك:

هل عندكَ حديثٌ نصُّه: (إذا دخلَ التتارُ العراقَ انقلبَتْ كراماتُكم أحوالاً شيطانية)، أو ما شابه.

ولماذا تبثُّ السُمَّ في الدَسَمِ بكلامِك هذا، هل لِتُوهمَ الناسَ أنّ هذه الكراماتِ والخوارقَ ظهرت بعد دخول المشركينَ التتارِ العراقَ، فكأنّهم تعلّموا منهم هذه الأحوال، خابَ سعيُكَ وكان الظنُّ فيك أحسنَ، فلو كانت من التتارِ لما

أسلم ابنُ هولاكو على أيديهم عندما رأى هولاكو هذه الخوارقَ التي لا تكونُ إلا معجزةً لنبيٍّ أو كرامةً لوليٍّ، فما أسهل كشفَ هذه الكذبةِ، وما أشقى مَن عادى للهِ وليًا واحدًا فآذنَه اللهُ بالحرب، فهل هذا مِمّا يُفرَحُ بهِ.

والسؤالُ الآنَ ما هي الأحوالُ الشيطانيةُ التي تزعُمُها زُورًا وبُهتانًا، إن كنتَ صادقًا فبيِّنها، وقل ولكن **بالدليلِ الشرعيِّ الثابتِ**: هذا عملٌ شيطانيٌّ، أما من رأسِكَ فكلامُكَ لا وزنَ له ولا عبرةَ به في هؤلاءِ الأسيادِ الذين شُهِدَ لهم بالفضلِ ومدَحهم مَن هو أفهمُ وأصلحُ منك وأتقى وأخوَفُ من الله وسيأتي هذا إن شاء الله مفصَّلاً.

قال الذهبيُّ وزلَّ زلةً عجيبةً: **(مِن دخولِ النيرانِ)**

قلتُ: أعوذُ بك اللهمَّ كيفَ يكونُ دخولُ الرفاعيةِ النارَ حالاً شيطانيةً عند هذا الحاقدِ وشَيخِه وهو موجودٌ في سيرةِ الأنبياءِ خيرِ خلقِ اللهِ وأتباعِهم الصادقين، فإنْ كانَ دخولُ

الرفاعيةِ النارَ بحمدِ اللهِ حالاً شيطانيةً عند الذهبي وهو يقلّدُ ابنَ تيميةَ في هذا، فالذهبي ءاذى نفسَه كثيرًا بهذا فإنّ الرفاعية على قدمِ أبي مسلمٍ الخَولانيِّ التابعيِّ الجليلِ.

قال العلاّمةُ الجلالُ اللاريُّ في جلاءِ الصدى ما نصُّه:

أقولُ: ومِن كراماتِه المشهورةِ المستفيضةِ لا زالت بركاتُه علينا مُفيضةً التي لا يستطيعُ إنكارَها جاحدٌ مَن قلبُه عن الحقِ وأهلِه حائدٌ، ولَم يُنقَلْ عن غيرِه مِن أسلافِه المشايخِ الكبارِ وهي الآنَ مشهورةٌ مِن المنتسبينَ إليهِ حالةَ الاختيارِ، ودخولُهم التنانيرَ المضطرمةَ بالنارِ فيُطفئونَها و لم تضرَّهم بأمرِ الملِكِ الجبّارِ وتسخيرُ اللهِ لهم الحيّاتِ والأفاعيَ وإسقاء المنكرين إياهم ... إلى ءاخرِه وهذه صورتُه من المخطوط:

الباب من الذين اسلموا اقول ومن كراماته المشهورة المستفيضة
لا زالت بركاته علينا في الدارين مفيضة الى التى لا يستطيع
انكاره جاحد من قلبه عن الحق واهله حايد ولم ينقل عن
غيره من اسلاف المشايخ الكبار وهي الان مشهورة من
المنتسبين اليه حالة الاختيار دخولهم في التنانير المضطرمة
بالنار فيطفئونها ولم تضرهم بامر الملك الجبار وتسخير الله
تعالى اياهم الحيات والافاعي حيث قالوا عند اخذهم اياها
يا احمد الرفاعي واسقاء المنكرين اياهم السموم ولم تضر
هم باذن الله كاشف الهموم وتسخير الله تعالى الاسود
فيركبونها وهي مطية لهم باذن الله الملك الودود فاما
دخولهم في النار فلهم الاقتداء في ذلك بالنبي الجليل ابي
اسحق ابراهيم الخليل حيث اخبر عن ذلك الملك
الرؤف الرحيم وقال قلنا يا نار كوني عليه بردا وسلاما
على ابراهيم واما اخذهم الحيات فلهم الاقتداء في

ذلك بالنبي الكريم نبي الله موسى الكليم حيث اخبر عن
ذلك الرب الحميد في غير موضع من كتاب المجيد واما تشريفهم
السم فلهم الاقتداء في ذلك باشرف الرسل واقرب كل قريب
محمد المصطفى النبي الرسول الحبيب صلى الله عليه وعلى
اله وصحبه وسلم وعلى موسى وابرهيم الصلاة والسلام
حيث روى ابو هريرة رضي الله تعالى عنه ان يهودية اهدت
للنبي محمد صلى الله عليه وسلم بخيبر شاة مصلية سمتها فا
كل رسول الله صلى الله عليه وسلم منها واكل القوم منها
فقال ارفعوا ايديكم فانها اخبرتني انها مسمومه وروى
ايضا
ابي سعيد مثله الا انه قال في اخره فبسط يده وقال كلوا
بسم الله الرحمن الرحيم فاكلنا وذكرنا اسم الله فلم
يضر منا احدا واما تسخير الله تعالى اياها لاسود
فلهم الاقتداء في ذلك بالامام المعظم المعدود نور اعيان
الرساله ونور رياض الجلالة سيد اولياء الله العظام الامام
علي الرضى ابن الامام موسى الكاظم حيث روي ان
انا

ان
المتوكل امر خدم السباع ان يجوعوا منها ثلاثة ويحضروها
قصره ترسل في صحنه ففعلوا وقعد هو في المنظر مع اصحابه
واغلق باب الدرج وبعث الى الامام علي حتى يحضر وامر انه
اذا دخل من باب القصر يغلق الباب فلما دخل اغلقوا الباب
وخلوا بينه وبين السباع والسباع قد اصمت الاسماع من
زئيرها فلما مشى في الصحن يريد الدرجة مشت اليه السباع
وقد سكنت فما يسمع لها حس حتى تمسحت به ودارت
حوله وهو يمسح راسها بكمه ثم ضربت السباع بصدورها
الى الارض وربضت فما همست ولا زادت حتى صعد الدرجة
وتحدث عند المتوكل مليا ثم انحدرت ففعلت السباع كفعلها
الاول ثم ربضت فما سمع لها حسا ولا زئير حتى خرج الامام
رضي الله عنه من الباب الذي دخل منه فركب وانصرف
الى منزله فاتبعه المتوكل بمال جزيل صلة له ثم قال المتوكل
لجلسائه والله لئن بلغتم هذا الخبر لاحد من الناس لاضربن
اعناق هذه العصابة كلهم فما جسر احد ممن شاهد ذلك

وفي مصباحِ الظلامِ للإمامِ المراكشيّ بإسنادِه عن الحافظِ المنذري إلى شهرِ بنِ حوشبٍ في قصّةِ رجلٍ كانَ يسبُّ

الشيخينِ أبا بكرٍ وعمرَ رضي الله عنهما ويقولُ لا قَدَرَ، فتحدّاهُ المسلمُ بدخولِ الأُتونِ وهو الموقدُ علامةً على الصدقِ فقال له دعْهُ فقال:

لا أدَعُه أو يُحكَمَ بيني وبينَه، فقلتُ بماذا، وقد ماتَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم وانقطَعَ الوحيُ.

فنظر إلى أتونٍ بحذائِه وقد أوقَدَهُ صاحبُه ويُريدُ أن يُطبقَ عليه، فقال: ندخلُ جميعًا إلى هذا الأتونِ، فمَن كان منّا على حقٍّ نجا، ومَن كانَ منا على باطلٍ احترق.

فقلتُ للآخَرِ: أتفعلُ ذلك، قال: نعم.

فتقدَّما إلى صاحبِ الأتونِ .... فتقدَّمَ السنّيُّ فحمدَ الله وأثنى عليه بما هو أهلُه وقال:

اللهمّ هذا ديني واعتقادي، **فإن كنتُ على حقٍّ فبرِّدْ هذه النارَ كما بردّتَها على إبراهيمَ**، واصرِفْ عني حرَّها ولهَبَها وأذاها بحولِك وقوّتِكَ، فإني إنما أفعلُ هذا غَيرةً لدينِك ولما جاءَ بهِ رسولُك، وأومِنُ باللهِ، ثم دخلَ الأَتونَ.

وتقدَّمَ البِدْعِيُّ ...... ودخلَ وأطبقَ صاحبُ الأتونِ عليهما وانصرفَ على أنّهما يحترقانِ، قد جنيا على أنفُسِهما، وبقيتُ وحدي لا أريدُ الانصرافَ حتى يتبيَّنَ أمرُهما.

فلم أزَلْ أنتقلُ مِن فَيءٍ إلى فيءٍ وعيني على الأتونِ حتى زالتِ الشمسُ، فسقطَ الطابقُ وخرجَ عَلَيَّ السُنّيُّ وجبينُه يعرقُ، فقمتُ إليهِ وقبّلتُ وجهَه وقلتُ له كيفَ أنت، فقال: بخيرٍ، **أُدْخِلْتُ إلى مجلسٍ مفروشٍ بأنواعِ الفُرُشِ، وفيه أنواعُ الرياحينِ والخدمِ، فنُوِّمْتُ على الفراشِ إلى الساعةِ** حتى جاءني جائيٌّ، فقال لي: قُمْ، فقد حانَ لك أن تخرجَ مِن ها هنا، وقد حانَ وقتُ الصلاةِ، قم فصلِّ......

فأغلقَ الناسُ دكاكينَهم ثلاثة أيامٍ لم يفتحوها، يتناوبُه الناسُ فينظرونَ إليهِ ويسمعونَ مِنَ السنّيِّ حديثَه، وتابَ مِن شَتْمِ أبي بكرٍ وعمرَ رضي الله عنهما أربعةُ ءالافِ نَفْسٍ.انتهى

الجمهورية العربية السورية

٢ شباط ١٩٦١

امتحنا الرجل الدرويش ابراهيم الحسين الشوعة بضرب السلاح ...
بالسيف والشيش اثنان ببطنه وبفمه وبوسه وبصدره وموس
في محافظة الرقة - قائم مقام الرقة السيد نديم بشور - أمر الدكتورين
نهم أنتيبا والدكتور حموده بهذا الامتحان لنفسية الدرويش ابراهيم
الحسين الشوعة فبين لنا هذا البرهان: بلجام الذي وكسيين على يده
وقد دخل عشرين سنتمتراً ولم يدخل بيده وحمينا عليه الفرن وعرضنا عليه
السم بمشاهدة وجهاء الرقة - خلف القاسم ومحمد الخلف الهادي
وحمود العشواخ وحسين العبدالله البليبل وملحم الدرويش وقد
كان هذا الحفل في تمام الساعة العاشرة من التاريخ المحرر اعلاه ونجح
هذا الامتحان حفظ الله بأمره الرجل الدرويش من كل سوء

وعليه نوقع

خلف القاسم — علي البشير الهويدي

فيصل الهويدي

مصدقه مختار محمد ...

هذا سرُّ اللهِ في أتباعِ السيِّدِ أحمدَ الرفاعيِّ قدَّسَ اللهُ سرَّه، فهذا الذي ينفثُ النارَ يخترقُ الحديدَ السميكَ ولم يؤثِّر في يدِه شيئا بحمد الله، وسترى كلامَ الفقيهِ ابنِ بطوطةَ لاحقًا.

فهل بعدَ هذا ينفعُ دهنُ ابنِ تيميةَ يا أيها العاقل

وقال ابنُ كثيرٍ في تاريخِه البداية والنهاية ج٦ص٣٠٠ بعد أن نقلَ كلامَ الإمامِ ابنِ الزملكانيِّ ما نصُّه:

ثم قال شيخنا: مع أنه **قد أُلقِيَ بعضُ هذه الأمةِ في النارِ فلم تؤثِّرْ فيه ببركةِ نبيِّنا صلى الله عليه وسلم**، منهم أبو مسلم الخولاني، قال: بينما الأسودُ بنُ قيسٍ العَنْسِيُّ باليمنِ فأرسل إلى أبي مسلمٍ الخَوْلاني فقال: أتشهد أنَّ محمدًا رسولُ اللهِ، قال: نعم، قال: أتشهد أني رسول الله، قال: ما أسمع، فأعاد إليه، قال: ما أسمع، **فأمر بنارٍ عظيمةٍ فأُجِّجَت فطُرِحَ فيها أبو مسلمٍ فلم تضرَّه**، فقيل له: لئن تركت هذا في بلادِك أفسدَها عليك، فأمَرَه بالرحيلِ، فقدِمَ المدينةَ وقد قُبِضَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم واستُخْلِفَ أبو بكرٍ.

وكانوا يسمونه بإبراهيمَ عليه السلام، وهذا الرجلُ هو أبو مسلمٍ الخولانيُّ، وهذه الرواية بهذه الزيادةِ تحقّقُ أنه إنما نال ذلك **ببركةِ متابعتِه الشريعةَ المحمديةَ المطهَّرَةَ المقدَّسَةَ**... ثم قال:

وقد وقع لأحمدَ بن أبي الحواريّ مِن غيرِ وجهٍ أنه جاءَ إلى أستاذِه أبي سليمانَ - أي الدارانيّ - يُعْلِمُه بأنَّ التنورَ قد سَجَرُوه وأهلَه ينتظرونَ ما يأمُرُهم به، فوجدَه يكلِّمُ الناسَ وهم حولَه، فأخبَرَه بذلك فاشتغلَ عنه بالناسِ، ثم أعلَمَه فلم يلتَفِتْ إليه، ثم أعلمه مع أولئك الذين حولَه، فقال: اذهب فاجلس فيه، فذهب **أحمد بن أبي الحواري إلى التنور فجلس فيه وهو يتضرمُ نارًا فكان عليه بردًا وسلامًا**، وما زالَ فيه حتى استيقظَ أبو سليمانَ مِن كلامِه فقال لمن حولَه: قوموا بنا إلى أحمدَ بنِ أبي الحواري، فإني أظنه قد ذهب إلى التنور فجلس فيه إمتثالا لما أمرته، فذهبوا فوجدوه جالسا فيه، فأخذ بيده الشيخ أبو سليمان وأخرجه منه، رحمة الله عليهما ورضي الله عنهما.انتهى

وقال الإمامُ ابنُ الجوزيّ في صِفَةِ الصَفْوَةِ:

أبو مسلمٍ الخَوْلانيُّ واسْمُه عبدُ الله بنُ ثُوَب - وقيل ثُوْب وغيرُ ذلك- طَرَحَه الأسودُ العَنْسيُّ الْمُتَنَبِّئُ باليمنِ في النارِ فلَمْ تَضُرَّه **فكان يُشَبَّهُ بالخليلِ عليهِ السلام**.انتهى

وقد أُلقِيَ في النارِ وخرجَ منها سليمًا وسلَّمَه اللهُ مِن فتنةِ المُتَنَبّي الأسودِ العَنسيّ، وبعدَما عرفَهُ سيّدُنا عمرُ رضي الله عنه عانَقَه وبكى وقال له: الحمدُ لله الذي لم يُمِتْني حتى أَراني في أمةِ محمدٍ مَن صُنِع به كما صُنِع بإبراهيمَ الخليل.انتهى، وهو على قدَمِ نبيِّ الله إبراهيمَ عليه الصلاةُ والسلامُ، الذي أُلقيَ في النارِ فلم تضرَّهُ فأينَ الشيطنَةُ، بل أينَ العجبُ حتى تزعم هداكَ اللهُ بأنّه خارجٌ عن حدودِ الشرع، وقد قيل لسيّدِنا أبي يزيدَ البسطامي على سبيل التعجبِ (إنك تطير في الهواء)، فقال: أيشٍ في هذا، الطائرُ الذي يأكلُ الجيفةَ الْمُنتنةَ يطيرُ في الهواء. فردَّ عليهم بأن هذا لا عجبَ فيهِ، فالعبرةُ في كلِّ هذا بوزْنِ أفعالِ الشخصِ وأحوالِهِ بميزانِ

الشرعِ المستقيمِ سواءٌ أدخلَ في النار أم ذَلّت له الحيَّات، أليس سيِّدُنا الصحابيُّ سفينةُ رضي الله تعالى عنه أنِسَ به الأسَدُ وأطاعَه، فأين الذي يسمِّيهِ أحوالاً شيطانية عند ركوبِ الرفاعيةِ الأُسودَ، حقًّا رمَتْني بدائِها وانسلَّت، ولا أرى الحالَ الشيطانيةَ إلا من ابنِ تيمية عامله الله بما يستحقه.

وهذه القصةُ ذكرَها الإمامُ التاجُ السبكيُّ في طبقاتِه قال: الخامس والعشرون: عدمُ تأثيرِ السُّمُوماتِ وأنواعِ الْمُتْلِفات فيهم كما اتفق ذلك للشيخِ الذي قال له بعض الملوكُ: إمّا أنْ تُظهِرَ لي ءايةً وإلاّ قتلْتُ الفقراءَ، وكان بقُرْبه بَعرُ جِمَالٍ، فقال: انظُرْ، فإذا هي ذهبٌ، وعنده كوزٌ ليس فيه ماءٌ فأخذه ورمى به في الهواءِ فأخذه وردَّه ممتلئًا ماءً وهو مُنَكَّسٌ لم يخرج منه قطرةٌ، فقال الملكُ: هذا سحرٌ، وأوقَدَ نارًا عظيمةً ثم أمرهم بالسماعِ فلما دار فيهم الوجدُ دخل الشيخُ والفقراءُ في النارِ ثم خرج فخَطِفَ ابنًا صغيرًا للملكِ فدخل به وغاب ساعةً بحيثُ كاد الملكُ يحترقُ على ولدِه ثم خرج به وفي إحدى يدَيِ الصبيِّ تفاحةٌ وفي الأخرى رمانةٌ، فقال

له أبوه: أين كنتَ، قال: في بستانٍ، فقال جلساءُ الملِكِ: هذا صنعةٌ لا حقيقةَ له، فقال له الملكُ: إنْ شربتَ هذا القَدَحَ مِن السُّمِ صدَّقتُكَ، فشربَه وتمزَّقت ثيابُه عليه ثم ألقَوْا عليه غيرَها فتمزقت ثم هكذا مِرارًا إلى أن ثبتَتْ عليه الثيابُ وانقطع عنه عَرَقٌ كان أصابَه ولم يؤثرْ فيه السم ضررًا. انتهى

وسيأتي ذكرُها لاحقًا أيضًا عن غيرِ ابن السبكيِّ، وهؤلاءِ هم الرفاعيةُ وقصتُهم مع هولاكو وإسلامِ ابنه مشهورةٌ بحمد الله.

وقال العلاّمةُ القزوينيُّ في ءاثارِ البلادِ وأخبارِ العبادِ عندَ ذكرِ واسطَ في العراق:

(أمُّ عَبيدةَ – وصُحِّفَت إلى فم الدبل) قريةٌ مِن قرى واسطَ على شاطىءِ شعبةٍ مِن دجلةَ منسوبةٌ إلى الرفاعية، وهم مشايخُ تلك الناحيةِ وبيتُهم بيتٌ مباركٌ.

عادتُهم ضيافةُ الناسِ وخدمةُ الصلحاءِ والفقراءِ والمسافرينَ والقاطنينَ، وفي فقرائِهم جمعٌ قالوا يأكلونَ الحيّاتِ، وقومٌ قالوا يدخلونَ النارَ، وغيرَ ذلكَ مِنَ الأمورِ العجيبةِ، وهم

أقوامٌ في زيِّ الفقراءِ بَراءٌ مِن التكلُّفِ، ولا دأبَ لهم إلا خدمة الناس ولا يفرحون إلا به.انتهى

قلتُ: أنْعِم بها أخلاقًا محمديَّةً وفضائلَ سَنِيَّةً على خلافِ ما يدّعيه الذهبيُّ، وها أنتَ تراهُ يقولُها مدحًا وهو الحقُّ.

لكنَّ العبارةَ تستقيمُ بقولِه (وهم أمراء في زيِّ الفقراء) وإلا فلا معنى لكلمةِ أقوام، ولا بلاغةَ فيها والنسخةُ هذه محرَّفةٌ والمخطوطُ الذي بينَ يديَّ ناقصٌ والله المستعان.

تنبيهان

الأولُ: قرأتُ منذ أكثرَ مِن عشرينَ سنةً في أحدِ كتبِ التاريخِ أنَّ الرفاعيةَ في بغدادَ أشعلوا أمامَ التتارِ نارًا عظيمةً وجاءوا يركبونَ الأُسودَ وكلٌّ واحدٍ منهم يأخذ بيدِه إلى النارِ نصرانيًا مِن أساقفتِهم فيخرجُ المسلمُ الرفاعيُّ سليمًا ويخرجُ النصرانيُّ فحمةً سوداءَ، وكانَ ذلك سببَ إسلامِ الكثيرينَ.

وهذا ما عدتُ وجدتُه ولا تذكرتُ اسمَ الكتابِ، وجزى الله خيرًا مَن أرشدني إليه.

الثاني: وجدتُ بعضَ الإخوانِ يذكرُ (أحمدَ بنَ محمدِ بنِ الشيخِ تاجِ الدينِ الرفاعيِّ)

وعزاهُ إلى إنباءِ الحافظِ ابنِ حجرٍ، وينقلُ فيه مدحَ الذهبيِّ له وأنّه كان فاضلاً وقورًا يكرَهُ دخولَ النارِ وأخذ الأفاعي.

قلتُ: رجعتُ إلى كلِّ التراجمِ فلم أجدْهُ، ولا يوجدُ له سنة وفاةٍ، ولا وجدتُ الذهبيَّ يذكرُه في كتابٍ من كتبِه لا في سِيَرِه ولا تاريخِه ولا عِبَرِه ولا معجَمَيهِ ولا غيرِها.

وأخشى أنْ تكونَ مدسوسةً للتلبيسِ على الناسِ أنّه كان يكرَهُ هذا الفعلَ وهو مِن أحفادِ الرفاعيِّ.

وما سيأتي عن العلاّمةِ الفقيهِ ابنِ بطوطةَ يَنقُضُ هذا، وحاشا رفاعيًّا أن يذمَّ كرامةَ وليٍّ عظيمةً كهذه وهي بعينِها معجزةٌ لرسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم.

بيانُ أنَّ اللهَ هو المؤثِّرُ الحقيقيُّ وأنَّه يسلِبُ الأشياءَ خاصيَّتَها

النارُ لولا مشيئةُ اللهِ تعالى ما أحرقَتْ، والطعامُ لولا مشيئةُ اللهِ ما أشبَعَ، فاللهُ تعالى هو المؤثِّرُ في الأشياءِ، ودليلُه سلبُ النارِ خاصيَّةَ الإحراقِ، وإضافةً إليهِ فقد صحَّ مِن وجوهٍ هذه القصةُ العجيبةُ:

قال ابنُ حجرٍ في إنباءِ الغُمر بأبناءِ العمر ما نصُّه: عائشة بنت عبد الله بن عاصم الأندلسية، قال الذهبيُّ: **أقامَت عشرينَ سنة وأزيدَ لا تأكلُ شيئًا البتَّةَ**، وأمرُها في ذلك شائعٌ لا ريبَ فيهِ، حدثه به أبو عبدِ اللهِ بنُ ربيعِ المحدِّثُ ومحمد بن سعدٍ العاشقُ وغيرُهما وهي خالة القائدِ أبي اسحاق بن بلالٍ، وكانت مقيمةً بغرفةٍ لها بأعلى الجامعِ المعلَّقِ بالجزيرة الخضراء بالأندلسِ، ماتت سنةَ ٧٠٥، وذكر الشيخُ عزُّ الدينِ الفاروثيُّ أنَّ امرأةً كانت بناحيةِ واسِطَ أقامت مدةً مثلَ هذهِ لا تأكلُ شيئًا، وذلك بعد السبعِمائةِ، وأخرى كانت في دولةِ المعتضِدِ بخُوارزمَ وقصَّتُها صحيحةٌ، ذكرها الحاكمُ في تاريخِ نيسابورَ. انتهى

وقال الذهبيُّ في سِيَرِ أعلامِه: قال الحاكمُ: حدثنا أبي، سمع الطَّهمانيَّ يقولُ: رأيت بخوارزمَ امرأةً لا تأكلُ ولا تشربُ، ولا تروثُ.

وقال ولدُه أبو صالح محمد بن عيسى: مات أبي في صفرَ سنة ثلاثٍ وتسعين ومِائتين.

وقال يحيى العنبريُّ: سمعتُ الطهمانيَ يحكي شأنَ التي لا تأكلُ ولا تشربُ، وأنها عاشت كذلك نيِّفًا وعشرينَ سنةً، وأنه عاين ذلك.

قلتُ: سقتُ قصتَها في (تاريخ الاسلام)، وهي: رحمةُ بنتُ إبراهيم، قُتِلَ زوجُها وترك ولدَينِ وكانت مسكينةً، فنامت فرأَتْ زوجَها مع الشهداءِ يأكلُ على موائدَ وكانت صائمةً، قالت: فاستأذنَهم وناولَني كسرةً أكلتُها، فوجدتُها أطيبَ مِن كلِّ شيءٍ، فاستيقظتُ شبعانة، واستمرَّتْ، وهذه حكايةٌ صحيحةٌ، فسبحانَ القادرِ على كلِّ شيءٍ.

وحكى الشيخُ عزُّ الدينِ الفاروثيُّ: أن رجلاً بعد الستمائةِ كان بالعراق، دام سنينَ لا يأكلُ.

وحكى لي ثقاتٌ مِمَّن لحقَ عائشةَ الصائمةَ بالأندلسِ، وكانت حيةً سنة سبعِمائة، دامت أعواما لا تأكل.انتهى كلامُ الذهبيّ بحروفِه.

قلتُ: وهذا الكلامُ حجَّةٌ عليك، فلماذا لا تقولُ عندما ينامُ الرفاعيُّ في الفرنِ والخبّازُ يخبزُ: (سبحانَ القادرِ على كلِّ شيءٍ)، هذا تعنُّتٌ وظلمٌ.

قال الذهبي: (ورُكُوبِ السِّبَاعِ)

قلتُ: السباعُ هنا هي الأُسُودُ فأنعِم وأكرِم بمثل هذه الكراماتِ، فهذه شهادةٌ من الذهبيّ على أنّ الرفاعيةَ أتقياءُ أنقياءُ، وحديثُ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم سيفضحُ ابنَ تيميةَ والذهبيَّ.

فاعلَمْ رحمَك اللهُ أن الأسدَ فيه خاصيّةٌ عظيمةٌ يعرفُها الذهبيُّ لكنَّهُ من حِقدِهِ على الأكابرِ تجاهلَها مع أنّه صحَّحَها في تلخيصِ المستدرَكِ وحسابُه عندَ اللهِ، أما الخاصّيّةُ فهي أنّ الأسدَ مع شدَّةِ افتراسِهِ لا يؤذي مَن لا يخافُ إلا اللّهَ تعالى،

بل يكون مُسَخَّرًا له بإذنِ اللهِ، وسواءٌ أكانَ رفاعيًّا أم غيرَه، فالعبرة بالاستقامةِ، فقد روى البيهقيُّ في دلائلِ النبوَّةِ ما نصُّه:

باب ما جاء في تسخيرِ اللهِ عزَّ وجَلَّ الأسدَ لِسَفِينَةَ مَولى رسولِ اللهِ كرامةً لرسولِ اللهِ وما روي في معناه:

أخبرنا أبو زكريا يَحيَى بنُ إبراهيمَ بن محمدِ بنِ يَحيَى المزكّي أنبأنا أبو عبد الله محمدُ بنُ يعقوبَ حدثنا محمدُ بنُ عبدِ الوهّابِ أنبأنا جعفرُ بنُ عونٍ أنبأنا أسامةُ بنُ زيدٍ عن محمدِ بنِ عمرٍو عن محمدِ بنِ المنكدرِ عن سفينةَ مولَى رسولِ اللهِ قال:

ركبت سفينةً في البحرِ فانكسَرَت فركِبْتُ لَوحًا منها فأخرَجَني إلى أَجَمَةٍ[1] فيها أسدٌ إذْ أقبَلَ الأسدُ فلمّا رأيتُه

[1] الأجَمَةُ هي موضعُ نباتِ الشَجَر.

قلتُ: يا أبا الحارثِ(٢) أنا سفينةُ مَوْلَى رسولِ الله فأقبلَ نحوي حتى ضَرَبَني بِمَنْكِبِه ثم مَشَى معي حتى أقامَني على الطريقِ، قال ثُمَّ هَمْهَم(٣) ساعةً وضَرَبَني بذَنَبه فرأيتُ أنَّه يُوَدِّعُني.

وأخبرني أبو نصرٍ بنُ قتادةَ حدثنا أبو الحسن محمد بن أحمد بن زكريا حدثنا أبو عبد الله محمد بن إبراهيم البُوشَنجي حدثنا يوسف بنُ عدي حدثنا عبدُ اللهِ بنُ وَهْب عن أسامةَ بنِ زيدٍ أن محمدَ بنَ عبدِ الله بنِ عَمْرِو بنِ عثمانَ حدَّثَه عن محمدِ بنِ المنكَدِرِ أنَّ سفينةَ مَوْلَى رسولِ الله قال:

ركِبْتُ البحرَ فانكسرَتْ بي سفينتي التي كنتُ فيها فركِبتُ لوحًا من ألواحِها فطرحني اللوحُ إلى أجَمَةٍ فيها الأَسَدُ فدخلتُ فخرجَ إليَّ الأسدُ فأقبَلَ إليَّ فقلتُ **يا أبا الحارثِ أنا**

(٢) كُنيةُ الأسدِ أبو الحارث وله غيرُها كأبي الأشبال، والأسَدُ له أسماءٌ عديدةٌ بلغَتْ ستَّمائةً أو يزيد وذكر النُّويريُّ أن بعضَهم أوصلَها فوقَ الألف.

(٣) الهَمْهَمَةُ الكلامُ غيرُ المفهومِ ترديدُه في الصدرِ يسمّى هكذا، والأسدُ يُسمّى الهِمهيمَ والهَمْهامَ والهُمام.

مَولى رسولِ الله فطأْطأَ رأسَهُ وأقبَلَ إليَّ يدفعُني بمَنكِبَيه فأخرَجَني مِن الأَجَمَةِ ووقَفَني على الطريقِ ثُمَّ هَمهَمَ فظَنَنْتُ أنَّه يُوَدِّعُني فكانَ هذا ءاخرَ عهدي به.

أخبرنا أبو الحسين بن بشران ببغداد أنبأنا إسماعيلُ بنُ محمدٍ الصَفّارُ حدثنا أحمدُ بنُ منصور حدثنا عبدُ الرزاقِ أنبأنا مَعْمَرٌ عن الحَجَبيِّ عن ابنِ المنكدِرِ أنَّ سفينةَ مَولى رسولِ الله أخطأَ الجيشَ بأرضِ الرومِ أو أُسِرَ في أرضِ الرُومِ فانطلَقَ هاربًا يلتَمِسُ الجيشَ فإذا هو بالأَسَدِ فقال له: يا أبا الحارثِ إني مَولى رسولِ الله كان مِن أمري كَيْتَ وكيتَ(٤) فأقبَلَ الأسَدُ يُبَصْبِصُهُ(٥) حتى قامَ إلى جَنْبِهِ كلَّما سمعَ صوتًا أهْوَى إليهِ(٦)

(٤) كان مِن الأمرِ كَيْتَ وكَيْتَ بالفتح، وكَيْتِ وكَيْتِ بالكسر أي كذا وكذا.

(٥) بصبَصَ أي ضربَ بذَيلِهِ يريدُ دفعَه.

(٦) أهوى إليه أي قصَدَه، ذهبَ إليهِ لعلّه يفعلُ ذلكَ دفاعًا عنه وحمايةً له.

ثم أقبَلَ يمشي إلى جَنْبِهِ فلم يَزَلْ كذلك حتى بلغَ الجيشَ ثم رجَعَ الأسدُ، والله تعالى هو أعلم.انتهى كلامُ البيهقي

قال الحاكمُ في المستدرَكِ: هذا حديث صحيح على شرطِ مسلمٍ و لم يُخرِجاه.

وفي تلخيص المستدرك للذهبيّ: صحيحٌ على شرط مسلم.

ورواهُ أبو نُعيمٍ في معرفةِ الصحابةِ وغيرُهما، وقال الإمامُ السيوطيُّ في مناهلِ الصَّفا: حديثُ تسخيرِ الأسدِ لسفينةَ: وأخرج البيهقيُّ أن ذلك وقع لسفينةَ حينَ ضَلَّ عن الجيشِ في أرضِ الرُوم.

أما حديث أنه تكسَّرَت به سفينةٌ ... الحديثَ، فقد أخرجه البَزّارُ والبيهقي.انتهى كلامُ السيوطي

قلتُ: أما البزارُ فرواهُ بصيغةِ الجمعِ قال: حدثنا محمد بن بشار قال حدثنا عثمانُ بنُ عمرَ قال حدثنا أسامةُ بنُ زيدٍ عن محمدِ بنِ المنكدرِ عن سفينةَ رضي الله عنه قال: كنت في

البحر فانكسرَتْ سفينتُنا فلم نعرفِ الطريقَ فإذا أنا بالأسدِ قد عرض لنا فتأخَّرَ أصحابي فدنَوتُ منه فقلت أنا سفينةُ صاحبُ رسولِ الله وقد أضْلَلْنا الطريقَ فمشَى بين يديَّ حتى أوقعَنا على الطريقِ ثم تَنَحَّى ودفَعَني كأنه يُرِيني الطريقَ ثم جعلَ يُهَمْهِمُ فظنَنْتُ أنه يُوَدِّعُنا.انتهى

ورواهُ الحاكمُ في المستدْرَكِ بزيادةِ فأقبَلَ إليَّ يُريدُني، أي يريدُ أن يفترسَني.

ورواهُ عبدُ الرزّاقِ في مصنَّفه والطبرانيُّ في المعجمِ الكبيرِ والبَغَويُّ في شرحِ السُنّةِ وغيرُهم كثير.

ولزيادةِ كشفِ تمويهِ الذهبيِّ قال شيخُه ابنُ تيمية في الفرقان:

وسفينةُ مولى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم أخبرَ الأسدَ بأنه رسولُ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم فمَشَى معه الأسدُ حتى أوصلَه مقصدَه.انتهى

والأسَدُ يستعملُهُ اللهُ في أمورٍ فيها خيرٌ وفيه هذه الخاصيَّةِ، فقد صحَّ أن عُتَيبةَ بنَ أبي لَهَبٍ – وقيلَ عُتْبة – قال: لما

نزلت: (والنَجْمِ إذا هَوَى ما ضَلَّ صاحِبُكُمْ وما غَوَى) حتى انتهى إلى: (ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى) قال عتبةُ بنُ أبي لَهَبٍ: (أنا أكفُرُ بالذي دَنا فتدَلَّى) فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (اللهمَّ سَلِّطْ عليهِ كَلْبًا مِنْ كِلابِكَ)[٧] فخافَ عليهِ أبوهُ وخرج عتبةُ إلى الشامِ فباتوا ليلةً على الطريقِ ونامَ في وسَطِ الناسِ والمَتاعِ خوفًا من دعوةِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم، فخرج عليه الأسد فتخطَّى الجميعَ يتشمَّمُهم حتى عرَفَه فقطعَ رأسَه وافترسَهُ[٨]،فقال أبوه: قد علِمتُ أنه لا ينفلتُ من دعوةِ محمدٍ، صلى الله عليه وسلم.انتهى

---

[٧] قيلَ إنّما سمّاهُ كلبًا تشبيهًا له بالكلبِ لأنه يرفعُ رجلَه عند البول، وإلاّ فالكلبُ هو من السِباع.

[٨] واسمُه بعدَها أكِيلُ السَبُعِ، وتسكينُ الباءِ "السَبْعُ" لغةٌ في نَجْد، وقال فيه سيِّدُنا حسانُ بنُ ثابتٍ شاعرُ الرسولِ عليه الصلاةُ والسلامُ قصيدةً عن عاقبةِ مَن استهزأ بهِ عليه الصلاةُ والسلامُ واشتهر منها هذا البيت (السريع) :

مَـــنْ يَرجِـــعِ العـــامَ إلى أهلِـــهِ   فما أكِيـــلُ الـــسبعِ بـــالراجعِ=

= وقد ذكر الثعلبيُّ القصيدةَ - على زيادةٍ وتغييرٍ عند بعضِهم - في تفسيرِه بما نصُّه:قال أبو لهب لأصحابه: أعينونا يا معشرَ قريشٍ هذه الليلةَ فـإني أخافُ على ابني دعوةَ محمدٍ، فجمعوا أحمالَهم وفَرَشوا لعتبةَ في أعلاهـا وناموا حولَه، فجاءَ الأسدُ فجعلَ يَتَشَمَّمُ وجوهَهم ثم ثَنَى ذنبَه فوثـبَ وضربَ عُتبةَ بيدِه ضربةً، وأخذَه فخَدَشَه، فقال: قتلني ومات مكانَـه.

فقال في ذلك حسان بن ثابت:

ســـائلْ بـــني الأصـــفَرِ إنْ جئـــتَهم   مـــا كـــان أنبـــاءُ أبي واســـعِ

لا وسَّـــعَ اللهُ لـــــه قـــــبرَهُ   بـــلْ ضـــيَّقَ اللهُ علـــى القـــاطعِ

رمـــى رســـولَ اللهِ مِـــن بَيـــنِهم   دونَ قـــريشٍ رِمْيَـــةَ القـــاذِعِ

واســـتوجَبَ الـــدعوةَ منـــهُ بمـــا   بُـــيِّنَ للنـــاظِرِ والـــسامعِ

فـــسَلَّطَ اللهُ بـــــهِ كلبَـــــهُ   يمشي الهُوَيْنـــا مِـــشيَةَ الخـــادِعِ

حـــتى أتـــاهُ وَسْـــطَ أصـــحابِهِ   وقـــد علـــيهمْ سِـــمَةُ الهـــاجعِ=

وهذا الحديثُ رواهُ الحاكمُ وصحَّحه والذهبيُّ وحسَّنَه ابنُ حجرٍ في فتحِ الباري والحافظُ العينيُّ في عمدةِ القاري وغيرُهم.

وروى الطبراني في مكارمِ الأخلاقِ ومِن طريقِه أبو نُعَيمٍ ومِن طريقِه الدَيلَمِيُّ بإسنادٍ ظاهرُه الضعفُ يُستأْنَسُ بهِ في كلِّ حالٍ أن رسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قال: أتدرون ما

= فالتقمَ الرأسَ بيافوخِهِ والنَحْرُ منهُ قَفْرَةُ الجائعِ

ثم علا بَعْدُ بأسنانِهِ مُنعَفِرًا وَسْطَ دَمٍ ناقِعِ

قد كان هذا لكمُ عِبْرَةً للسيّدِ المتبوعِ والتابعِ

مَنْ يَرجِعِ العامَ إلى أهلِهِ فما أَكِيلُ السبعِ بالراجعِ

وقولُه: بيافوخِه، هو الذي تسمِّيهِ العامَّةُ: النافوخُ وهو في اللغةِ "اليافوخ"، والله أعلم.

يقولُ الأسدُ في زئيرِه، قلنا الله ورسوله أعلم، قال: يقول: **(اللهمَّ لا تسلِّطْني على أحَدٍ مِن أهلِ المعروف)**.

قال المناويُّ في فيضِ القدير:

إن ذلك القولَ يَحتَمِلُ الحقيقةَ بأن يطلبَ ذلك من اللهِ بهذا الصوتِ ويحتملُ أن ذلك عبارةٌ عن كونِهِ قد رُكِزَ في طباعِهِ محبةُ أهلِ المعروفِ وعدمُ أذيَّتِهم.انتهى

قلت: قال الدَميريُّ[٩] الشافعيُّ في حياةِ الحيوانِ الكبرى ما نصُّه:

---

[٩] هو كمالُ الدين محمد بن موسى الدَميريُّ فقيهٌ علاّمةٌ مُحدِّثٌ مفسِّرٌ، قال السخاوي في الضوءِ اللامعِ: بَرَعَ في التفسير والحديث والفقه وأصوله والعربية والأدب وغيرها وأذن له بالإفتاء والتدريس، وتصدى للإقراء فانتفع به جماعة، وكتب على ابن ماجه شرحًا في نحو خمس مجلدات سماه الديباجه مات قبلَ تحريرِه وتبييضه، وكذا شرحُ المنهاجِ وسماه (النجم الوهاج) لخصه من السبكي والإسنوي وغيرهما وعظم الانتفاع به، قال: **وحياة الحيوان وهو نفيس أجاده وأكثر فوائده**.انتهى، وقد رأيت غير واحدٍ كالسِندي وغيره يستدلُّون به في شرحِ الحديثِ وعزا بعضُهم إليه في شرحِ ابنِ ماجه، لكنَّ الظاهرَ أنه لا وجودَ له في =

وإنما ابتدأْنا به لأنه أشرفُ الحيوانِ المتوحِّشِ إذْ منــزلَتُه منها منــزلةُ الْمَلِكِ المهابِ، لقوَّته وشجاعتِهِ وقساوتِه وشهامتِه وجَهامتِه وشراسةِ خُلُقِه.انتهى

وقال الدَّميري: ويقالُ (مِن نُبْلِ الأسَدِ أنه اشتُقَّ لحمزةَ بنِ عبدِ المطَّلِب مِنَ اسمِه، وكذلك لأبي قتادةَ فارسِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم).انتهى

قلتُ: يُريدُ أن حمزةَ وأبا قتادةَ كلٌّ سُمِّي أسدَ الله.

أما شدةُ افتراسِ الأسدِ فيكفي فيها حديث: (فِرَّ من المَجْذُومِ[10] فِرارَكَ منَ الأسدِ) رواه البخاري وغيرُه.

= المخطوطاتِ الآن، أمّا شرحُ المنهاجِ فلديَّ بحمدِ الله ثلاثُ نُسَخٍ مخطوطةٍ منه.

(10) المجذومُ مَن أصابَه الجُذامُ وهو مَرَضٌ جِلديٌّ يُصيبُ الإنسانَ يتساقطُ منه لحمُه، وفي هذا الحديثِ تفصيلٌ لا يتسعُ له هذا المقام.

فتسخيرُ الأسدِ مِن اللهِ للرفاعيةِ أمرٌ عظيمٌ، فإنهم أدامَ اللهُ عزّهم يركبونَه على شراسةِ خُلُقِه، وهو المَلِكُ المهابُ فيهم وقد رأيتَ رعاكَ اللهُ خضوعَه للصحابةِ وخدمتَه لهم.

فقل لنا ذهبيٌّ مَن صاحبُ الحالِ الشيطانية، أنت أم الذين اتّهمتَهم ظلمًا وبُهتانًا.

أم حجبَ عنك شيطانُك أن نبيَّ اللهِ دانيالَ عليه الصلاةُ والسلامُ حَرَسَه الأسدُ ورعاهُ في الجُبِّ ولم يُضيِّعْه اللهُ، وابتلاهُ بأسدَينِ يتضوَّرانِ جُوعًا فحفِظاهُ إلى أن بعثَ اللهُ له من أتاهُ بطعامٍ. كما رواه البيهقيُّ في شُعَبِ الإيمانِ وغيرُه.

وقد كفانا في فَضْحِكَ وبيانِ ظُلمِك وخيانتِك أمانةَ العلمِ حديثُ الصحابيِّ سفينةَ رضي الله عنه، وما هكذا تُورَدُ الإبلُ يا ذهبيُّ وليس الناسُ حمقى إلى هذه الدرجةِ حتى تُلَبِّسَ عليهم في مثلِ هذا الأمر.

قال الذهبي: (واللَّعِبِ بالحيّاتِ)

قلت: هذا أدهى وأمرُّ، فالله سلَّطَ الرفاعيةَ على الحيّاتِ تسليطًا واضحًا **إذلالاً لها وقهرًا للشيطانِ**، ذلك ببركةِ السيِّدِ السلطانِ أحمدَ الرفاعي ببركةِ جدِّهِ المصطفى صلى الله عليه وسلم ببركةٍ من اللهِ تعالى سلَّطَهم اللهُ على الحيّاتِ، وهاكَ التفصيلَ المفيدَ إن شاء الله تعالى:

أشدُّ الحيواناتِ عداوةً للإنسانِ وأخبثُها هي الحيةُ، والشياطينُ تتشكَّلُ بها، وهذا أمرٌ معروفٌ وقد قتلت صحابيًا وقصتُه مشهورةٌ كما سيُذكَرُ بعدُ في هذا الفصلِ قريبًا، وقد جاء في التفاسيرِ أن الحيةَ تبعٌ لإبليس لعنه الله.

قال الإمام البَغَوِيُّ في تفسيره: **(بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ)** أراد العداوةَ التي بين ذُرِّيَّةِ ءادمَ والحيةِ وبين المؤمنين من ذرية ءادم وبين إبليس، قال الله تعالى: (إن الشيطان لكما عدو مبين).

أنا أحمد بن عبد الله الصالحي أنا أبو الحسن بن بشران أنا إسماعيل بن محمد الصفار أنا أحمد بن محمد الصفار حدثنا

منصور الرمادي أنا عبد الرزاق أنا معمر عن أيوب عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال عكرمة: لا أعلمه إلا رفع الحديث، أنه كان يأمر بقتل الحيات وقال: **(مَن تَرَكَهُنَّ خَشيَةَ أو مَخافَةَ ثأْرٍ فليس مِنّا)**[11].انتهى

وقال ابنُ كثيرٍ في تفسيرِه: قيل: المرادُ بالخِطابِ في (اهْبِطُوا) ءادمُ، وحواءُ، وإبليسُ، والحيةُ، ومنهم مَن لم يَذكرِ الحيةَ، والله أعلم.

والعُمدةُ في العَداوةِ ءادمُ وإبليسُ، ولهذا قال تعالى في سورة (طه) قال: (اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا) وحواءُ تَبَعٌ لآدَمَ، والحيةُ -إن كان ذكرُها صحيحًا - فهي تبَعٌ لإبليس،انتهى كلامُ ابنِ كثير.

وقال الدَمِيري الشافعي في حياةِ الحيوانِ الكبرى: وعداوةُ الحيّةِ للإنسانِ معروفةٌ، قال الله تعالى (اهبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ) وهو قولُ الجمهور.انتهى

---

[11] سيأتي تخريجه قريبًا إن شاء الله.

وقال الإمامُ الطبري في تفسيره: وأما عدَاوة ما بين ءادمَ وذُرّيتِه والحيةِ، فقد ذكرنا ما روي في ذلك عن ابن عباس ووهب بن منبه، وذلك هي العداوة التي بيننا وبينها، كما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: (**مَا سالَمْناهُنَّ مُنذُ حارَبْناهُنَّ، فَمَنْ تَرَكَهُنَّ خَشْيَةَ ثَأْرِهِنَّ فليس مِنّا**)،انتهى كلامُ الإمامِ الطبري.

قلت هذا حديثٌ صحيحٌ رواه الأئمةُ أحمدُ وأبو داودَ وابنُ حِبّانَ والطحاويُّ وغيرُهم عن أبي هريرةَ، ورواهُ أحمد وأبو داودَ عنِ ابنِ عباسٍ، والبخاريُّ في الأدبِ موقوفًا على عمرَ وحكمُهُ الرفعُ، وفي بعضِها اختلافٌ بسيطٌ يجمعُها هذا اللفظ: (**الحيّاتُ مَا سالَمْناهُنَّ مُنْذُ حارَبْناهُنَّ، فَمَنْ تَرَكَهُنَّ خَشْيَةَ ثَأْرِهِنَّ فليس مِنّا**).

والطحاويُّ رواهُ بلفظ: خِيفَتَهُنَّ، ولأحمدَ بلفظ: فمَن ترك شيئًا خيفتَهُنَّ، ولأبي داودَ: مخافةَ طَلَبِهِنَّ.

وروى الإمامُ أحمدُ في مسندِه وابنُ حبّانَ والطبرانيُّ في الكبير عن المسيَّبِ بنِ رافعٍ عن ابنِ مسعودٍ رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (**مَن قتلَ حيَّةً فلهُ سبعُ حسَنَاتٍ، ومَن تركَ حَيَّةً مخافةَ عاقِبَتِها فليس مِنّا**).

قال الهيثمي: رواه أحمدُ والطبرانيُّ في الكبيرِ ورجالُ أحمدَ رجالُ الصحيحِ إلا أنّ المسيبَ بنَ رافعٍ لم يسمعْ مِن ابنِ مسعودٍ.

قلتُ: لكنْ قال الدارقطنيُّ في العِلَلِ: ورفعُه صحيحٌ، وابنُ أبي حاتم قال عن روايةِ عبدِ الواحدِ الذي أثبتَه عن ابن مسعودٍ عن النبي صلى الله عليه وسلم: قال أبي: عبد الواحد أوثقُ من العوام، ولكن في إسنادٍ ءاخرَ قال الدارقطنيُّ: الموقوفُ أشبهُ بالصواب، فالكلامُ منه على إسنادٍ خاصٍّ دونَ ءاخر.

ورواهُ الإمامُ البَغَويُّ في السُّنّةِ موقوفًا بلفظ: (**مَخافَةَ ثائرٍ**) وهو اسمُ فاعلٍ من ثَأَرَ وهو طالبُ الثأر، والله تعالى أعلم وأحكم.

حديثٌ ءاخرُ:

وروى الائمةُ مالكٌ في الموطّأ وأحمدُ في مُسنَدِه ومسلمٌ وأبو داودَ وغيرهم عن أبي السائبِ مولى هشامِ بنِ زُهرةَ أنه دخل على أبي سعيدٍ الخُدْرِيّ في بيته، قال: فوجدتُه يصلي، فجلستُ أنتظرُهُ حتى يقضيَ صلاتَه، فسمِعتُ تحريكًا في عراجينَ[12] ناحيةَ البيتِ، فالتفتُّ فإذا حَيَّةٌ، فوَثَبْتُ لأَقْتُلَها، فأشارَ إليَّ أنِ اجْلِسْ، فَجَلَسْتُ، فلمّا انصرفَ أشارَ إلى بيتٍ في الدارِ فقال: أَترى هذا البيتَ؟ فقلتُ: نعم، فقال: كان فيه فتًى مِنّا حديثَ عهدٍ بِعُرسٍ، قال: فخرجْنا مع رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم إلى الخندَقِ، فكان ذلك الفتى يستأذِنُ رسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم بأنصافِ النهارِ فيرجعُ إلى

(١٢) جمعُ عُرجُونٍ وهو العودُ الأصفرُ منَ النخلِ يكونُ عليه أغصانٌ صغارٌ ويُسَمّى كلُّ واحدٍ من تلكَ الأغصانِ شِمْرَاخًا والجمعُ شماريخُ، وهي للرطب بمنزلة العنقود للعنب، والعُرجونُ إذا جفَّ اعوجَّ وتَقَوَّسَ وهو العُرجونُ القديمُ.

أهلِه، فاستأذَنَه يومًا، فقال له رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم (خُذْ عليكَ سلاحَكَ فإني أَخشَى عليك قُرَيْظَةَ)[13].

فأخَذَ الرجلُ سِلاحَه ثم رجَعَ، فإذا امرأتُه بينَ البابينَ[14] قائمةٌ فأهْوَى إليها بالرُمْحِ لِيَطْعَنَها[15] به وأصابته غَيْرَةٌ، فقالت له: اكْفُفْ عليك رُمحَكَ، وادْخُلِ البيتَ حتى تنظرَ ما الذي أخرَجَني، فدخل فإذا بِحَيَّةٍ عظيمةٍ مُنْطَوِيةٍ[16] على

(١٣) طائفةٌ من اليهودِ حولَ المدينةِ، أي خُذ معك سلاحَك وكُن حذرًا منهم.

(١٤) أي بابِ بيتِها وبابِ غيرِها أو بين المِصْراعَين، وهذا من الرُعبِ الشديدِ الذي أصابَها.

(١٥) ولابنِ حِبّانَ: فهيَّأَ لها الرمح، ولابن عبد البر: فمدَّ إليها الرمحَ، وفي الكلِّ يُحملُ على أقلِّ الطعنِ وهو الوخزُ القويُّ، مع ما أصابَهُ من الغَيْرَةِ والحَمِيَّةِ، ولعلَّهُ أرادَ التخويفَ فقط.

(١٦) عند أبي داود: منكرةٍ بدلَ منطويةٍ، وواضحٌ أن روايةَ أبي داودَ بالمعنى، والجماعة على هذا اللفظ، وهذا عند الجمهورِ جائز لمن كان عالمًا بما يُحيلُ المعاني، أما غيرُ العالِم فلا يجوزُ له إلا الروايةُ باللفظِ كما ضبَطَها.

الفراشِ، فأَهْوَى إليها بالرُمْحِ فانتَظَمَها[17] به، ثم خرج فرَكَزَهُ في الدارِ فاضطَرَبَت عليه[18]، فما يُدْرَى أَيُّهما كان أسرعَ موتًا، الحيّةُ أمِ الفتَى، قال: فجِئنا إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم فذكَرْنا ذلك له، وقلنا: ادْعُ اللهَ يُحيِيْه لنا، فقال: استغفِرُوا لأخِيكم ثم قال: (**إنَّ بالمدينةِ جِنًّا قد أسلَمُوا فإذا رأيتُم منهم شيئًا فآذِنُوه ثلاثةَ أيامٍ فإنْ بَدا لكم بعدَ ذلكَ فاقْتُلوه فإنّما هو شيطانٌ**).انتهى

حديثٌ ءاخرُ:

روى الإئمةُ أحمدُ والطبرانيُّ والبزّارُ عن ابن مسعودٍ عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم قال: (**مَن قتلَ حيَّةً فكأنّما قتلَ مُشرِكًا قد حَلَّ دَمُه**).

[17] عند أبي داودَ: فطعنَها، قال ملا علي القاري: فانتظمها به أي غرز الرمح في الحية حتى طوّقها فيه فشبهه بالسلك الذي يدخل في الخرز.انتهى

[18] أي تحرّكتْ بقوةٍ قبلَ موتِها، وحركتُها تلك كانت سببَ موتِه رحمه الله ورضي عنه.

قال الهيثمي: رواه أحمدُ وأبو يَعلى والبزّارُ بنحوِه والطبرانيُّ في الكبيرِ مرفوعًا وموقوفًا، قال البزارُ في حديثِه وهو مرفوعٌ: (مَن قَتَلَ حيّةً أو عقربًا) وهو في موقوفِ الطبرانيِّ، ورجالُ البزّارِ رجالُ الصحيح.انتهى

قلت: وروى ابنُ أبي شيبةَ عن أبي الأحوصِ – وبإسنادٍ ءاخرَ عن إبراهيمَ – كلاهما عنِ ابنِ مسعودٍ قال: قالَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: (**مَن قتلَ حيَّةً قَتَلَ كافِرًا**).

ورواهُ أبو يوسفَ القاضي في الآثارِ عن أبي حنيفةَ عن الهيثمِ بن حبيبٍ عن ابنِ مسعودٍ، وابنُ حبيبٍ لم يذكروا له سماعًا من الصحابةِ.

ولأبي داودَ الطيالِسِيِّ: (**مَن قتلَ حيةً كمَنْ قتلَ كافِرًا**)

ورواه السَجزيُّ في معجمِه والشاشيُّ في مسندِهِ والخطيبُ وغيرُهم كثيرٌ مرفوعًا وموقوفًا.

قال المناويُّ في فيضِ القدير:

(مَن قتلَ حيةً فكأنما قتلَ رجلاً مُشرِكًا) باللهِ (قَد حلّ دَمُهُ) لأنها شاركت إبليسَ في ضررِ ءادمَ وبَنِيهِ وعداوتِهم وتظاهرَتْ معه فكانت سببًا لإهباطِه إلى الأرضِ، فالعداوةُ بينَ بَنِيها وبينَهم مُتأصِلَةٌ متأكِّدَةٌ.انتهى

والحيةُ حيوانٌ ممسوخٌ وردَ أنه كان لها أربعُ قوائمَ، لكن عندما لُعِنَت كان عقابُها مسخَها بأن تزحفَ على وجهها إلى يومِ الدين.

قال عليه الصلاة والسلام: (الحيّاتُ مِن مَسْخِ الجانِّ كما مُسِخَتِ الخنازيرُ والقِرَدَةُ مِن بَنِي إسرائيل) رواه ابنُ حِبّانَ في صحيحِه والطبرانيُّ في معجمَيه الكبيرِ والأوسطِ بهذا اللفظ.

قال الهيثمي: رواه الطبراني فى الكبير والأوسط والبزار ورجاله رجالُ الصحيح.

ورواهُ الإمامُ أحمدُ عن ابنِ عباسٍ رضي الله عنهما بدون لفظ الخنازير:

(حدثنا عبدُ الرزاقِ حدثنا مَعمَرٌ عن أيوبَ عن عكرمةَ عن ابن عباسٍ قال لا أعلمُه إلا رفعَ الحديثَ قال: كان يأمر بقتل الحيات ويقول من تركهن خشية أو مخافة تأثير فليس منا قال وقال ابن عباس: (إن الحيّاتِ مَسِيخُ الجِنِّ كما مُسِخَتِ القِرَدَةُ مِن بَنِي إسرائيل). هذا إسنادٌ صحيح.

وأوردَه الإمامُ ابنُ أبي حاتمٍ في العللِ قال: سمعت أبا زرعة يقول هذا الحديث هو موقوف لا يرفعه إلا عبدُ العزيز بن المختار، ولا بأس بحديثه.انتهى، والله تعالى أعلم وأحكم.

وختامًا قال ملا علي القاري في مرقاةِ المفاتيح:

قال أي ابنُ عباسٍ رضي الله عنهما مرفوعًا لِما سَبَقَ[19]: (مَن تركَهُنَّ) أيْ قَتلَهُنّ والتَعرُّضَ[20] لَهُنَّ (خَشيةَ ثائِرٍ) والثائرُ طالبُ الثأرِ وهو الدَمُ والانتقامُ، والمعنى: مَخافَةَ أنْ

---

[19] أي سبق ذِكرُه مِن تخريجِ الحديث.

[20] أي وتَركَ التعرُّضَ لهنَّ، مفعولٌ به.

يكونَ لهُنَّ صاحبٌ يطلُبُ ثأرَها (فليس مِنّا) أيْ مِنَ المُقتَدِينَ بسُنَّتِنا الآخِذِينَ بطَرِيقَتِنا، قال شارحٌ: قد جَرَتِ العادةُ على نَهجِ الجاهليةِ بأنْ يُقالَ: لا تقتلوا الحياتِ فإنّكم لو قَتَلتُم لَجَاء زوجُها ويَلسَعُكُم للانتقامِ[21]، فنهى رسولُ اللهِ عن هذا القولِ والاعتقادِ (رواه) أي صاحبُ المصابيحِ (في شرحِ السُنّةِ) أي بإسنادِهِ، وروى البخاريُّ ومسلمٌ والنَسائيُّ عن ابنِ مسعودٍ قال: كُنا معَ رسولِ اللهِ في غارٍ بمِنًى وقد نَزَلَتْ عليهِ (والمرسلاتِ عُرْفًا) فنحنُ نأخُذُها مِن فِيه[22] رَطْبَةً إذْ خرَجَتْ علينا حيَّةٌ، فَقالَ اقتُلُوها فابْتَدَرْناها لنقتُلَها فسبَقَتْنا فقال: (وقاها اللهُ شَرَّكُم كما وقاكم شَرَّها) قلت: وفيهِ

(21) قلتُ وهذا فيه ردٌّ على مَن قال بأن قولَ المرءِ إذا خدِرَت رجلُه: (يا محمد) مِن عاداتِ العربِ مِن أيامِ الجاهليةِ، فبَعدَ إقرارِ الشرعِ لها لا يبقى حكمٌ لعادةٍ عربيةٍ أو غيرِها، فالعبرةُ بإقرارِ الشرعِ، وقد ردَّ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم النهيَ عن قتلِ الحيّاتِ، وأمرَ بقتلِها، فتنبّه واستفِدها.

(22) أي مِن فَمِه، أصلُها فَوْهٌ صار فيها حذفٌ وقلبٌ، بدليلِ جمعِها على "أفواه".

مُشاكَلَةٌ سابِقَةٌ والغالِبُ أنّها إنما تكونُ لاحقةً[23]، وعن أبي

(23) المشاكَلَةُ هي ذكرُ الشيءِ بلفظِ غيرِه لوقوعِه في صُحبَتِه أي لمجيئِه معَه، كقولِ الشاعرِ:

قالوا اقترِحْ شيئًا نُجِدْ لكَ طبخَهُ ... قلتُ اطبُخوا لي جُبَّةً وقَمِيصا

والثيابُ لا تُطبَخُ إنما ذكرَه بلفظِ الطبخِ لأنهم طلبوا منه أن يطبخوا له ما يشتهي، فقال لهم أنا أشتهي الثياب لحاجتِه إليها.

وقولُ ملا علي القاري: بأنها مشاكَلَةٌ يعني أنّه صلى الله عليه وسلم وصَفَ فعلَ الصحابةِ بأنه "شرٌّ" على الحيةِ، إنما هو من بابِ المشاكلةِ والأصلُ في الشرِّ فعلُ الحيَّةِ مِن إرادةِ قتلِهم، وإرادتُهم قتلَها ليس شرًّا إنما هو دفعٌ للشرِّ، لكن بالمقابلةِ سمّاهُ هكذا، فسمّى فِعلَها شرًّا وهذا صحيحٌ، وفِعلَهم شرًّا مِن بابِ المشاكلةِ.

وقوله "مشاكلةٌ سابقةٌ والغالبُ فيها أن تكونَ لاحقةً" يعني أنّ المشاكلةَ في الأصلِ تكونُ تَبَعًا للّفظِ الأولِ فتكونُ لاحقةً، لكنّها هنا جاءت سابقةً، ولا ضررَ فاللَبسُ مأمونٌ في الحالين، هذا على توجيهِ الحديثِ بهذا اللفظِ.

وكان يليقُ بهِ أن يَذكرَ الحديثَ الذي فيه المشاكلةُ اللاحقةُ على الأصلِ الذي رواهُ أحمدُ وابنُ حبّان والبزّارُ والطبرانيُّ وغيرُهم بلفظِ: (وُقِيتُم شرَّها كما وُقِيَتْ شرَّكم) ولا إشكالَ في هذا اللفظِ كما ترى ويُحمَلُ ذاك على هذا أيْ على التقديمِ والتأخيرِ، واللهُ تعالى أعلم وأحكم.

هريرةَ قال: قال رسولُ اللهِ (ما سالَمْناهم) أي ما صالَحْناهم (منذُ حارَبْناهُم) وفي روايةٍ (منذُ عادَيناهم) قال ابنُ الملكِ: أي ما صالَحْنا الحيّاتِ منذُ وقَعَ بيننا وبينَهُنَّ الحربُ، فإنَّ المحاربَةَ والمعاداةَ بينَ الحيّةِ والإنسانِ جِبِلِّيَّةٌ[٢٤] لأنَّ كلاًّ منهُما مجبولٌ على طلبِ قتلِ الآخرِ، وقيلَ أرادَ العداوةَ التي بينَها وبينَ ءادمَ عليه السلامُ على ما يُقالُ[٢٥] إنَّ إبليسَ قَصَدَ دخولَ الجَنَّةِ فمَنَعَه الخَزَنَةُ فأدخَلَتْهُ الحَيَّةُ في فِيها فوَسوَسَ لآدمَ وحوّاءَ حتى أَكَلا منَ الشجرةِ المَنْهيَّةِ فأُخْرِجا عنها، قال تعالى: (اهبِطُوا بعضُكُم لِبَعْضٍ عَدُوٌّ) سورةَ الأعراف، والخطابُ لآدمَ وحواءَ وإبليسَ والحيّةِ، وكانت في أحسنِ صورةٍ فمُسِخَت فينبغي أن تدومَ تلكَ العداوةُ، وأَتى بضميرِ

(٢٤) الجِبِلَّةُ الطبعُ الذي جُبِلَ عليه، ويفسّرُها كلامُه بعدَها، وفي مصر يقولونَ في الذمّ (هذا الرجلُ جبِلّة) أي هذه طبيعتُه لا تتغيّرُ جُبِلَ عليها، لكنَّ العوامَّ لا تفهمُ هذا، بل تفهم منها أنها كلمةُ ذمٍّ، والأصلُ فيها ما ذكرتُه، واللهُ تعالى أعلم.

(٢٥) كذا وَرَدَ في عِدَّةِ تفاسيرَ.

العُقَلاءِ[٢٦] للحَيّاتِ وأَجراها مُجْراهم[٢٧] لإضافةِ الصلحِ الذي هو مِن أفعالِ العُقلاءِ إليهم ونظيرُه قولُه تعالى: (والشَّمْسَ والقَمَرَ رَأَيْتُهُم لي ساجِدِين)[٢٨] سورةَ يوسف، وإلاّ فكانَ يَنبَغي أن يقالَ: (ما سالَمْناهُنَّ منذُ حاربْناهُنَّ)

(٢٦) أي ميم جمعِ الذكورِ التي في سالمناهم وحاربناهم الخ.

(٢٧) فائدةٌ: تقولُ دخَلَ مَدخلاً، وأُدْخِلَ مُدْخَلاً، وكذا خرجَ مَخرجًا وأُخرجَ مُخرجًا، وعلى هذا فقس، ومنه قولُه تعالى: (وقلْ ربِّ أدخِلني مُدخَلَ صدقٍ وأخرِجني مُخرَجَ صدقٍ واجعَلْ لي مِن لَدُنكَ سلطانًا نصيرًا) الإسراءَ ٨٠، واللهُ تعالى أعلم وأحكم.

(٢٨) قال السَمينُ الحلبيُّ في الدرِ المَصُون: و"ساجدين" صفةٌ جَمعَ جَمْعَ العُقَلاءِ، فقيل: لأنه لمّا عامَلَهم معاملةَ العقلاءِ في إسنادِ فِعْلِهم إليهم جَمَعَهم، والشيءُ قد يُعامَلُ معاملةَ شيءٍ ءاخَرَ إذا شاركه في صفةٍ ما. انتهى

قلتُ: ليس مجرَّدُ إسنادِ الفعلِ إليها يكون سببًا في معاملتِها معاملةَ العُقلاءِ، فإنكَ تقولُ الأبقارُ شربَتْ، والنجومُ تلألأَتْ وكذا قولُه تعالى عنِ القمرِ: (فلَمَّا أَفَلَ)، إنما السببُ في هذا هو أنّها "سجدَت" وإسنادُ الفعلِ إليها هو السببُ في معاملتِها معاملةَ العُقلاءِ، لا مجرَّدُ إسنادِ الفعل، هذا هو مرادُ المؤلفِ رحمه الله، واللهُ أعلم.

وكذا قولُه (ومَن تركَ شيئًا منهم) أي مَن تركَ التعرُّضَ لَهُنَّ (خيفةَ) أي لِخَوفِ (ضَرَرٍ مِنْها) أو مِن صاحِبِها (فَلَيسَ مِنّا). رواه أبو داودَ، قال الطِّيبِيُّ: الضميرُ في قولِهِ (ما سالمناهم) لِلحيّاتِ، والقرينةُ ما رواه أبو داودَ أيضًا عنِ ابنِ عباسٍ: (مَن تَرَكَ الحيّاتِ مخافةَ طلبِهِنَّ فليسَ مِنّا، ما سالمناهُنَّ منذُ حارَبْناهن) وعنِ ابنِ مسعودٍ رضي الله عنه قال: قال رسول الله: (اقْتُلوا الحيّاتِ كُلَّهُنَّ فَمَنْ خافَ ثَأْرَهُنَّ فَلَيسَ مِني) رواه أبو داودَ والنَسائيُّ، وفي مُسنَدِ أحمدَ عنه[٢٩] مرفوعًا: **(مَن قَتَلَ حَيَّةً فكأنَّما قَتَلَ رجُلاً مُشرِكًا، ومَن تَرَكَ حَيَّةً مَخافَةَ عاقِبَتِها فليسَ مِنّا)**.انتهى كلامُه بحروفِه.

قلتُ: قد مرَّ معكَ لفظُ البخاريِّ، ولم أجدْه فيه بهذا اللفظِ الذي عزاهُ إليه القاري، وقد يكونُ في إحدَى النُسَخِ القديمةِ المفقودةِ، إنما هو فيه بالبناءِ للمجهولِ "وُقِيتُم" و"وُقِيَتْ"، أما النَسائيُّ فرواه باللفظين، واللهُ تعالى أعلمُ وأحكم.

---

[٢٩] أي عنِ ابنِ مسعودٍ.

الخلاصةُ

- الحيةُ حيوانٌ خبيثٌ أشدُّ الحيواناتِ عداوة ممسوخٌ كما في صحيح مسلمٍ وغيره.
- إنّ الشرعَ أمرَ بقتلِ الحيّاتِ لأنها خبيثةٌ، وهي أشدُّ الحيواناتِ عداوةً للإنسانِ، وفي قتلِها ثوابٌ كبيرٌ.
- إنّ قتلَها اتّباعٌ للسُنّةِ، بل إنَّ تركَ قتلِها مخالفةٌ للسُنّةِ مذمومةٌ كما صحَّ في الحديث، كحديثِ: (مَن غَشَّنا فَلَيسَ مِنّا). رواه مسلم.
- شجاعةُ الرفاعيةِ العظيمةُ لأنّهم لم يخافُوا ثأرَهنَّ، اتّكالاً على اللهِ تبارك وتعالى واتّباعًا وطاعةً لأمرِ النبيّ صلى الله عليه وسلم.

وهذا كلُّه بحمدِ اللهِ مِن مفاخرِ الرفاعيةِ التي تُعَدُّ مِن أمجادِهم وصدقِ اتّباعِهم للشرعِ.

لكنَّ الذهبيَّ يأبَى إلاّ أنْ يُظهِرَ أنَّ الرفاعيةَ خالفوا شرعَ اللهِ وتركوا سُنَّةَ نبيّهِ صلى الله عليه وسلم إرضاءً لتعصُّبه المقوتِ وتطييبًا لخاطرِ مَن يُحِبُّ مِمَّن تمسَّكَ بظاهرِ المتشابهاتِ، ويُسمِّي هذا الحالَ السُّنّيَّ الباهرَ الصادقَ المؤيَّدَ بالكراماتِ حالاً شيطانيةً، ثمّ يتغنَّى زُورًا يتبَعُ الأثرَ، وتخلَّى عن هنا.

فانظروا بماذا تحكمونَ عليهِ تبَعًا للشرعِ وقواعدِه، وانظروا ماذا يكونُ مَن سمَّى اتِّباعَ أوامرِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم حالاً شيطانيةً والعياذُ بالله.

مسئلةٌ عظيمةٌ:

روى الإمامُ أحمدُ ومسلمٌ وغيرُهما عن عبدِ اللهِ بنِ مسعودٍ قال:

كُنّا معَ النبيِّ صلى الله عليه وسلم فى غارٍ وقد أُنْزِلَت عليه (والمُرْسَلاتِ عُرْفًا)، فنحنُ نأخُذُها مِن فِيه رَطْبَةً، إذْ خَرجَتْ علينا حَيَّةٌ فقالَ: (اقتُلوها). فابْتَدَرْناها لِنَقْتُلَها فسَبَقَتْنا فقالَ

رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: **(وَقاها اللهُ شَرَّكُم كما وقاكُم شَرَّها)**.

قلتُ: فمِن عجيبِ أمرِ الرفاعيةِ أتباعِ الغوثِ الصدِّيقِ تاجِ الأولياءِ عزِّ الضعفاءِ وشيخِ أهلِ اللهِ الفقراءِ الأكابرِ سيِّدي ومولايَ أبي العلَمَينِ شيخِ العُرَيجا أحمدَ الرفاعيِّ قدَّسَ اللهُ سرَّهُ العظيمَ أنَّ اللهَ سخَّرَ لهم الحيّاتِ تأتي إليهم طائعةً لتُقتَلَ، وهذا يدلُّ على عظيمِ سلطانِهم ورفيعِ شأنِهم عند اللهِ تعالى.

ولك أن تتغنَّى بقولِه تعالى: ﴿فألقاها فإذا هي حيَّةٌ تَسْعَى. قال خُذْها ولا تَخَفْ﴾، واقرأْ سيرةَ الرفاعيةِ الأكابرِ وهم يأخذونَ الحيّاتِ بأيدِيهم أمانًا من اللهِ تعالى.

ولك أن تتغنَّى بقولِه تعالى: ﴿قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُم وَعِصِيُّهُم يُخَيَّلُ إِلَيهِ مِنْ سِحْرِهِم أَنَّها تَسْعَى﴾ وتعلمَ أن الرفاعيةَ تسعى الحيّاتُ إليهم، ويؤيِّدُهم اللهُ بزيادةِ كراماتٍ

فيضعونَها في أفواهِهِم ويقطعونَ رءوسَها بأسنانِهم ليُبْطِلوا كلَّ شُبهةٍ مِن أنها حِبالٌ ليستْ حيَّاتٍ، إذ لو كانتْ حبالاً لما قدروا على قطعِها بأسنانِهم، هذا إذا كانوا هم يُلقونَها، ولكنّها بإذن اللهِ وإذلالِهِ لها تأتي إليهم ساعيةً مطيعةً، يقطعون رءوسَها بأسنانهم ويَلُوكُونَها نيئةً ممتلئةً سُمًّا، عجبًا لا شُبْهَةَ فيهِ ولا مِرْيَةَ، فقد حَقَّتْ كلمةُ ربِّكَ (وَلَنْ يَجْعَلَ اللهُ لِلكافِرينَ على المؤمِنينَ سَبِيلاً) وحقَّت كلمةُ ربِّك (واللهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشاءُ إنَّ في ذلكَ لَعِبْرَةً لأُولِي الأَبْصارِ) وحقَّت كلمةُ ربِّك وهم يأخذونَ الحيّاتِ بأيديهم فلا خوفٌ ولا فزَعٌ (إِنَّكَ مِنَ الآمِنِينَ) فتباركَ القائلُ: (سَلامٌ قَوْلاً مِنْ رَبٍ رَحِيمٍ).

فائدةٌ عن الحيّاتِ:

قال النفراوي المالكيُّ في الفواكه الدواني ما نصُّه:

الثالث: قال في الذخيرة: قال عبد الله بن عباس: (الحياتُ هي مسخُ الجنِّ كما مُسِخَت بنو إسرائيلَ قردةً)، ثم قال:

جعل اللهُ تعالى للجانِّ والملائكةِ التحوُّلَ في أيِّ صورةٍ أرادوها، غيرَ أنَّ الملائكةَ إنما تقصِدُ الصورَ الحسنةَ، والجانُّ لا ينضبِطُ أمرُها بل بحسَبِ أخلاقِها وخساستِها، فالخسيسُ يقصِدُ الصورةَ الخسيسةَ، ومقابلَه الصورةَ العظيمةَ، وكلُّ صورةٍ تصوَّرَ فيها الجنُّ يثبُتُ لها خاصيَّةُ تلك الصورةِ، فالمتصوِّرُ بالحيَّةِ يصيرُ له سُمٌّ، والمتصوِّرُ بصورةِ الغنم يصيرُ له طِيْبُ اللحمِ وهكذا، ومع شدةِ قوَّةِ الجنّ يُقْتَلُونَ بأسماءِ الله، ويحصُلُ لهم العجزُ عمَّا أرادُوه مِن فتحِ الأبوابِ المغلَقَةِ وغيرِها مِن عظائمِ الأمورِ التي يقدِرُ عليها الجنيُّ.انتهى، أيْ أنّهم بذكرِ اللهِ كالبسملةِ على الأبوابِ تُوصَدُ فلا يستطيعونَ فتحَها، وهذا قد ورد في الحديثِ الشريفِ، فسبحانَ اللهِ ما أعظمَ اللهَ.

مِن عجائبِ مخالفاتِ الذهبيِّ:

قال الذهبيُّ في سِيَرِ أعلامِ النُبلاءِ في ترجمةِ سيِّدي سيفِ اللهِ المسلولِ خالدِ ابنِ الوليدِ نفعَنا اللهُ ببركاتِه وفيوضاتِه ءامين:

قال قيسُ بنُ أبي حازمٍ: سمعتُ خالدًا يقولُ: منعني الجهادُ كثيرًا منَ القراءةِ[٣٠] ورأيتُه أُتِيَ بِسُمٍّ، فقال ما هذا؟ قالوا: سُمٌّ، قال: (بِسْمِ اللهِ) وشرِبَه.

قلتُ: هذه واللهِ الكرامةُ وهذه الشجاعةُ.

يونُسُ بنُ أبي إسحاقَ: عن أبي السفر قال: نَزَلَ خالدُ بنُ الوليدِ الحِيْرَةَ على أُمِّ بَنِي المَرازِبَةِ، فقالوا: احذَرِ السُمَّ لا

[٣٠] أيْ قراءةِ القرءانِ، ثم ماذا أيـــها البطلُ والأعجوبةُ الجبلُ، يا صفحةَ الفخرِ في كتابِ الأمجاد، ويا نبعَ البركاتِ والفُيوضاتِ إذا ذُكِرَ الساداتُ الأجواد، قمتَ يا سيِّدي بالفرضِ وشغلَكَ عن النفلِ فأنت معذور، فكم قارئٍ للقرءانِ متقنٍ له أنتَ سببٌ فيه يا رايةَ النور، أعزَّكَ اللهُ في الدارينِ كما أعزَّ بكَ الإسلامَ، ويكفيكَ بركةً وفخرًا وفضلاً أنكَ قمتَ بكـــسرِ شبُهاتِ الباطلِ وخدمتَ الدينَ خيرَ خدمةٍ وجهاد، فَصِرتَ في الرجـــالِ وتَدَ الأوتاد، للهِ درُّكَ أيها العظيمُ تقومُ بكلِّ هذا وتحملُ حملَ الجبالِ بـــل تحمِلُ ما تنوءُ به الجبالُ وتتأسفُ على انشغالِك عن كتابِ اللهِ بـــسببِ قيامِك بحقِّ اللهِ، أنتَ واللهِ الرجلُ الرجلُ يا سيفَ اللهِ المسلولُ، ثَبَّتَنـــا اللهُ على نهجِكَ وأَمَدَّنا بأمدادِك ورضيَ عنكَ ونفعنا ببركاتِك ءامين ءامين.

تَسْقِكَ الأعاجِمُ، فقالَ: ائتُونِي بِهِ، فَأُتِيَ به، فاقتَحَمَه وقال: (بِسْمِ اللهِ) فلَمْ يَضُرَّهُ.انتهى كلامُ الذهبي بحروفِهِ

قلتُ: فمَن لي بشرحٍ لهذا التناقضِ العجيبِ المُريبِ، أيأكُلُ السُمَّ سيِّدُنا خالدُ بنُ الوَليدِ رضي اللهُ عنه وقدَّسَ سِرَّه فيَعتبِرُه الذهبيُّ شجاعةً وكرامةً واستقامةً، ويأكلُ السُمَّ الرفاعيةُ معَ الحيّاتِ وهي حيَّةٌ فيعتبرُه من الشياطينِ أعداءِ اللهِ والإسلامِ.

يا معشرَ العقلاءِ، هذا سُمٌّ قاتلٌ في ساعتِه لم يَضُرَّ الرفاعيةَ قَطُّ، سبحانكَ يا خالقَ النَفعِ والضُرِّ (**وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللهِ**).

فما هو وجهُ تفريقِ الذهبيِّ بينَ شُرْبِ سيِّدِنا خالدٍ السُمَّ وبينَ شُرْبِ الرفاعيةِ إيَّاه، فيجعلَ الأوَّلَ رحمانيًّا والثانيَ شيطانيًا، وقدِ افترَى الذهبيُّ في هذا، فإنَّ أوَّلَ ما يقولُه الرفاعيةُ هو (**بِسْمِ اللهِ الرحمٰنِ الرحيمِ**).

وقد روى الخلاّلُ في كراماتِ الأولياءِ واللالكائيُّ في شرحِ أصولِ السنةِ وغيرُهما بألفاظٍ متفقةِ المعنى أنَّ جاريةَ أبي مسلمٍ الخولانيِّ قالت له: يا أبا مسلم، ما زلتُ أجعلُ السمَّ في طعامِك منذُ كذا وكذا فما أراهُ ضرَّكَ، قال: ولِمَ جعلتِ ذلكَ، قالت: لأني جاريةٌ شابةٌ إلى جانبك فلا أنتَ تُدْنيني مِن فراشِكَ، ولا أنتَ تبيعني، قال: إنّي كنتُ أقولُ إذا أردتُ أنْ ءاكُلَ: (بسمِ اللهِ خيرِ الأسماءِ الذي لا يضرُّ معَ اسمِهِ داءٌ، ربِّ الأرضِ وربِّ السماءِ).

ولا أظنُّ الذهبيَّ يعتبرُها شيطناتٍ، لأنّ أبا مسلمٍ ليس رفاعيًّا.

ألَم يُفكِّرْ كيفَ لا يضرُّهم السُمُّ أيضًا بإذنِ اللهِ أم كما قال الشاعر:

وَعَيْنُ الرِضَا عن كلِّ عَيْبٍ كَلِيلَةٌ

ولكنَّ عَيْنَ السُّخْطِ تُبْدِي المساوِيَا

نحنُ نعرفُ الرفاعيةَ واللهِ معرفةً حقَّةً، والذهبيُّ لا يعرِفُهم واللهِ لا مِن قريبٍ ولا مِن بعيدٍ (**ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ**).

وإني أُشهِدُ اللهَ أني رأيتُ بعينيَّ أحدَ الرفاعيةِ يمسكُ الحيةَ فتغرزُ أنيابَها في أذنهِ وتبثُّ السمَّ ويمسحه بخرقةٍ ورأيتُ السمَّ على الخرقةِ والرجلُ يذكرُ اللهَ ولا يُبالي، هذا حصل في سوريا.

فالرفاعيةُ في هذا على قَدَمِ سيِّدِهم خالدِ بنِ الوَلِيدِ رضي اللهُ عنه، وهذا حُجَّةٌ عليهِ، وأنَّى للذهبيِّ على جَفافِ مَورِدِهِ في هذه الأمورِ أن يُدرِكَ هذا، قد صدَقَ اللكنويُّ في وصفِهِ في الرفعِ والتكميلِ بأنَّ قلبَهُ خلا عنِ أنوارِ التصوُّفِ والعِلمِ الوَهْبِيِّ فكانَ فيها جافًا.

لكنَّكَ لو أقسَمْتَ باللهِ ما حنِثْتَ أبدًا على أنَّه لو كانَ الرفاعيةُ يُوافقونَه في المعتَقدِ لَمَدَحَهم أعظمَ مَدْحٍ وقال في

حَقِّهِمُ الذي قلتُه، قبَّحَ اللهُ العصبيّةَ والتَعامِيَ عن الحقِّ وهو رأيَ العينِ كالشمسِ في كَبِدِ السماء.

يأبى اللهُ تعالى إلا تأييدَ الصادقينَ، ويأبى الذهبيُّ إلا تكذيبَهم {يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الكافِرُونَ}

قال الذهبيُّ: (وهذا لا عرفَه الشيخُ ولا صلحاءُ أصحابِه)

قلتُ: هذا كَذِبٌ كما تبيَّنَ معكَ.

قال: (فنعوذُ باللهِ من الشيطان)

قلتُ: إيْ واللهِ نعوذُ باللهِ مِن كلِّ شيطانٍ ومِن وساوسِ الشياطينِ التي تدعو إلى العصبيةِ البغيضةِ والبُهتانِ ومِن شرِّ كلِّ مَن تَزَيّا بزيِّ أهلِ العلمِ واستعملَ نعمةَ اللهِ عليهِ في الافتراءِ على الطاهرينَ أولياءِ اللهِ الأكابرِ.

وبعدَ هذه البياناتِ والحجَجِ الساطعةِ المؤيَّدَةِ بالدليلِ على أنّ كلَّ هذا من الصدقِ وحُسْنِ الحالِ، لا يُلتفتُ إلى الذهبي في هذا كلِّه.

تنبيهٌ مهم: قد يقولُ شخصٌ إنّ الذهبيَّ يمدحُ الصوفيةَ في كتابِه في عدةِ مواضع.

والجوابُ: هذا ما يظهرُ، أما الناظرُ بعينِ الإنصافِ فيعلمُ أنه يقعُ فيهم كثيرًا ويتّهمُهم والأشاعرةَ بأشياءَ باطلةٍ، وإن أرادَ الذكرَ بخيرٍ لا يفي حقَّ مَن هو في نظرِه خصمٌ، وقد كان سببَ هذا أيضًا عدةُ أمورٍ، منها بَخْسُ حقِّ المترجَمِ فإن كان لهُ ألفُ ألفِ حسنةٍ ذكر له ثلاثةً ويَعُدُّ نفسَه مُكثِرًا، وذكرَ ما قيل من الطعنِ فيهِ ولو كذِبًا وافتراءً وهو على بيِّنَةٍ من أمرِه، وأما إن كان مشبِّهًا مجسِّمًا أو كما يسمّونه متحنبلاً فتراهُ يبقى يذكرُ محاسنَه حتى ينكسرَ قلمُه أو ينعدِمَ مِدادُه.

ولا يَغُرَّنَّكَ قولُه عن السيدِ أحمدَ الرفاعيِّ (الزاهدُ القدوةُ) فقد قال عن الجُبّائيِّ المعتزليِّ لعنه الله (الإمامُ القدوةُ)، ولا أدري هل هي كلمةٌ يكتبُها لرفعِ العتبِ وطرحِ التثريبِ عنه أم كانَ في حالِ صفاءِ ذهنٍ، وكما وصفَه تلميذُه التاجُ

السُبْكيُّ رضي الله عنه: إذا غضِبَ أطلقَ لسانَه. نسألُ اللهَ سلامةَ الدين ءامين.

وارجعْ إلى ترجمَةِ السيِّدِ الإمامِ الحارثِ المحاسبِيِّ في سيره وانظُرْ كيفَ مدحَه أولَها ولم يهدأْ له بالٌ حتى أتى على الرجلِ بالذمِّ والطعنِ وبه ختَمَ ترجمتَه والعياذُ بالله، وقارِنْ كيفَ ترجمَه الإمامُ التاجُ السبكيُّ في طبقاتِه بلسانِ العدلِ والإنصافِ والنصيحةِ، فالسبكيُّ معتدلٌ والذهبيُّ متعصِّبٌ.

ومِن الأسبابِ في تخبُّطِه هذا مَن كان يُحيطُ بهِ في تلك الفترةِ فأهلُ العلمِ الأكابرُ وغيرُهم كانوا أهلَ سُنّةٍ أشاعرةً ماتريديةً وقد امتُحنَ أصحابُه وابتُلُوا بالشدائدِ مِن سَجْنٍ وإهانةٍ وضربٍ على فتاويهمُ الباطلةِ كابنِ تيميةَ فقد ماتَ وهو يتردَّدُ إلى السجنِ كأنَّه يَصِلُ رحِمَه هناك، وابنُ القيِّمِ تلميذُه الحريصُ على تتبّعِ كفرِه والانتصارِ له عندما وافقَه في بعضِ المسائلِ سُجِنَ وأُهينَ وطِيفَ به على دابّةٍ مخالِفًا أي وجهُه

تُجاهَ مؤخَّرةِ الدابّةِ، وكذا ابنُ كثيرٍ الحافظُ عندما وافقَ ابنَ تيميةَ في مسئلةِ الطلاقِ التي خرقَ بها الإجماعَ فضَلَّ وأضلَّ كذلك طيف به على الدابّةِ مُهانًا مضروبًا كابنِ القيِّمِ في دمشق تحذيرًا للناسِ منه بأمر السلطان، وما كان الذهبيُّ لِيُحِبَّ هذا المصيرَ فستَر شيئًا من تَحرُّقِه على الأشاعرةِ الصوفيةِ، لكن إن استطاعَ اللَّمْزَ والغمزَ فلا يقصِّرُ في فريستِه المقتولةِ حتمًا على يدِه، ولا يتأخر طرفةَ عينٍ عن صيدِه الثمين.

والسيِّدُ أحمدُ الرفاعيُّ رضي الله عنه متَّفَقٌ على جلالتِه وإمامتِه وولايتِه، والكلُّ مُذْعِنٌ بفضلِه وكراماتِه المتواترةِ المتتاليةِ كان مِن أكملِ المُرشِدِين وصَفوةِ العلماءِ العاملين، وسار أتباعُه على نهجِه علمًا وعملاً، ولا يقدَحُ في صدقِ انتمائِه إلى النهجِ القويمِ والمسلكِ المستقيم إذا عُلِم انحرافُ واحدٍ أو شرذمةٍ عنه، وقد نصَّ السيِّدُ أحمدُ على براءتِه من كلِّ مَن خالفَ طريقَ السنةِ المطهَّرةِ، كما أنّه لا يقدَحُ في

صدقِ سيِّدِنا محمدٍ صلى الله عليه وسلم انحرافُ بعضِ الصحابةِ كالذين وقعوا في الزنا والذي غَلَّ من غنيمةِ المعركةِ دينارينِ ذهبًا، أو كالذي قاتلَ الخليفةَ الحقَّ أميرَ المؤمنينَ عليَّ بنَ أبي طالبٍ عليه السلامُ وكانَ السببَ في أن يقومَ أحدُ حُثالةِ الناسِ وأراذلِهم بلطْمِ السيدَةِ زينبَ بنتِ علي بن أبي طالبٍ الطاهرةِ بنتِ بنتِ أكرمِ الناسِ على وجهِها كما في تاريخ الطبري وابنِ كثير وغيرِهما، وعلى الرغم من كبيرِ إثمِ هؤلاءِ لم يكن كلٌّ هذا وليجةً إلى الطَعنِ في صحةِ دعوى صاحبِ الشريعةِ عليه الصلاة والسلام.

وما رأيتُه من كلامِ الذهبيِّ فيه تخليطٌ وكذبٌ وتهويلٌ ولا يليقُ بمنتَسِبٍ إلى العلمِ أن يقولَه فكيف بحافظ كبير، ولا أشكُّ قدرَ ذرَّةٍ أنه من التعصبِ على الأشاعرةِ، هذا التعصُّبُ الذي زرعَهُ ابنُ تيميةَ في أصحابِه إلا مَن رحِم ربي، فأنبَتَ ضغينةً تتحكَّمُ بصاحبِها وتغلِبُه على علمِه ولو بلغَت مرتبتُه في العلمِ عَنانَ السماء، سبحانَ مَن بيدِه كلُّ شيء.

فكان ذاكَ سببًا لإنكارِ الذهبيِّ على الرفاعيةِ من حيثُ دخولُهم النارَ واللَعِبُ بالحيّاتِ الحيَّةِ وركوبُ الأُسُودِ وغيرُ ذلك، فأينَ عِلْمُ الذهبيِّ وأينَ ضاعتْ منه أدلَّةُ العلمِ المتوارَثةُ المنقولةُ عبرَ العصور وهو بها خبير، إنّه لَمُحزنٌ أن تعلمَ أنه قد ضيَّعَها التعصُّبُ المذهبيُّ العقائديُّ، ولم يحفَظْ بينَ يديهِ دليلاً واحدًا يردَعُ شيطانَه، فيا سلامُ سلِّمنا ويا رحمٰنُ ارحَمْنا ولا تفتِنّا في دينِنا ءامين.

فأطلَقَ لسانَه في أسيادِ الناسِ الصوفيةِ وهم الذين قال فيهم الإمامُ أحمدُ بنُ حنبلٍ رضي الله عنه وهو الصِدِّيقُ الوليُّ الكبيرُ: (ما علمتُ قومًا أفضلَ منهم) كما رواه عنه القلانِسيُّ على ما في غذاء الألباب وغيرِه.

فكانَ أعدَلَ الأقوالِ في الذهبيِّ قولُه نفسُهُ في كتابِه تذكرةِ الحفّاظ:

وإنْ غلب عليكَ الهوى والعصبيةُ لرأيٍ ولمذهبٍ فبالله لا تتعبْ، وان عَرَفتَ أنّكَ مُخَلِّطٌ مُخَبِّطٌ مُهمِلٌ لحدودِ اللهِ فأَرِحْنا منك.انتهى

ولا أدري كيفَ اغترَّ بكلامِ ابنِ تيميةَ وقال إنّ دخولَ النارِ حالٌ شيطانيةٌ، وغابَ عن ذهنِه أن الشيطانَ نفسَه يحترقُ في النارِ ويهرُبُ منها.

فإن قلتَ كيفَ وهو مخلوقٌ من مارجٍ من نار؟

قلتُ كما يؤثِّرُ فيك الطينُ إذا ضُرِبتَ به وأنت من طين، فالطريقُ إلى هذه الشبهةِ مسدودٌ، وهذا أحدُ مداخلِ المُلحدِين إلى الطعنِ في دين الإسلام، يقولون كيف يتألم الشيطان من النار في الآخرة وهو من نار، وهذا الذي ذكرتُه هو أحدُ الأجوبة المُلجِمة بإذن الله.

فقد أسأتَ إساءةً شديدةً يا بشار عواد معروف، ألم ترَ بعينيك أن الذهبي لم يذكر شيئًا واحدًا مما يسميه أحوالاً شيطانية، وهذا كذبٌ إذ كيف يكونُ لهم أحوالٌ شيطانيةٌ بدخولِ النارِ ويُسلِمُ السلطانُ أحمدُ بنُ هولاكو على أيديهم ويقومُ بنشر الإسلامِ في بلادِه ويجبرُ الناسَ على اتّباعِه، فإنّ مِن العجائبِ أن يُعينَ الشيطانُ على دخولِ الإسلامِ، وهو يُعِينُ ملِكًا ابنَ ملكٍ فينشرُ الإسلامَ ويكثرُ أتباعُه، هذا من الكذبِ الذي تَمُجُّه الأسماعُ وتنفِرُ منه الطباعُ، قبّح اللهُ ابنَ تيميةَ على ما أفسد، فكيف يصفو لابن تيميةَ العيشُ بل كيف يسوغُ له شرابٌ وهو يزعمُ أنه القائم بجهادِ التتارِ وقد أتعب نفسَه كثيرًا ليصلَ إلى مرتبةِ المجاهدين في أعيُنِ الناس، ثم يظهرُ له الرفاعيةُ ويأخذون أحمد بن هولاكو ويدخلون به النار ويخرجُ سليمًا ثم يكونُ ما عُرفَ من إسلامِه، فهل كان الشيطانُ يومًا معينًا للناسِ على نشرِ الإسلام.

سارَتْ مُشرِّقةً وسِرتَ مُغرِّبًا ... شتّانَ بينَ مُشرِّقٍ ومُغرِّبِ

وأوَّلُ حماقاتِ ابنِ تيميةَ أنّه زعمَ أن هذه الحالَ الشيطانيةَ سببُها أنهم يدَّهنونَ بشيءٍ يمنعُ احتراقَ أجسادَهم من زيتِ الخردلِ وما شابَهَ، هذه حماقةٌ ساقطةٌ من أولِ نظرةٍ، فماذا عن ثيابهم، ألا تؤثرُ فيها النارُ عندما ينامونَ في الأفرانِ وهي مشتعلةٌ ويذكرونَ اللهَ في قلبِ النارِ العظيمةِ حتى تنطفئ، ولماذا لم يفعلْها الناسُ، فأينَ دليلُ صدقِ ابنِ تيميةَ، ما أكثرَ ما أفسَدَ في الأمةِ.

ماذا عن تَنَشُّقِ النارِ في النارِ هل يستطيعُ دُهنُ ابنِ تيميةَ العجيبُ أن يجعلَ ألسِنَةَ النارِ بردًا وسلامًا على النَفَس مع العلمِ بفقْدِ الهواءِ في النار، تبًّا ما أخبثَ كلامَه، والأحمقُ الذي يقلِّدُه ويصدِّقُه بعد أن يعطِّلَ عقلَه ودينَه.

فما كانَ على ابنِ تيميةَ في هذه الحالِ سوى أن يدَّهِنَ بهذه الخلطةِ العجيبةِ التي زعمَها ويُثبتَ للناسِ يقينًا بالقولِ والعملِ لا بالقيلِ فقط أنَّ الرفاعيةَ الذين يدخلونَ النارَ بل ينامونَ

فيها حتى تنطفئَ يستعملونَ هذا الدُهنَ، ولا يقولونَ (يا نارُ كوني بردًا وسلامًا عليَّ كما كنتِ بردًا وسلامًا على إبراهيم).

تنبيهٌ مهم: ابنُ تيميةَ قال للرفاعيةِ نغسلُ أجسادَنا بالخلِّ والأُشْنانِ – نبتةٌ عَمَلُها كالصابون – وندخلُ النارَ، ولو دخلتموها وخرجتم سالمينَ فذلك مِن عملِ الشيطانِ أيضًا (كما في مناظرتِه المزعومةِ التي لا يرويها غيرُه وقد قام بنشرِها أحدُ الدجّالينَ عبدُ الرحمٰن دمشقية المعتزليٌّ شاءَ أم أبى)

فحسَم ابنُ تيميةَ المسئلةَ بأنهم سواءٌ دخلوا النار وخرجوا سالمينَ أم لا فهو مِن عملِ الشيطانِ، فما الحكمةُ من دخولِ النارِ إذن أيّها المتكبرُ الحقود؟

فابنُ تيميةَ بلغَ في الخُبثِ حدًّا تجاوزَ مشركي أمّةِ سيّدِنا إبراهيمَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ، فلم يتّهمْه أحدٌ بهذا، ولو كانَ هناك مدخَلٌ للشكِّ لما جعلَها اللهُ ءايةَ إبراهيمَ الكبرى في الإعجازِ، أم أنَّ هذا الإعجازَ القرءانيَّ بطَلَتْ حجّتُه عندَما اخترعَ ابنُ تيميةَ هذا الدُّهنَ المزعوم.

بيانُ كذبِ ابنِ تيميةَ: ابنُ تيميةَ يقولُ بأنّ الرفاعيةَ يقومونَ بدَهنِ أجسادِهم بمادةٍ تمنع احتراقَ أجسادِهم، وهذا تشكيكٌ باطلٌ ولا دليلَ له عليه، وفي هذا النصِّ ما يُثبتُ كذبَه وهو من المنهل الصافي والمستوفَى بعدَ الوافي عند ذكرِ أحمد بنِ هولاكو ملكِ التتارِ الذي أسلَم على يدِ الرفاعيةِ ونصُّه:

وفي أيامِه فشا الإسلامُ بتلكَ الممالِكِ وأظهرَ شعائرَ الإسلامِ وبَنى المساجدَ والجوامعَ، وألزمَ أهلَ الذمةِ بلُبسِ الغيارِ، وضربَ عليهم الجزيةَ، وصار يتقيدُ بالأحكامِ الشرعية... ثم قال:

وسببُ تسميتِه أحمدَ هو أن الفقراءَ الأحمديةَ دخلوا به في النارِ بينَ يدَيْ هولاكو فوهَبَه لهم وسمَّاه أحمدَ، ودام المذكورُ

في المملكةِ إلى أن قتلَه أرغون بن أبغا، وكان ملكًا شجاعًا مِقْدامًا مسلمًا ديِّنًا، وفي أيامه انتشرَ الإسلامُ ببلادِ الشرقِ وغيرِها رحمه الله تعالى.انتهى

والسببُ في قتلِ السلطانِ أحمدَ رحمه الله هو أنّه أرادَ أن يُلزمَهم بدينِ الإسلامِ فتآمروا عليه وقتلوه، عليه رضوانُ الله، كما في تاريخِ المختصر في أخبار البشر لأبي الفداء وغيرِه.

وفي السلوك لمعرفة دول الملوك مِن سنة ٦٨٢ ما نصُّه: وفي جمادى الأولى خرج أرغون بن أبغا على عمه تكدار المسمى أحمد سلطان بخراسان، فسار إليه وقاتله وهزمه ثم أسره، فقامت الخواتين مع أرغون، وسألن الملك تكدار أحمد في الإفراج عنه وتَوليَتِه خراسان، فلم يرضَ بذلك.

وكانت المغل قد تغيرت على تكدار– أي نفرَت منه–، لكونه دخل في دينِ الإسلامِ وإلزامِه لهم بالإسلام، فثاروا وأخرجوا أرغون من الاعتقال، وطرقوا ألناق نائب تكدار ليقتلوه ففر منهم فأدركوه وقتلوا تكدار أيضًا.انتهى

وفي مآثر الإنافة فيمن تسمَّى بالخلافة (ج٢ص١٢٧) ما نصُّه: وهَلَك هولاكو سنةَ أحدى وثمانين وستِّمائةٍ وملَكَ بعدَه ابنُه تكدار فأسلم وتسمى أحمد وتلقب أحمد سلطان وخاطب ملوكَ عصرِه **وهو أولُ مَن أسلم من بني هولاكو ثم قَتَله عسكرُه مِن المغل لما نقموا عليه من إسلامه**.انتهى

فهل هذا الفتحُ العظيمُ ونشرُ الإسلامِ في بلادِ التتارِ وإقامةُ شريعةِ الله تعالى بسببِ الرفاعيةِ من عملِ الشيطانِ يا معشرَ العقلاء؟ وهل الرفاعيةُ أخذوا ابنَ هولاكو ودهنوا جسدَه بوصفةِ ابنِ تيميةَ العجيبةِ التي اخترعها قبلَ أن يُدخِلوه النارَ معهم؟ وما أتعس الذهبيَّ وهو تبَعٌ له فيها.

قاصمةُ ظهرِ ابنِ تيميةَ ومَن تبعَهُ:

إنَّ دخولَ الرفاعيةِ النارَ مع السلطانِ أحمدَ بنِ هولاكو يقطعُ كلَّ لسانٍ في اتّهامِ الرفاعيةِ بدَهنِ أجسادِهم، ولو سلَّمْنا هذا فهو ممتَنعٌ في حقِّ أحمدَ بنِ هولاكو، وإلاّ لزِمَ عليهِ

أنْ يكونوا أخذوهُ ودهنوا جسدَهُ وثيابَهُ وداخلَ فمِه بغيرِ علمِ أبيهِ هولاكو، ولا قائلَ بهِ.

ولو كان كما زعمَ الذهبيُّ مِن شيطناتِ التتارِ لَمَا خفِيَ على هولاكو نفسِهِ، ولَمَا وهبَهُم ابنَهُ توكدار وصار فأسلمَ على أيديهم ونشأ مسلمًا رفاعيًّا، وكان هولاكو يقولُ لهم: هذا سحرٌ من عندِنا، وكان عاقبَهم على خديعتِهم، وسيأتي قصةٌ أخرى عن الرفاعيةِ معه وظهورُ الحقِّ في أنّ هولاكو علمَ أنّه ليس سحرًا أبدًا.

القولُ الفصلُ في كذبِ ابنِ تيمية والذهبي:

قال الإمامُ العالمُ العلاّمةُ الفقيهُ الرَحّالةُ شرفُ الدينِ أبو عبدِ الله محمدُ بن عبدِ الله المعروفُ بابنِ بَطّوطةَ في كتابِه (تحفةُ النُظّار في غرائبِ الأمصار وعجائبِ الأسفار) المعروفِ برحلةِ ابنِ بطوطة عند ذكرِ (مدينةِ واسطَ) في العراق ما نصُّه:

وكان في القافلةِ التي وَصَلْنا فيها جماعةٌ من الناس أتوا لتعلُّمِ تجويدِ القرءانِ على مَن بها مِن الشيوخِ وبها مدرسة عظيمة

حافلة فيها حوالي ثلاثمائة خلوة ينــزلها الغرباء القادمون لتعلم القرءان عمَّرَها الشيخُ تقـــيُّ الدينِ عبدُ المحسنِ الواسطيُّ وهو من كبارِ أهلها وفقهائِها ويُعطي لكلِّ متعلِّمٍ بها كسوةً في السنةِ ويُجري له نفقتَه كلَّ يومٍ ويقعُدُ هو وإخوانُه وأصحابُه لتعليمِ القرءانِ بالمدرسةِ، وقد لقيتُه وأضافني وزوَّدَني تمرًا ودراهمَ ولمّا نزلنا مدينةَ واسط أقامت القافلةُ ثلاثةً بخارجِها للمتاجرةِ فَسَنَح لي زيارةُ قبرِ الوليِّ أبي العباسِ أحمدَ الرفاعيِّ وهو بقريةٍ تعرف بأمِّ عَبيدةَ على مسيرةِ يوم من واسطَ فطلبتُ من الشيخِ تقيِّ الدينِ أن يبعثَ معي مَن يُوصِلُني إليها فبعث معي ثلاثة من عرب بني أسد وخرجت ظهرا فبت تلك الليلة بحوش بني أسد ووصلنا في ظهر اليوم الثاني إلى الرِواقِ وهو رِباطٌ عظيمٌ فيه ءالافٌ من الفقراءِ وصادفنا به قدوم الشيخ أحمد كُوجُك حفيد ولي الله أبو العباس الرفاعيُّ الذي قصدنا زيارتَه وقدم من موضع سكناه من بلادِ الرومِ برسم زيارتِه قبرَ جدِّه وإليه انتهت الشياخة بالرِواقِ ولما انقضت صلاةُ العصر ضُربت الطبولُ

والدفوفُ وأخذ الفقراء في الرقصِ ثم صَلَّوا المغربَ وقدموا السِماط وهو خبزُ الأرُزِّ والسمكُ واللبنُ والتمرُ فأكل الناسُ ثم صلَّوا العشاءَ الآخرةَ وأخذوا في الذكرِ والشيخ أحمدُ قاعدٌ على سجادةِ جدِّه المذكورِ ثم أخذوا في السماعِ وقد أعَدُّوا أحمالاً مِن الحطبِ فأجَّجوها نارًا ودخلوا في وسَطِها يرقصون ومِنهم مَن يتمرَّغُ فيها ومنهم مَن يأكلُها بفَمِه حتى أطفؤوها جميعًا، وهذا دَأْبُهم، وهذه الطائفةُ الأحمدية مخصوصةٌ بهذا، وفيهم مَن يأخذُ الحيةَ العظيمةَ فيعَضُّ بأسنانه على رأسِها حتى يقطعَه.انتهى

وقد تقدَّمَ قولُ الجلالِ اللاريِّ في جلاءِ الصدى أنّ الرفاعيةَ (يسقونَ الناسَ السمَّ)، ولو كانَ شيطانيًّا لماتوا.

قلتُ: فالحمدُ لله قد ظهر كذبُ الاثنينِ، وفضيحةُ ابنِ تيميةَ أشدُّ في دعوى هذا الدُّهنِ المخترَعِ من عندِه فإنّ الدهنَ لا يثبتُ في اللسانِ أو داخلَ الفمِ وقد رءاهم الفقيهُ الثقةُ ابنُ

بطوطة يأكلونَ الجمرَ الملتهبَ من دونِ أن يصيبَهم أذىً بحمدِ اللهِ ويتمرّغونَ في النارِ العظيمةِ الملتهبةِ دونَ أنْ تُصابَ ثيابُهم بأذى ومِن دونَ دهنِ ابنِ تيمية، أما كذبُ الذهبيّ فلدَعواهُ المفتراةُ أنْ لا الشيخُ ولا أصحابُه عرفوا هذا، وقد عرفتَ بهذا حقدَهما ودعواهما حسدًا وبهتانًا أنّ أهلَ هذه الكراماتِ السُّنّيةِ الشريفةِ أصحابُ أحوالٍ شيطانية والعياذُ باللهِ، هذه عاقبةُ التعصُّبِ، سلَّمَنا اللهُ وعصمنا منها ءامين.

تنبيهٌ: ليس معنى الرقصِ المذكورِ عندَ الرفاعيةِ أو غيرِهم مِن الصوفيةِ كما يفهمُه العوامُّ، بل هو شيءٌ من التمايُلِ مع النَفَسِ وما شابَه من دونِ تثنٍّ أو تكسُّرٍ، وفي بلادِ بُخارَى وسَمَرقندَ وما جاوَرَها رقصُهم مع الذكرِ يكونُ ركضًا دائريًّا، وكلُّ هذا يُشبِهُ قرعَ الطبولِ في الحربِ للحماسَةِ في قتالِ العدوِّ، وما كانَ فيه هيئاتٌ منكَرَةٌ فأهلُ اللهِ بريئونَ منه، واللهُ تعالى أعلمُ وأحكم، وسيأتي في ءاخرِ الكتابِ دليلُه.

بيانُ الضلالِ في دعوى الشَيْطَنَةِ في هذه الكرامةِ

لقد مدحَ اللهُ تعالى يقينَ نبيِّهِ إبراهيمَ عليه الصلاة والسلامُ وذكرَ معجزتَه الكبرى في مقامِ الامتنانِ والإعجازِ الذي بهَرَ الألبابَ ولم يستطِعِ المشركونَ من كلِّ طائفةٍ أن يُعارضوه بالمثلِ إلى هذا اليومِ، فالطعنُ في كرامةِ الرفاعيةِ وأنّهم يدخلونَ في النارِ وهي مشتعلةٌ وكذا دخولُ التنانيرِ – جمعِ تَنُّورٍ – وهي تضطرمُ وتسميتُه حالاً شيطانيةً يكونُ ضلالاً لأنّ الكرامةَ بعينِها معجزةٌ للنبيِّ كما سيأتي ودليلُ صدقٍ بل من أوضحِ أدلةِ الصدقِ في اتّباعِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم وأنهم على قدمٍ راسخةٍ في الثبوتِ، ومَن قال بجوازِ معارضةِ المعجزةِ بالمثلِ فقد أبطَلَ النبوَّةَ ومَن أبطلها كان كافرًا بالإجماع.

فدخولُ النارِ المضطرِمةِ والذِكرُ فوقَها أو النومُ فيها مِن دونِ أن يُمَسَّ داخلُها بسوءٍ لا جلدُه ولا شَعَرُه ولا ثيابُه ويستنشقُ فيها الهواءَ وينامُ أيضًا لَدَليلٌ صريحٌ في صدقِ

المدَّعِي وأن مَن طعنَ فيهِ هو المخذولُ كابنِ تيمية، ولا عجبَ فقد قال البناني في تحفة أهلِ الفتوحاتِ والأذواقِ نقلاً عن أبي زيدِ بنِ زكريا الصِنهاجِيّ ص٦٤ **في عقوبةِ من يطعَنُ في الصالحين:**

الأولى: يَنزعُ اللهُ سِيْما الصالحين من وجههِ.

الثانية: يُسلَبُ مِن العلمِ والدينِ أي في الحينِ أو بعدَ الحينِ ويُبتلى بأنواعِ المِحَنِ والبلايا والأمراضِ في نفسه وجنسه في ظاهرِه وباطنِه عياذًا باللهِ **كما وقع لابن تيمية.**انتهى

(ابنُ تيميةَ يكذِبُ ويُريدُ استتابةَ الإمامِ مالكٍ وغيرِه)

ففي مجموعِ الفتاوي:

سئلَ: عن رجلٍ فلاحٍ لم يُعَلَّم دينَه ولا صلاتَه وإنّ في بلدِه شيخًا أعطاه إجازةً وبقي يأكلُ الثعابينَ والعقاربَ ونزل عن فلاحته، ويطلب رزقه، فهل تجوز الصدقة عليه أم لا.

فأجاب: الحمد لله، أكلُ الخبائثِ **وأكلُ الحيّاتِ والعقاربِ حرامٌ بإجماعِ المسلمينَ، فَمَن أكَلَها مستَحِلاً لذلك فإنه يُستتابُ فإن تاب وإلا قُتِلَ.**

ومَن اعتقد التحريمَ وأكَلَها فإنه فاسقٌ عاصٍ للهِ ورسولِه، فكيفَ يكونُ رجلاً صالحًا، ولو ذَكّى الحيَّةَ لكانَ أكلُها بعدَ ذلك حرامًا عند جماهيرِ العلماءِ).انتهى بحروفِه

قلتُ: كذَبَ، أعوذُ باللهِ من هذا الافتراءِ، ولو كانَ فيهِ عقلٌ سليمٌ لما ادَّعى الإجماعَ وأفتى باستتابةِ أو قتلِ مستحِلِّها، ويقولُ بعدَها لو ذكّاها لكان حرامًا عند الجماهيرِ.

وقد استحلَّ الإمامُ مالكٌ أكلَ العقربِ والحيَّةِ وغيرِهما، فهل كان ابنُ تيميةَ سَيستَتيبُ الإمامَ مالكَ بنَ أنسٍ إمامَ دارِ الهجرةِ الإمامَ المجتهدَ الوليَّ الذي ملأَ الدنيا علمًا وخيرًا على كفره وردَّته بقطعِ رأسهِ أم يحكم عليهِ بالفِسقِ والعصيانِ والعياذُ بالله.

قد قلتُ لك سابقًا إن سببَ التخبُّطِ والبلاءِ في المجتمعِ الإسلاميّ يعودُ أغلبه إلى ابنِ تيميةَ، وهو رجلٌ متهوّرٌ يدّعي الإجماعَ فورًا ولا يخجلُ من هذا الكذبِ وكأن الناس دونَه لا علمَ ولا عقلَ لهم.

أَمِثلُ الإمامِ مالكٍ وغيرِه مِن المجتهدينَ لا يُعتبَرُ في الإجماعِ يا ابنَ تيميةَ أيها المعجَبُ برأيكَ وحدَه. لا حول ولا قوةَ إلا باللهِ العليّ العظيم.

قال ابنُ القاسمِ في المدَوَّنَةِ أحدِ مراجعِ المالكيةِ بل المسلمين عمومًا: قلت: فهل كان يوسّعُ في أكلِ الحيّاتِ والعقاربِ؟

قال: لم يكن يرى بأكلِ الحَيّاتِ بأسًا، قال: ولا يؤكلُ منها إلا الذكيُّ – أي المُذَكّى بذبحِه – قال: ولا أحفظُ في العقربِ من قولِه شيئًا، ولكن أرى أنه لا بأس به.انتهى، والمدوّنةُ هي عمدةُ المالكيةِ.

هذا في إحدى الروايتينِ عنه، والثانيةُ كما حكاها عنه الإمامُ الطحاويُّ:

وقال ابنُ القاسمِ عن مالكٍ لا بأسَ بأكلِ الضِّفدعِ، قال ابنُ القاسمِ: قولُ مالكٍ رضي الله عنه لا بأسَ بأكلِ خُشَاشِ الأرضِ وعقاربِها.انتهى من مختصرِ اختلافِ العلماءِ وسيأتي ذكرُه.

وفي مغني الحنابلةِ ج١١ص٦٥:

فمِن المستخبثاتِ الحشراتُ كالديدانِ والجُعلانُ وبناتُ وردانَ والخنافسُ والفأرُ والأوزاغُ والحرباءُ والعضاءُ والجراذينُ والعقاربُ والحياتُ، وبهذا قال أبو حنيفة والشافعي، ورخّصَ

مالكٌ وابنُ أبي ليلى والأوزاعيُّ في هذا كلِّه إلا الأوزاعَ، فإنّ ابنَ عبدِ البرِّ قال: هو مجمعٌ على تحريمِه، وقال مالكٌ الحيةُ حلالٌ إذا ذُكِّيَت، واحتجوا بعموم الآية المبيحة.انتهى

بل قال الإمام الطحاوي كما في مختصَرِه مختصرِ اختلافِ العلماءِ للجصَّاص الرازي: كرِه أصحابُنا أكلَ هوامِّ الأرضِ اليربوعِ والقنفذ والفأر والحياتِ والعقارب وجميع هوامِّ الأرضِ، وقال ابنُ أبي ليلى لا بأسَ بالحيةِ إذا ذُكِّيَت وهو قولُ مالكٍ والأوزاعيِّ إلا أنه لم يشترط الذكاةَ.انتهى بحروفه

فهل يريدُ ابنُ تيميةَ القولَ بكفرِ الإمامِ مالكٍ والأوزاعيِّ وابنِ أبي ليلى وابنِ القاسمِ لأنّهم استحلُّوها، بل هذا تكفيرٌ لفقهاءِ الأمةِ المالكيةِ على مرِّ العصورِ الذين يستحلُّونَ أكلَ العقربِ وهم ألوفٌ مؤلّفةٌ مِن فقهاءِ المسلمينَ المعتبَرين.

فالأئمةُ هؤلاءِ في أعلى درجاتِ الهدى والتقوى والصلاحِ والولايةِ وإن كان مثلُهم ضالاً كافرًا فأنَّى يكونُ الإسلامُ لمثلِ ابنِ تيميةَ، حقًّا إنه مريضٌ علمُه أكبرُ من عقلِه كما قال الإمامُ الحافظُ العراقي.

والإمامُ الأوزاعيُّ على قول ابنِ تيمية كافرٌ والعياذُ بالله، فما هذه الجرأةُ العظيمةُ يستحلُّ ويحرِّمُ ويستتيبُ ويقتلُ على هواهُ كما يُفتيهِ شيطانُه.

قال الشيخُ العلاّمةُ زرُّوقٌ المالكيُّ رضي الله عنه في شرحِ حزبِ البحر: **ابنُ تيميةَ مطعونٌ عليهِ في عقائدِ الإيمانِ بنقصِ** العقل.انتهى

(ابنُ تيميةَ والزندقةُ الصريحةُ)

لو نظرنا إلى ابنِ تيميةَ وكيف هو مع الشيطانِ لعرفنا مَن هو صاحبُ الحالِ الشيطانيةِ ومَن هو صاحبُ الشيطانِ الذي زُيِّنَ له سوءُ عملِه وتأذّى من كراماتِ الرفاعيةِ الموافقةِ لدين الله ظاهرًا وباطنًا، فابنُ القيم يقول عنه في مدارجِ السالكين ما نصُّه:

ثم أَخبَرَ - أي ابنُ تيميةَ - الناسَ والأمراءَ سنةَ اثنتينِ وسبعِمائةٍ لَمّا تحرَّك التتارُ وقصدوا الشامَ أن الدائرةَ والهزيمةَ عليهم وأن الظفَرَ والنصرَ للمسلمين، وأقسم على ذلك أكثرَ من سبعين يمينًا فيُقال له: - أي لابن تيمية - **قُلْ إن شاءَ اللهُ، فيقولُ: إن شاءَ اللهُ تحقيقًا لا تعليقًا وسمعته يقول ذلك،** قال: فلما أكثَروا عليَّ قلت: لا تُكثِرُوا، **كَتَبَ اللهُ في اللوحِ المحفوظِ أنهم سيُهزَمونَ في هذه الكرَّةِ** وأن النصر لجيوش الإسلام. انتهى كلامُ ابنِ القيم

والخلاصة: يتضحُ من هذه العبارةِ ادّعاءُ ابنِ تيميةَ أنه يعلمُ الغيبَ ويقولُ إن شاءَ اللهُ ولا بدَّ، هذا معنَى تحقيقًا لا تعليقًا أي لا أقولُها معلّقًا هذا بشرطِ مشيئةِ اللهِ بأداةِ الشرطِ "إنْ"، بل أقولُ إنّ هذا محقَّقُ الحصولِ، وهذا قولٌ لم يقُلْهُ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم وهو المعصومُ الشارِعُ الذي يَنْـــزِلُ عليهِ الوحيُ الذي لا شكَّ فيهِ قدرَ ذرَّةٍ، فما لابنِ تيميةَ وتخريفِهِ ألم يَكْفِهِ تصريحًا أو إشارةً قولُه تعالى: **(ولا تَقُولَنَّ لِشَىْءٍ إِنّي فاعِلٌ ذلِكَ غدًا إلاَّ أَنْ يَشاءَ اللهُ)**. أدبًا معَ اللهِ على أقلِّ الدرجاتِ.

وكيفَ يتعدَّى على مقامِ النبيِّ المعصومِ بالخَبَرِ اليَقِينِ وينسُبُ نفسَهُ إلى العصمةِ في علمِ الغيبِ ولا يترُكُ احتمالاً في كونهِ وقعَ في شيءٍ مِنَ الوهمِ؟ كفى بهذا إثمًا، وقد نصَّ الأئمةُ قديمًا وحديثًا على أنَّ الإلهامَ أي الكشفَ عندَ الأولياءِ ليسَ حُجَّةً، لأنَّه ليسَ مِن مصادرِ الشرعِ ولِخَشيةِ الخطإِ في فَهمِ الإشارةِ منهُ، فكيفَ يزعُم هذا اطّلاعَهُ على الغيبِ وأنَّهُ قضاءٌ مُبرَمٌ لا مَحالةَ حاصلٌ والعياذُ باللهِ.

لقد تَعَدَّى ابنُ تيميةَ بوضوحٍ في هذا على مقامِ النُبُوَّةِ وكفى بهِ كفرًا، وهذا قليلٌ جدًا في عجائبه ومخالفاتِه الكثيرةِ لأمةِ محمدٍ صلى الله عليه وسلم، فانظُرْ بعينِ الإنصافِ لا التعصُّبِ يتَّضِحْ لكَ صدقُ القولِ فيه.

ثم يقولُ بأنّ الله كتبَ في اللوحِ المحفوظِ **هذه المرةَ تحديدًا** أنّ التتارَ سيُهزمون.

تنبيهٌ مهم: حتى ترى صدقَ الطاعنينَ بابنِ تيميةَ وأنّه كانَ **متحايلاً على الألفاظِ**، فانظُرْ إلى قولِهِ: (إن شاء اللهُ تحقيقًا)، فهل لي بأحدٍ مِنَ العُقلاءِ لِيَشرحَ لي كيف استقامَ عندَه قولُه "إن شاء الله" يعني أعلِّقُ هذا على مشيئةِ اللهِ، إن شاءَ اللهُ حصولَهُ حصلَ وإنْ لم يشأْ لم يحصُلْ، كما علَّمَنا رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم أن نقولَ: (ما شاء اللهُ كانَ وما لم يَشأْ لم يَكُنْ)، وقولُه "تحقيقًا"، أي لا بدَّ مِن حصولِ هذا، هل يقولُ بهذا مؤمنٌ أو عاقلٌ في قلبِه وزنُ ذرَّةٍ من إيمان.

وهكذا كان هذا الرجلُ دائمًا يتلاعب بالألفاظِ ويترُكُ له مخرجًا، لكنَّهُ كان يفشلُ عندما كان يُرمَى في السجنِ بعد المناظرةِ وإقامةِ القضاةِ الحجةِ عليه.
فابنُ تيميةَ في هذه العبارةِ جعلَ علمَهُ فوقَ مشيئةِ اللهِ تعالى، فالذي يعلَمُه ابنُ تيميةَ مِن أخبارِ المستقبَلِ سيحصُلُ لا شكَّ فيهِ أبدًا، سواءٌ شاءَه اللهُ أم لا، **لا معنى لقولِه (إن شاء الله تحقيقا لا تعليقا) إلاّ أنّه قضاءٌ مُبرَمٌ.**

هذا كفرٌ كبيرٌ، وواضحٌ أنّه قالَها لكي يَكُفَّ الحاضرونَ، لأنه لم يقلْها أوَّلاً فقالوا له قل: إن شاء اللهُ فقال نعم، إن شاء الله تحقيقا، لا تعليقًا، هذا التعليقُ بمشيئةِ اللهِ لكم، أما أنا فعلمي سيكونُ كما علمتُه لا محالةَ.
وهذا هو الكفرُ بعينه والضلالُ المبينُ أعاذنا الله من الدعاوي الخارجةِ عن سبيلِ المؤمنين ءامين.
فيا أيُّها الذهبيُّ مَن هو صاحبُ الحالِ الشيطانيةِ بل مَن هو الشيطانُ، مَن دخلَ النارَ فكانت بردًا وسلامًا عليه بإذن الله

بأن سلبَها خالقُها خاصِّيّةَ الإحراقِ، أم الذي ادّعى أنه اطّلعَ على اللوحِ المحفوظِ **هذه المرةَ تحديدًا**.

هذه لا مفرّ منها، وهي وحدَها كفيلةٌ بالحكمِ على ابنِ تيميةَ بالزندقةِ، فهو يرفضُ رفضًا مطلَقًا أن يقولَ إن شاء الله كما جاء بها الشرع مع زعمِه أن كلَّ همِّه هو نشرُ الدينِ الصحيحِ والعقيدةِ الصحيحةِ ثم يجعلُ دعواهُ حكمًا على مشيئةِ ربِّ العالمين، وهو يقولُها على أنّ هذا الغيبَ الذي هو في اللوحِ المحفوظِ حاصلٌ لا محالةَ، وهذا اليقينُ والله هو عينُ ادّعاءِ النبوّةِ لو كانوا يفقهون (أتأْمُرُونَ الناسَ بالبِرِّ وتَنْسَونَ أنفُسَكُم وأَنتُمْ تَتْلُونَ الكتابَ).

ولكي ترى هزيمةَ التتارِ التي يرويها ابنُ تيميةَ، فانظرْ إلى ما قالَه مُحبُّه المقريزيُّ في السلوك لمعرفة دول الملوك ج١ص٣٠٩: وأصبح مَن بقي بالمدينةِ وقد اجتمعوا بمشهدِ عليٍّ مِن الجامع الأموي وبعثوا إلى غازان يسألونَ الأمانَ

لأهلِ البلدِ، **فتوجَّه قاضي القضاةِ بدرُ الدينِ محمدُ بنُ جماعةَ وشيخُ الإسلامِ تقيُّ الدينِ أحمدُ بنُ تيميةَ** والشريفُ زينُ الدينِ بنُ عدنانَ والصاحبُ فخرُ الدينِ بنُ الشيرجي وعزُّ الدينِ حمزةُ بنُ القلانسيِّ **في جمعٍ كبيرٍ مِن الأعيانِ والفقهاءِ والقراءِ** إلى غازان في يوم الاثنينِ ثالثَه بعدَ الظهرِ، فلقُوه بالنبك وهو سائرٌ، **فنزلوا عن دوابِّهم ومنهم مَن قبَّلَ له الأرضَ، فوقف غازان بفرسِه لهم**، ونزل جماعة من التتار عن خيولهم، ووقف الترجمان وتكلم بينهم وبين غازان، **فسألوا الأمانَ لأهل دمشق، وقدّموا له مآكِلَ كانت معهم فلم يلتفت إليها، وقال: قد بعثت إليكم الأمان**، وصرَفَهم.انتهى.

قلتُ: فيا له مِن فتحٍ عظيمٍ على يدِ ابنِ تيميةَ، ويا لها مِن هزيمةٍ للتتارِ ضجَّت بها حدودُ الأكوانِ (تحقيقًا لا تعليقًا) واللهُ المستعان.

وأناشدُكم الله أيُّها المسلمون اقرءوا كلامَ الذهبي واحكموا هل فهمتُم من كلامِ الذهبي أنه يتكلم عن الرفاعية ببيِّنةٍ

شرعيةٍ عند قوله خالطًا الحقَّ بالباطل في سِيَر أعلام النبلاء عند ذكر شيخِ الجماعةِ القلَندرية:

سفيهٌ، نجسٌ، قد أحرقَته السوداءُ، وله شيطانٌ ينطقُ على لسانه، فما أجهلَ مَن يعتقد في هذا وشبهه أنه وليُّ الله، والله يقول في أوليائه إنهم (الذينَ ءامَنوا وكانوا يتّقون) وقد كان في الجاهليةِ خلْقٌ من الكهانِ يخبرون بالمغَيَّبات، والرهبانُ لهم كشف وإخبارٌ بالمغيباتِ، والساحرُ يخبرُ بالمغيَّباتِ، وفي زمانِنا نساءٌ ورجالٌ بهم مَسٌّ من الجنِّ يخبرون بالمغيَّباتِ على عددِ الأنفاسِ. وقد صنف شيخنا ابنُ تيمية غيرَ مسألة في أنّ أحوالَ هؤلاءِ وأشباهِهم شيطانيةٌ، ومن هذه الأحوالِ الشيطانيةِ التي تُضِلّ العامةَ أكْلُ الحيات، ودخول النار، والمشي في الهواء **ممن يتعاطى المعاصيَ ويُخِلُّ بالواجباتِ**، فنسأل الله العون على اتباع الصراط المستقيم وأن يكتب الإيمانَ في قلوبنا، وأن يؤيدنا بروح منه، ولا حول ولا قوة إلا بالله. وقد يجيء الجاهلُ فيقول: اسكت لا تتكلم في أولياءِ الله، ولم يشعُر أنه هو الذي تكلم في أولياءِ اللهِ وأهانَهم، إذ

أدخل فيهم هؤلاءِ الأوباشَ المجانين أولياءَ الشياطين، قال الله تعالى: (وإنَّ الشياطينَ لَيُوحونَ إلى أوليائِهم لِيُجادِلُوكم) ثم قال: (وإن أَطَعْتُمُوهُم إِنَّكُم لَمُشْرِكون) وما اتَّبع الناسُ الأسودَ العَنْسيَّ ومسيلمةَ الكذّابَ إلا لإخبارِهما بالمغيَّباتِ، ولا عُبِدت الأوثانُ إلا لذلك، ولا ارتبط خلقٌ بالمنجمين إلا لشيءٍ من ذلك، مع أن تسعةَ أعشارِ ما يُحْكَى من كذبِ الناقلين، وبعضُ الفضلاءِ تراه يخضعُ للمُوَلَّهين والفقراءِ النصّابينَ لما يرى منهم، وما يأتي به هؤلاء يأتي بمثلِه الرهبانُ، فلهم كشوفاتٌ وعجائبُ، ومع هذا فهم ضُلّالٌ من عَبَدةِ الصلبانِ، فأين يُذهَبُ بك؟ ثبتنا الله بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة وإياك. انتهى كلام الذهبي

قلتُ: قفْ أولاً على قولِه (ممن يتعاطى المعاصيَ ويُخِلُّ بالواجباتِ) وليس هذا من سيرةِ السادةِ الرفاعية أبدًا، وعلى سبيل التنــزُّلِ سَنُجاري بشار معروف في عبارةِ الذهبيِّ

ونَبيّنُ عيوبَها فبسم الله: العبارةُ ابتداءً فيها لفٌّ ونشرٌ[٣١] غيرُ مرتَّبٍ كما هو جليٌّ جدًا، بمعنى أنه خلط الحق بالباطلِ وذكر الكل ثم رمى هذه العباراتِ المسمومةَ، وهذا أولُ ما

---

[٣١] اللَفُّ والنَشْرُ وعندَ بعضِهِم (الطَيُّ والنَشْرُ) هو ذِكرُ مُتَعَددٍ على التفصيلِ أو الإجمالِ، ثمَّ ذكرُ ما لِكُلّ واحدٍ من غيرِ تعيينٍ اعتمادًا على السامعِ في ردّهِ كلَّ واحدٍ إلى ما لَهُ، بالقرينةِ اللفظيّةِ أوِ المعنويَّةِ، ثمَّ إمّا أنْ يَكونَ ذِكرُ ما لكلّ واحدٍ مرتّبًا أو لا، ومِن اللفّ والنشرِ المرتَّبِ قولُ اللهِ تعالى: (ومِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ الَّيلَ والنهارَ لِتَسْكُنُوا فيهِ ولِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ)، فالسكونُ راجعٌ إلى اللّيلِ والابتغاءُ مِن فضلِ اللهِ راجعٌ إلى النهارِ، ومِن أمثِلَتِه الشعريةِ قولُه:

ألستَ أنتَ الذي مِن وِرْدِ نِعْمَتِهِ ... وَوِرْدِ راحتِهِ أجْنِي وأغْتَرِفُ

فأجني مِن وردِ نعمتِه، وأغترفُ من وردِ راحتِه، تعبيرًا عن شدةِ كرمِهِ وسخائِه، وهذا كلُّهُ في المرتَّبِ، أما غيرُ المرتَّبِ فكقولِ الشاعرِ:

كيفَ أَسْلُو وأنتَ حِقْفٌ وغُصْنٌ ... وغَزَالٌ لَحْظًا وَقَدًّا وَرِدْفا

فاللحظُ للغزالِ والقَدُّ للغُصنِ والردفُ للحقفِ، وعبارةُ الذهبيّ كما ترى فيها لفٌّ ونشرٌ غيرُ مرتبٍ، بل هو نشرٌ مُشَوَّشٌ وهو الذي فيه اختلاطٌ وعُسْرٌ، فكيفَ يُستدَلُّ بعبارتِه وقد خلَطَ الحقَّ بالباطلِ، فتنبَّهْ رعاكَ اللهُ، واللهُ تعالى أعلمُ وأحكم.

نَحتجُّ به على إسقاطِ الاحتجاجِ بكلامِه، ثم إن كان الذهبيُّ قصدَ الرفاعيةَ دونَ غيرِهم فذلكَ كذبٌ بيّنٌ وكيفَ يكونُ الرفاعيةُ مقصودَه وهم أصحابُ العلمِ على مرّ العصورِ وشيخُهم السيّدُ أحمدُ الرفاعيُّ فقيهٌ شافعيٌّ تلميذُه القاضي أبو شجاعٍ وهو أشهرُ من نارٍ على علَمٍ وهو أحدُ أقطابِ الفقهِ الشافعيّ.

ومعلومٌ أنّ من أسهلِ عباراتِ التشكيكِ والتخلُّصِ من الحرَجِ قولُ الشخصِ (جماعةٌ كذا فيهم الجيدُ وفيهم الرديء) ثم إن قلتَ له هذا فلانٌ الفقيهُ منهم أو الحافظُ المتبحرُ فلانٌ منهم يقولُ لك "هذا من الجيد"، فما هذه السذاجةُ والتحايلُ على الألفاظِ، وما هكذا تُورَدُ الإبلُ وما هكذا الصدقُ وسَوقُ الأدلةِ والبراهينِ في دينِ اللهِ يا صاحب الجرحِ والتعديل.

وقد ذكر الذهبيُّ فيما زعمَه أحوالاً شيطانيةً دخولَ النارِ، والطيرانَ في الهواءِ وهنا أوقع نفسَه فإنّه قد ذكر هذا عن

سيِّدِنا أبي يزيدَ البَسطاميّ وقيل له: **إنك تمر في الهواء، فقال: وأيُّ أُعجوبةٍ في هذا، وهذا طيرٌ يأكلُ المَيْتَةَ يَمُرُّ في الهواء.**انتهى

وقد وصفه الذهبيُّ في نفس الصحيفة معرِّفًا عنه بأنه سلطانُ العارفِين، وهو يحكيها كرامةً عنه من بابِ المدحِ، فهذا يَدخلُه أربعةُ احتمالاتٍ:

الأولُ: طعنُه بغيرِ بيِّنةٍ، إنما سوَّغ لنفسه أن يُسمِّي الرفاعيةَ ذَوِي أحوالٍ شيطانيةٍ وسببُ هذه المصيبةِ شيخُه وصاحبُه ابنُ تيميةَ رأسُ البلاءِ على الرفاعيةِ في تلك الفترةِ حسدًا وغَيرةً.

الثاني: تناقضُه لأمرٍ في نفسِهِ وأحدُ هذه الأسبابِ محاربتُه للرفاعيةِ لأجلِ حنبليَّتِهِ.

الثالث: أنَّ الرفاعيةَ غيرُ مقصودين إنما كتبَ من غير رَويةٍ، وهذا قد حكاه عنه تلميذُه التاجُ السبكيُّ أنه إذا ذُكِرَ أمامَه من يخالفُه غضبَ.

الرابع: تغييرُ الحقيقةِ بدليل انتقائِه من عبارةِ السيِّد البسطاميّ ما هو قاعدةٌ يدخلُ فيها كلُّ مؤمنٍ مستقيم، فإن تتمةَ قولِ أبي يزيدَ: **(والمؤمنُ أشرفُ من الطير)**، فلماذا البترُ.

وقد ذكرتَ أيُّها الذهبيُّ دخولَ النارِ فطعنتَ بأحد أكبرِ أولياءِ الأمّةِ وهو أبو مسلمٍ الخَوْلاني وأنت على علم بما جرى له بدليل ذكرِكَ الأسودَ العنسيَّ لعنه الله، وأبو مسلمٍ كان دخولُه النارَ بسببِ العنسي، وفرح به سيِّدُنا عمرُ بن الخطّاب أميرُ المؤمنين وحمِدَ اللهَ على كرامتِه دليلِ ولايتِه.

ولم تذكر المشيَ على الماءِ مع أنه أيضًا موجودٌ في كبارِ أولياءِ الصحابة والتابعين كالعلاءِ بنِ الحضرَمِيّ وأبي مسلمٍ الخولانيّ، فما الذي جعل الطيرانَ في الهواءِ ودخولَ النارِ شيطانيًّا والمشيَ على الماءِ غيرَ شيطانيٍّ، ألأنه عادةُ سيِّدِنا الخضرِ عليه الصلاةُ والسلامُ، أم لأنه معروفٌ عن سيِّدِنا

العلاءِ بنِ الحضرَميّ الصحابيّ الجليلِ وغيرِهِ من الأكابرِ أم ماذا.

كشفُ كذبِ الذهبيّ وتخبُّطِه على لسانِ شيخِهِ ابنِ تَيمِيَة

قال شيخُه ابنُ تيميةَ في كتابِ النبوات: وقد يمشي على الماء قومٌ بتأييدِ اللهِ لهم وإعانتِه إيّاهم بالملائكةِ كما يُحكى عن المسيحِ وكما جرى للعلاءِ بنِ الحضرميّ في عبورِ الجيشِ[32]

---

(32) وهو عبورُهُ وعبورُ الجيشِ معَه على الماءِ، وهو في هذا على قدمِ نبيّ اللهِ عيسى صلى اللهُ عليه وسلم، ونبيِّ اللهِ الخضرِ صلى اللهُ عليه وسلم، فإنّ البحرَ لهُ عادةٌ كاليابسةِ أي الأرضِ لنا وهو مَسكنُه، اللهُ أعلمُ أينَ يسكنُ في البحرِ، يفارقُه متى شاءَ اللهُ إلى حيثُ شاءَ اللهُ، وليس سديدًا ما يفعلُه بعضُ الناسِ منَ السلامِ عليهِ إذا ذهبوا إلى البحرِ، فإنهم لا يدرونَ هل هو في البحرِ ساعتَها أم ليسَ، والخضِرُ عليه الصلاةُ والسلامُ حيٌّ عند جُمهورِ الأمةِ كما قال الحافظ في الفتح، أما اجتهادُ الإمامِ البخاريّ والإمامِ الجليلِ إبراهيمَ الحربيّ فخلافُ قولِ الجمهورِ من الأمةِ، وهو اجتهادٌ بأدلةٍ يُمكنُ الجوابُ عنها بسهولةٍ ويُسرٍ، فإنّ حديثَ: (لا يبقى على هذه الأرضِ بعدَ المائةِ نفسٌ منفوسة) يُجابُ عنه بأنه كانَ على =

ولأبي مسلمٍ الخَوْلانيّ[33]، وذلك إعانةٌ على الجهادِ في سبيلِ اللهِ كما يؤيدُ اللهُ المؤمنينَ بالملائكةِ وليس هو من فعلِ الشياطينِ، والفرقُ بينهما من جهةِ السببِ ومِن جهةِ الغايةِ.

أما السببُ فإنّ الصالحينَ يُسَمُّونَ اللهَ ويَذْكرونَهُ ويفعلونَ ما يُحِبُّهُ اللهُ مِن توحيدِه وطاعتِه فيُيَسِّرُ لهم بذلكَ ما يُيَسِّرُه، ومقصودُهم به نَصرُ الدينِ والإحسانُ الى المحتاجين.انتهى كلامُ ابنِ تيميةَ بحروفِه

(أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ)

= البحرِ لا على الأرضِ، وأنه يُستثنى إذْ حكمُه خاصٌ كما أنَّ حياتَه خاصّةٌ، ودليلُ صحّةِ هذا التأويلِ أن الدجّالَ لعنَه اللهُ وقومَ يأجوجَ ومأجوجَ أحياءٌ منذ مئاتِ السنينَ و لم يموتوا بعد المائة، ورضي اللهُ عن الإمامَين، فكلاهُما جليلٌ وبركَةٌ نفعنا اللهُ بهما ءامين ءامين.

(33) وهو دخولُه النارَ بقذفِه ثلاثَ مراتٍ فيها على يدِ الأسودِ العَنْسيّ ملكِ اليمنِ ادّعى النُبوةَ وأخزاهُ اللهُ على يدِ أبي مسلمٍ الخَولانيّ أحدِ أجلاّءِ التابعينَ، و لم تضُرَّهُ النارُ و لم تؤثِّرْ في ثيابِه شيئًا والحمدُ للهِ، وسيأتي مزيدٌ عنه في هذا الكتابِ إن شاءَ اللهُ تعالى.

أليسَ مِن خِزْيِ الذهبيّ أن اللهَ كذَّبه على لسانِ مَن عادى الرفاعيةَ لأجلِه وتأثَّرَ بكلامِه؟ فهل علمتَ الرفاعيةَ فعلوا غيرَ هذا يا ذهبي؟ أليس في هذا أيضًا تناقضًا كبيرًا من ابنِ تيميةَ.

(فَجَعَلَهُم كَعَصْفٍ مَأْكُول)

فقد اعترفَ بأنّ الصادقينَ يَذكرون اللهَ – كالرفاعيةِ – وتحصلُ هذه الخوارقُ ويقصِدون بها نُصْرَةَ الدينِ كما فعلوا مع السلطانِ أحمدَ بنِ هولاكو رحمه الله ورضي عنه ءامين.

(وَقُلْ جاءَ الحَقُّ وَزَهَقَ الباطِلُ إنَّ الْباطِلَ كانَ زَهُوْقًا)

وانظرْ ودقِّقْ كيفَ قرَنَ كرامةَ سيّدِنا العلاءِ بنِ الحَضْرَميّ رضي الله عنه بمعجزةِ سيّدِنا عيسى صلى الله عليه وسلم في المشيِ على الماء، وكذلك دخولُ أبي مسلمٍ الخَولانيّ النارَ كما هي معجزةُ سيّدِنا إبراهيمَ صلى الله عليه وسلم، فافهمْ أيها العاقلُ واحذَرْ كلامَ الذهبيِ فإنه باطلٌ وكذب.

ولو كان الذهبيُّ صادقًا لذَكَرَ أمرًا واحدًا خالفَ فيهُ السادةُ الرفاعيةُ شرعَ اللهِ تعالى، فهم أطهرُ قلوبًا منه وأعرفُ باللهِ منه وأشدُّ يقينًا منه، ولّما عجزَ بثَّ سُمَّه تنقيصًا لأنهم صوفيةٌ أشاعرةٌ على خلافِ عقيدتِه، ولم يَجرِ على يدِهِ وعلى يدِ أمثالِه مثلُها فافترى وكَذَبَ وكَذَّبَ حتى يطمئنَّ قلبُه فيرضى شيطانُه.

دليلٌ واضحٌ على سوءِ نيَّةِ وفَهْمِ الذهبيّ

والعُلَماءُ كما رأيتَ لم يذكُروا هذه الخوارقَ إلا مِن بابِ المدحِ، وابنُ خِلِّكانَ ذكرَها للمدْحِ وفيها تفصيلٌ، فقال في وَفَيَاتِ الأعيانِ في ترجمةِ السيّدِ أحمدَ الرفاعيّ:

ولأتباعِهِ أحوالٌ عجيبةٌ: مِن أكْلِ الحيّاتِ وهي حيةٌ، والنــزولِ في التَنانيرِ وهي **تَتَضرَّمُ** بالنارِ **فيُطْفِئونَها**، ويقالُ: إنّهم في بلادِهم يَركبُونَ الأُسُودَ، ومثلِ هذا وأشباهِهِ، ولهم مواسِمُ يجتمعُ عندَهم مِنَ الفُقَراءِ عالَمٌ لا يُعَدُّ ولا يُحصَى، ويقومون بكفايةِ الكُلِّ، ولم يكنْ له عَقِبٌ – وهذا غيرُ

صحيحٍ –، وإنما العَقِبُ لأخيه، وأولادُه يتوارثُونَ المشيخةَ والوِلايةَ على تلك الناحيةِ إلى الآنَ، وأُمُورُهم مشهورةٌ مستفيضةٌ، فلا حاجة إلى الإطالة فيها.انتهى

ناشدتُكمُ اللهَ أينَ الذمُّ فيهِ، أليس هذا هو المدحُ بعينِهِ، وقد علّقَ الإمامُ اليافعيُّ في مرءاةِ الجَنانِ على كلامِ ابنِ خلّكانَ المذكورِ فقال:

وذَكَرَ أصحابَه وأتباعَه ذكرًا جميلاً يدلُ على حُسْنِ اعتقادِه في الفقراءِ من حيثُ الجملةُ، وحَمَلَ أحوالَهم على السَدادِ خلافًا لِما قدمتُه عن الذهبيِّ منَ الطعنِ فيهم وسوءِ الاعتقادِ.انتهى

والإمامُ سراجُ الدينِ بنُ الملَقِّنِ رضي الله عنه يقول في طبقاتِ الأولياء في ترجمةِ السيّدِ أحمدَ الرفاعيِّ بعدَ مدحٍ عظيمٍ:

ولأتباعه أحوال عجيبةٌ مِن أكلِ الحيّاتِ بالحياةِ، والنـزولِ إلى النار فيطفئونها، ويركبونَ الأسدَ، ونحوَه.انتهى

وفي الوافي بالوَفَيَات للصفديّ: الزاهدُ الكبيرُ سلطانُ العارفينَ في زمانِه أبو العباسِ الرفاعيُّ المغربيُّ رضي الله عنه، قدم أبوه العراق وسكن البطائح بقرية اسمها أم عبيدة، فتزوج بأخت الشيخ منصور الزاهد ورزق منها أولادًا منهم الشيخ أحمد، وكان رجلاً صالحًا شافعيًّا انضمّ إليه خلق من الفقراء وأحسنوا فيه الاعتقاد ويقال لهم الأحمدية والبطائحية ولهم أحوال عجيبة من أكل الحيات حيةً والنزول إلى التنانير وهي تضطرم والدخول في الأفرنة وينام أحدهم في جانب الفرن والخباز يخبز في الجانب الآخر ويرقصون في السماعات على النيران إلى أن تنطفئ، ويقال إنهم في بلادهم يركبون على الأسود.انتهى

والمؤرّخُ ابنُ تغري بردي قال في النجوم الزاهرة: وأصحابُه يركبونُ السباعَ ويلعبونَ بالحيّاتِ، ويَتَعَلّقُ أحدُهم في أَطْوَلِ النَخْلِ ثم يُلْقِي نفْسَه إلى الأرضِ ولا يتألّمُ، وكان يجتمع عنده كل سنة في المواسم خلق عظيم، وعِلْمُ الشيخِ أحمدَ بنِ

الرفاعيّ وفضلُه ووَرَعُه أشهَرُ مِن أنْ يُذكَرَ، وهو أكثرُ الفُقَراءِ أتْباعًا شرقًا وغرْبًا، والأعاجِمُ يُسَمُّونَه: سَيِّدِي أحمدُ الكبيرُ.انتهى

فهل أكلَتِ الغَيرةُ قلبَ الذهبيِّ فغَيَّرَ كلامَه وحرَّفَ القولَ السليم.

وقولُ الذهبيِّ نفسِه في تاريخ الإسلام: ولهم أحوال عجيبة من أكل الحيات حية، والنـــزول في التنانير وهي تتضرَّم نارا، والدخولِ إلى الأفرِنَةِ، وينامُ الواحدُ منهم في جانبِ الفرنِ، والخبازُ يخبزُ في الجانبِ الآخَرِ، وتُوقَدُ لهم النارُ العظيمةُ، ويقام السماع فيرقصون عليها إلى أن تنطفئ.انتهى

وتاريخُ الإسلامِ صنَّفَه قبلَ سِيَرِ أعلامِ النُبَلاءِ بدليلِ قولِهِ في السِيَر: ذكرناهُ في تاريخِنا الكبيرِ. إذن فما هو إلا الحقدُ والانحرافُ الذي غَيَّرَهُ وبَدَّلَ حالَه، نسألُ اللهَ السلامةَ والعافيةَ ءامين.

والخلاصةُ أنَّ كلامَ الذهبيِّ مردودٌ بالإجماعِ لأنَّ الجرحَ مقدَّمٌ على التعديلِ إذا كانَ مُفَسَّرًا أيْ مُبيَّنًا فيهِ سببُ الجرحِ المعتَبَرِ، وأنْ يكونَ صادرًا مِن غيرِ متعصِّبٍ، وأنْ يكونَ صدَرَ مِن عارفٍ عالمٍ بأسبابِ الجرحِ والتعديلِ، فهذه الثلاثةُ شرطٌ لقبولِ الجرحِ، أما الجرحُ بغيرِ تفسيرٍ وبيِّنَةٍ فمردودٌ، وقدْ يُذكرُ السببُ ويكونُ مردودًا كجرحِ الذُهَلِيِّ للإمامِ البخاريِّ، فبئسَ الجرحُ إذا كان مثلَ هذا.

وخُلاصةُ الخُلاصةِ أنَّ الذهبيَّ هنا صاحبُ جرحٍ غيرِ مفسَّرٍ مردودٍ عليهِ لا يُقامُ له وزنٌ شرعًا، ومِن بابِ أَوْلَى أنْ يكونَ كلامُ ابنِ تيميةَ مردودًا، ويكفي في ردِّهِ إثباتُ كذبِهِ وأوهامِه الخطيرةِ، فضلاً عن انتهاكاتِه الخطيرةِ للشريعةِ المطَهَّرَةِ.

وبقيَ على الذهبيِّ إيرادان:

الأول: أنه لم يذكر شيخَه في أصحابِ الأحوالِ الشيطانيةِ لأنه يزعُمُ أنه اطّلعَ على اللوحِ المحفوظِ (في هذه الكرَّةِ)

بالذاتِ، فابنُ تيميةَ عنده شيطانيٌّ أيضًا، اقتضى دخولَه عمومُ اللفظِ، فإن أبى قلنا لماذا، ألأنّه كما تزعمه زُورًا حنبليٌّ في الصفاتِ - وفُضَلاؤهم منه بَراءٌ - وهو فوق النقدِ عندك.

الثاني: أنه ذكرَ الكشفَ — وعلى زعمِهِ — سمّى كلَّ هذا كشفًا وهيهاتَ، فإن هذا الكلامَ تحريفٌ كبيرٌ لا يجوزُ الأخذُ به، فكيفَ يجعلُ الكهانةَ كشفًا، ودجلَ عُبّادِ الأصنامِ والصليبِ كشفًا، وسحرَ السحرةِ كشفًا، فما الذي يبغيه الذهبيُّ، وماذا عن كشفِ سيّدِنا عمر وقصّتِه المشهورةِ (يا ساريةُ الجبلَ الجبلَ) التي ألّفَ فيها الحافظُ الدمياطيُّ جزءًا، فسيّدُنا عمرُ مسلمٌ تجري عليه الأحكامُ لا خصوصيةَ له في الحلالِ والحرامِ، فإن قلتَ ذاك كان من الصالحين، قلنا ومَن الذي أذِنَ لك أن تُدخِلَ الصالحينَ في الطالحين ثم تقذِفُهم جميعًا بشهُبِ تعصُّبِك، ألديكَ دليلٌ على استعمالِكَ الآيةَ (دُحُورًا ولهمْ عذابٌ واصِبٌ) في حقِّهم.

أنت محاكمٌ بقوله عليه الصلاةُ والسلام: (البَيِّنَةُ على الْمُدَّعِي واليمينُ على مَن أَنْكَرَ) رواه مسلم، ولم تأتِ ببيّنةٍ واحدةٍ على ما تدّعيه، ونحن ننكرُ يقينًا ما تزعمُه، فإنْ أردتَ اليمينَ فهاكَ يمينًا بالذي بعثَ محمدًا صلى الله عليه وسلم بالحقّ وتاللهِ ووالله وبالله وربِّ الكعبةِ تَرَبِّ الكعبةِ أيْمُنُ الله إنك غيرُ صادق وغيرُ مُحِقٍّ في إجمالِكَ هذا، وما بهذا أمركَ الإسلامُ والدينُ الحنيفُ أيها الشافعي المُتَحَنْبِلُ المتمسكُ بالظواهر.

عجبًا لك تسمّي من زعم أنهُ علمَ الغيبَ شيخَ الإسلامِ وتراهُ ربّانيًّا على فظاعةِ قولهِ، وتضلِّلُ من هو دونَ ذلك، والفرقُ بينهُما كبير:

وَأَعْلَمُ أنني وأبا حُمَيدٍ ... كما السَكرانُ والرجلُ الحليمُ

ولماذا اعتبرتَ شربَ سيّدِنا خالدِ بنِ الوليدِ السُمَّ كرامةً وشجاعةً كما في سِيَرِكَ مع أنَّ شربَ السمِّ الناقعِ أشدُّ من دخولِ النارِ، ولم تعتبِرْه حالاً شيطانيةً، ألأنه فوقَ الشُبهةِ وجرحَكَ إيّاهُ قد يتسبَّبُ بقتلِكَ فتموتَ في السجنِ كابنِ

تيميةَ، أم لأنه ليس رفاعيًّا أو صوفيًا في نظرِك، وبعدَ كلِّ هذا يقولُ عبدُ الفتاحِ أبو غدة في تعصُّبِه لك وقدْحًا في الإمامِ التاج السبكي: الاعتدالُ حِليَةُ الرجال.

فأينَ أنتما منه، وسيأتي الكلام مع أبي غدة.

وقد رأيتُ حكايتَك سيرةَ إمامِ العارفين الرفاعيِّ في تاريخِ الإسلامِ ولم تقدِر ولم تستطِع أن تذكر عنه ما يُنكرُه الشرعُ وأنه ءايةٌ في تواضعُه وهكذا أتباعُه الصادقون، فلا تحسبَنَّ وهمك سيقودُك إلى نسبةِ هذه الأمورِ إلى الرفاعيةِ، لا واللهِ قد أخطأتَ المعرفةَ هذه المرةَ، فمن النادر جدًا أن تجدَ رفاعيًّا رفاعيًّا غيرَ مستقيمٍ في حالِه، وإن وجدتَ فمرضُه يكون في قلبه من حبِّ الظهورِ، ويكون مطرودًا، هذا لأن السيِّدَ أحمدَ الرفاعيَّ لا يرضى في طريقتِه من هو جاهلٌ كما هو مشهورٌ عنه، وكم مرةٍ صرتَ مخطئًا وما أكثر تعمُّدَك الخطأ، وإنك مؤاخذٌ به لأن المرفوعَ هو الخطأ، وليت شعري كيف جمعتَ بين نقيضين خطأٍ وعمدٍ، فهذا لا يكون في دينِنا فإن هذه

القاعدةَ قد تكون عند الشيطانِ فمن هو صاحبُ الحالِ الشيطانيةِ، هل مِن مجيب.

أَبى الحَقِينُ العِذْرَةَ يا ذهبيُّ، وفي نفسِكَ من كراماتِ هؤلاءِ الأكابرِ شيءٌ، فلمَهْ؟

رحم اللهُ الإمامَ تاجَ الدينِ السبكيَّ فقد صدقَ فيك وقال كلمةَ حقٍّ، حافظٌ بحرٌ أنتَ ولكنَّ تعصُّبَكَ يجرَحُ جرحَك، ويخدِشُ نصيحَتَك للمسلمين، وأيُّ نصيحةٍ هذه التي فيها افتراءٌ على خلقِ اللهِ، فلماذا سلكتَ سبيلَ ابنِ عديٍّ في تعصُّبِه على الحنفيةِ، وسبيلَ الجوزجانيِّ في تعصبِه على الكوفيةِ، وهل ينفعُك بعد أن تشحنَ نصفَ الفصلِ على خلافِ الواقعِ والأصلِ.

ورحم اللهُ الإمامَ الحافظَ الثقةَ السيوطيَّ عندما قال فيك: إن غرَّكَ دندَنةُ الذهبيِّ، فقد دندَنَ على الإمامِ فخرِ الدينِ بنِ الخطيبِ ذي الخطوبِ وعلى أكبرَ من الإمامِ ...... الخ

ورحِمِ اللهُ اللكنويَّ عندما قال فيك في الرفع والتكميل:

ومِن ذلكَ جرحُ الذهبيّ في (ميزانِه) و (سِيَرِ أعلامِ النُبَلاءِ) وغيرِهما مِن تأليفاتِه في كثير من الصوفيّةِ وأولياءِ الأمةِ، فلا تعتبرْ بهِ ما لم تجِدْ غيرَه من متوسِّطي الأجِلَّةِ ومُنصِفي الأمةِ موافقًا له.انتهى

دمجُ الكشفِ بالكهانةِ والسحرِ وعملِ الجنّ أمرٌ مُريبٌ منك وكأنّكَ لا تعرفُ من الشرعِ شيئًا، ولعلك لو كنت تعلم ما سيقولُه ابنُ القيِّم عن مكاشفاتِ شيخِه وشيخِك لما تعدَّيتَ على أهل الكشفِ الصادقين الذين لا يدّعون الغيبَ في اللوحِ المحفوظ، فقد قال ابنُ القيم في المدارجِ أيضًا:

وأخبرني غيرَ مرةٍ بأمورٍ باطنةٍ تختصُّ بي مِمّا عزَمْتُ عليه ولم ينطِقْ به لساني وأخبرَني ببعضِ حوادثَ كبارٍ تجري في المستقبلِ ولم يعيِّنْ أوقاتَها وقد رأيتُ بعضَها وأنا أنتظرُ بقيَّتَها وما شاهدَه كبارُ أصحابِه من ذلك أضعافُ أضعافِ ما شاهدتُه.انتهى كلامُه

فالحمدُ للهِ أنك شهدتَ على ابنِ تيميةَ أنه صاحبُ حالٍ شيطانيةٍ، وعلى هذا فكلامُه في الرفاعيةِ مردودٌ عليه بالبديهة وكذلك جرحُكَ إياهم استنادًا على كلامِه مردودٌ أيضًا بالبديهة.

فلم يبقَ إلا عدالةُ الرفاعيةِ والحمد للهِ الذي بنِعمِه تتمُّ الصالحات.

لكن ما يحيِّرُني أنك قلتَ عن الجُبّائيِّ المعتزلي (الإمامُ القدوةُ) فسبحان الله إمامٌ في ماذا وقدوةٌ في أيِّ شيءٍ هذا المعتزلي الضال.

وكيف رضِيتَ بجرحِكَ هؤلاءِ ولا معرفةَ لك بهم وغايةُ علمِكَ فيهم كتابٌ نقلتَ منه بالإجازةِ كما اعترفتَ به وما فيه إلا الخير، وابنُ تيميةَ وما فيه إلا الحطُّ عليهم ولم يأتِ ببيِّنةٍ هذا الأخيرُ، علمُه أكبرُ من عقلِهِ، بل بينهما برزخٌ لا يلتقيان، يرى رجلاً يدخلُ النار ويخرجُ سليمًا منها على قدمِ

نبيِّ الله إبراهيمَ عليه الصلاةُ والسلامُ فيقولُ له من خفَّةِ عقلِه: عليك باتّباعِ الشرعِ، هذا مِن خفَّةِ عقلِه، ثم تراهُ يُغيرُ على كتبِ الشريعةِ المطهَّرةِ رافعًا لواءَ الكذبِ، فتجدُ الحديثَ في عشرةٍ من كتبِ الحديثِ، هذا صحَّح واحدًا وذاك حسَّنَ ءاخَر وزيدٌ ضَعَّفَ وعمرٌو توقَّف، فينقضُّ ابنُ تيميةَ على الجميعِ بقولِهِ:

(هذا الحديثِ موضوعٌ بإجماعِ أهلِ الحديثِ، ولم يَرِدْ في شيءٍ من كتبِ السنّةِ المعتمدةِ)، ويكونُ الحديثُ في سننِ الدارقطنيِّ وسنن البيهقيِّ ومسندِ أبي داودَ الطيالسي وصحيحِ ابنِ خزيمةَ، فمن هؤلاءِ رِعاءُ شاءٍ أم مِن أهلِ الكتابِ أصحابُ إسرائيليّات.

ثم عجبًا من الذهبيِّ كيف يُدقِّقُ في الأمورِ إلى حدٍّ بعيدٍ وغاب عنه أمرُ أبي مسلمٍ الخَولانيِّ أو هو غيَّبَه عن بالِه وصرَفَ هذا الواردَ الشرعيَّ إجلالاً وإكرامًا لابنِ تيميةَ، ولعلَّه قالَ هذا قبلَ أن يعرفَ حالَ ابنِ تيميةَ في ءاخرِ حكمِه

عليه، لأنه وصفَه بعدَها بأنه صار مظلمًا مكسوفًا بسبب الفلسفةِ التي كان يتعاطاها وأنه متكبّرٌ معجَبٌ برأيِهِ يزدري الكبارَ والصغارَ، وأفظعُ من هذا كما في رسالتِه بيان زغَلِ العلمِ والطلَبِ (الكويت طبعة دار الصحوة تحقيق ناصر العجمي).

ثم عجبًا من الذهبيِّ كيف يُدقِّقُ في الأمورِ إلى حدٍّ بعيدٍ يتوقَّفُ فيهِ عن التصحيح أو القَبولِ لأدنى شُبهةٍ كقولِهِ عند ذكر فيضانِ بغداد نقلاً عن أبي شامة:

فانهدمت بغداد بأسرها ولم يبق أن يطفح الماء على رأس السور إلا قدر إصبعين.

إلى أن قال: وبقيت بغداد من الجانبين تلولا لا أثر لها.

قلت: العجب من أبي شامة ينقل أيضا هذا ولا يبالي بما يقول.انتهى كلامه

قلت: بل العجبُ منكَ أنتَ، فخَبَرٌ كهذا تدقِّقُ فيه إلى هذا الحدِّ وتلوِّحُ إلى قيامِ الدليلِ على كذبِ ظاهرِه والمبالغةِ فيه،

فكيفَ تنكرُ عليه هذا في عدم التدقيق عن ارتفاع الماء ولا تنكرُ على الهرويِّ المجسّمِ الذي جعل الله ذا أعضاءٍ، ألأنه تحنبلَ مثلَك.

وتعتبرُ الذين هم على قدمِ إبراهيم عليه الصلاة والسلامُ ومَن كان مثلَه من أولياءِ الأمةِ شياطينَ ودجاجلةً، هذا الكلامُ الخطيرُ فيه قدحٌ بالنبوّةِ وتجويزُ معارضتِها بالمثلِ فأين يُذهَبُ بك؟ هذه الحنبلةُ الممقوتةُ قد أكلَتْ قلبَك، والدليلُ على صدقِ كلامي أنك حاولتَ الطعنَ في الإمامِ ابنِ الجوزيِّ الذي لا تساوي ربعَ علمِهِ وقدرِه، لأنّه حاول تطهيرَ مذهبِ الإمامِ أحمدَ من أوساخِ التشبيه كالتي ذكرتَها في كتابك "العلُوّ"، فقلت كذبًا:

(فليتَه لم يَخُضْ في التأويلِ، ولا خالفَ إمامَه)

بل إنكارُك منكَرٌ وكذبٌ، ومَن قال بأن الإمام أحمد لم يؤوِّل، فقد صح عنه ذلك فأنت المخالف، قبَّح الله التعصب المذهبيَّ وتبعاتِه.

روى الإمام البيهقيُّ في كتابِه مناقب أحمدَ وقال بإسنادٍ لا غبارَ عليه: **قيل للإمامِ أحمدَ (وجاءَ ربُّك) قال: وجاءت قدرتُه.** إنما القرءانُ أمثالٌ ومواعظُ.انتهى، وأقرَّه ابنُ كثيرٍ في تاريخِه.

وروى اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة: قال حنبل بن إسحاق قال: سألت أبا عبدِ الله أحمد بن حنبل عن الأحاديث التي تروى عن النبي صلى الله عليه وسلم : (إن الله ينزل إلى السماء الدنيا) ، فقال أبو عبد الله: (نؤمن بها ونصدق بها ولا نرد شيئا منها إذا كانت أسانيدَ صحاحًا، ولا نرد على رسول الله قولَه، ونعلم أن ما جاء به الرسول حق، حتى قلت لأبي عبد الله: (ينزل اللهُ إلى سماءِ الدنيا) قال: قلت: نزوله بعلمه؟ بماذا؟ فقال لي: اسكت عن هذا، ما لَكَ ولهذا، **أَمْضِ الحديثَ على ما رُوي بلا كيفٍ ولا حدٍّ**، إنما جاءت به الأثار وبما جاء به الكتاب قال الله عز وجل : فلا تضربوا لله الأمثال **ينزلُ كيف يشاءُ بعلمِه وقدرتِه وعظمتِه**، أحاط بكل شيء علما.انتهى بحروفه

وللإمامِ أحمدَ بنِ حنبلٍ رضي الله عنه تأويلاتٌ غيرُ هذه، فليتَ الإمامَ ابنَ الجوزيِّ سلِمَ منكَ، ولا عجبَ منكَ فقد شوَّهتَ صورةَ الإمامِ أحمدَ رضي الله عنه بكتابِك (العلو) وأيّدتَ الباطلَ واللهُ تعالى يعلمُ أن الإمامَ أحمدَ بريءٌ مِمَّن تسمِّيهم حنابلةً من المجسمة والمشبهة.

والذهبيُّ لم يتّقِ اللهَ في الإمامِ ابنِ الجوزيِّ رضي الله عنه وهو إمامٌ مجمَعٌ على فضلِه، ولم يهدأْ له بالٌ حتى قال في تاريخِه ج٤١ص٣٧٠ عن ابنِ الجوزيِّ نقلاً عن بعضِهم وبدونِ ردٍّ منه: (وجماعةٌ مِن الحنابلةِ تشيَّعُوا، حتى إن ابنَ الجوزيِّ صارَ يَسجَعُ ويُلغِزُ، إلاّ رضيَّ الدّينِ القزوينيَّ، فإنه تصلَّبَ في دينِه وتشدَّدَ).انتهى

يعني أنّ الإمامَ ابنَ الجوزيَّ لم يتصلَّبْ في دينه ولم يتشدَّد، لأنّه صرّحَ ببُغضِ يزيدَ، فانظُرْ إلى إساءةِ الذهبيِّ في حقِّ مَن هو أعظمُ منهُ فضلاً ودرجةً وعلمًا وورَعًا وأتقى وأصدقُ.

والذهبيُّ يعلمُ جيدًا أنّ الإمامَ أحمدَ في روايةٍ له أجازَ لعنَ يزيدَ على ما فعلَه مِن انتهاكِ حرمةِ الكعبةِ وغيرِها، وعلى الأمانةِ السلامُ.

الردُّ على كلامِ الذهبي من كلامِ ابنِ تيمية

ولكي ترى بعينيك حقدَ الذهبيِّ وظُلمَهُ وردًّا على كلامِه الباطلِ وتشكيكِه بأنّ حجّتَه في إبطالِ كراماتِ الرفاعيةِ أن شيخَهم السيّدَ أحمدَ الرفاعيَّ رضي الله عنه ما عرفَ هذا ولا أصحابُه كما زعم، والردُّ عليهِ من كلامِ ابنِ تيميةَ في كتابه أولياء الرحمٰنِ فصل كراماتِ الصحابة بقولِه:

ومما ينبغي أنْ يُعرف أنّ الكراماتِ قد تكونُ بحسبِ الحاجةِ، فإذا احتاج إليها الرجلُ لضعفِ الإيمانِ أو المحتاجُ أتاه منها ما يقوي إيمانَه ويسُدُّ حاجَتَه، **ويكون مَن هو أكملُ ولايةً للهِ مستغنيًا عن ذلك فلا يأتِيه مثلُ ذلك لِعُلُوِّ** درجتِه وغِناه عنها، لا لنقصِ وِلايَتِه، ولهذا كانت هذه الأمورُ في التابعينَ أكثرَ منها في الصحابةِ **بخلافِ مَن يَجري على يَدَيـــهِ**

الخـــوارقُ لِهَدْيِ الخلقِ وحاجتِهم فهـؤلاءِ أعظمُ درجةً.انتهى كلامُ ابنِ تيميةَ بحروفِه

هي زلةٌ من الذهبيِّ جرَّهُ إليها شيطانُ العصبيةِ فأهلكَه فيها، وهنا أسئلةٌ نوردُها للذهبيِّ نقضًا لكلامِه وإظهارًا لكذبِه في المقال:

الأول: هل علمتَ أيها الذهبيُّ أنَّ أحدًا قالَ للتابعين: أحوالُكم شيطانيةٌ لأنّ هذا الأمرَ ما عرفَه الصحابةُ على هذا الوجه.

الثاني: قد ردّ ابنُ تيميةَ على كلامِك وأنّ عُلُوَّ درجةِ السيّدِ أحمدَ الرفاعيِّ قدّس الله سرَّه العظيمَ يُغنيه من الله تعالى عن مثل هذا لتمكُّنه، وهذا هو المرشدُ الكاملُ والإنسانُ الكامل، فهل كذبَ ابنُ تيميةَ أم كذبتَ أنت، لا بدَّ من كذبِ واحدٍ منكما، والواضحُ يقينًا هنا هو كذبُك أنت.

الثالث: قولُ ابنِ تيميةَ: (بخلافِ مَن يَجري على يديـهِ الخـــوارقُ لِهَدي الخلقِ وحاجتِهم فهـؤلاءِ أعظمُ درجةً)

أليس هذا مثلَ إسلامِ السلطانِ أحمدَ بنِ هولاكو ونشرِه الإسلامَ واعتمادِ الإسلامِ دينًا للتتار وبناءِ المساجدِ والجوامعِ وإلزامِ النصارى بالجِزْيةِ على حسبِ ما قرَّرَه دينُ الإسلامِ أيها الذهبي.

هل هذه هي الأحوالُ الشيطانيةُ التي قصدتَها يا مَن نصبْتَ نفسَكَ أمينًا على الأحاديثِ والأخبار ووثِقَ بكَ الناس.

فسبحانَ مَن جعلَ خزيَكَ على يدِ ابنِ تيميةَ حبيبِك الذي تعصَّبتَ لإجلِه.

تفصيلُ كلامِ ابنِ تيمية

أما ابنُ تيميةَ فإنّه بقولِه (نغسلُ أجسامَنا وندخلُ النارَ، حتى وإن دخلتم فإنّها حالٌ من الشيطانِ) فإنّ هذا الكلامَ فيه:

أنّه يُشكِّكُ بكرامةِ سيّدِنا أبي مسلمٍ الخَولاني أحدِ أسيادِ التابعينَ لنفسِ العلّةِ، ولو كانَ هذا كما يزعمُ هذا الحقودُ لقاله الأسودُ العَنْسيُّ لعنه الله عندما رماهُ في النار، لكنّه لمّا لم يستطِعْ ردَّها ولا الإتيانَ بمثلِها نفاهُ من اليمن خشيةَ أن يُفسدَ عليهِ دعواهُ، ولم يجرؤْ أحدٌ على القولِ له: بماذا دهنتَ جسمَكَ، ولم يجرؤْ أحدٌ على فحصِهِ، ولا على اتّهامِه بالسحرِ أو الشعوذةِ، فلو كان ما يقولُه ابنُ تيميةَ محتملاً لبادر البعضُ بالتكذيبِ فورًا وعلى رأسِهم العَنسيُّ وشيطانُه.

فأينَ عقلُ الذهبيِّ وابنِ تيميةَ، فابنُ تيميةَ بقي يقولُ (أُلْقِيَ في قلبي) ولم يدخُلْها لإقامةِ الحجّةِ، وهذا الحقدُ كما ترى قد جرَّهما إلى المهالك، وقد مرَّ معكَ أنّ تكذيبَ هذه

الكرامةِ هو بعينه تكذيبٌ لمعجزةِ سيّدِنا إبراهيم صلى الله عليه وسلم أي دخولِه في النار أيضًا، وهو نقضٌ للقرءانِ، فانظُرْ إلى ما ءالَ إليهِ حالُهما مِن الطعنِ في النبوّةِ والقرءانِ شاءَا أم أبَيَا، فقولُ ابنِ تيميةَ (حتى وإنْ دخلتُم النارَ بعد غسلِ أجسامِكم فإنّه من الشيطانِ) ضلالٌ ومعاندةٌ، فلماذا بعد هذا القولِ يقولُ: لم يدخلِ الرفاعيةُ في النارِ عندما دعوتُهم إليها، وهذا الحقودُ في الحالينِ قال بأنها من الشيطانِ، فقد حسم الأمرَ والمسئلةُ شيطانيةٌ عندَه مِن المُسَلَّماتِ، والعياذُ باللهِ من شرّه، والله تعالى أعلم وأحكم.

نقضُ مناظرةِ ابنِ تيميةَ المزعومةِ للرفاعية

قرأنا هذهِ المناظرةَ المكتوبةَ بخطِّ الخصمِ يحكي أمجادَ نفسهِ ويتغنّى ببطولاتِه التي لا يرويها غيرُه، مع سردٍ مفصَّلٍ لمواقفِهِ البطوليّةِ في هذه المناظرةِ بزعمِهِ، وكما ينقلُ هو ونقلَ مِثلَه مختصرًا جدًّا تلميذُه ابنُ كثيرٍ أنّ الأمرَ كانَ كما أرادَ ابنُ تيميةَ، وأنّ مَن لم يتّبعِ الشرعَ ضُرِبَت عنُقُه، وهنا مسائلُ:

الأولى: أنّ دخولَ النارِ والنومَ في الأفرانِ وهي تضطرِمُ، لا مخالفةَ فيه للشرعِ كما رأيتَ إنما هو حقدٌ من ابنِ تيميةَ، حتى لا يأفُلَ نجمُه في جهادِه مع التتارِ، ونصرُ الرفاعيةِ في إسلامِ السلطانِ أحمدَ بنِ هولاكو لم يُعجبْه.

الثانية: أنّ تفصيلَ المناظرةِ هذه مع ذكرِ ما لهُ فيها، لا يُمكنُ الأخذُ بهِ، فإنّه خبرٌ منه عليهم وهو عدوُّهم وسببُ أذيّتِهم، فلا يؤخذُ به، ولعلَّ موتَه في السجنِ من جملةِ عقابِ اللهِ له، وقد وصفَه الذهبيُّ وغيرُه بأنه كان متكبِّرًا جريئًا على الأمور برأيِه.

الثالثة: أنّ كذبَ عبدِ الرحمٰنِ دمشقية معروفٌ وهو الذي طبعَها وقد استمازَ في هذا العصرِ بحملِ رايةِ التزويرِ في كتبِ أهلِ الإسلامِ، وقد ثبتَ عليهِ التزويرُ في عدةِ أمورٍ كتزويرِ النقلِ من رسالةِ بيانِ زغلِ العلمِ للذهبيّ، حرّفَ النقلَ ثمّ كذبَ في كتابٍ ءاخرَ وأرشدَ الناسَ إلى رسالةِ الذهبيِّ

وتحديدًا طبعة دار الصحوة الكويت، تحقيق ناصر العجمي، والكلامُ فيها على خلافِ قولِه، فلعلّه ظنَّ أنّ أحدًا لن يرجعَ إلى الكتابِ الذي ينقلُ عنه محرَّفًا وقد افتُضحَ أمرُه، ولعلَّه زوَّر مناظرةَ ابنِ تيميةَ هذه وزادَ فيها، ولعلَّه طبعَها كما هي والجوابُ على كلامِ ابنِ تيميةَ كما مرَّ.

الرابعةُ: ابنُ تيميةَ نفسُه يكذبُ ويبالغُ، وكذبُه المشهورُ أنّه إذا أرادَ أن يُقرِّرَ مسئلةً يدّعي الإجماعَ المكذوبَ فيها وأنّ العلماءَ على مرِّ العصورِ شرقًا وغربًا قالوا بهذا، وأنّ مَن خالفَهُ يُستتابُ، وقد مرَّ معك سابقًا قولُه عن الإجماعِ المكذوبِ على تحريمِ أكلِ الحيّاتِ والعقاربِ، وهي خلافيةٌ ثابتةٌ عن أحدِ أركانِ العلمِ، لكنَّه مِن شدّةِ كذبِه واستغبائِهِ للناسِ يتقحَّمُ النارَ على بصيرةٍ ويدّعي الإجماعَ فورًا، وكأنَّ كلَّ الناسِ دونَه حمقى جُهّالٌ لا علمَ عندهم، فكيف يُصدَّقُ في روايةِ المناظرةِ بنفسِه عن نفسِه.

الخامسةُ: مسئلةُ الأطواقُ التي قيلَ بأنّهم كانوا يَضَعونها في رقابِهم، وهذا مما أنكرَهُ ابنُ تيميةَ، ويقولُ بأنّه سألَ العلاّمةَ الفقيهَ ابنَ الزَمَلكانيِّ فقال بأنها بدعةٌ لا نصَّ عليها في الشرع.

والجوابُ على هذا بالتالي:

أولاً: كلامُ الإمامِ ابنِ الزملكانيِّ – إنْ ثبتَ عنه – لا إشكالَ فيهِ، فلم يدَّعِ الرفاعيةُ أنه سُنّةٌ أو أنّ الناسَ عليهم الاقتداءُ بها، قد نقلَ ابنُ تيميةَ أن مشايخَهم الكبارَ أمروهم بنزعِها، فإنْ كانَ فعلَ طائفةٍ في منطقةٍ محدَّدَةٍ فلا إشكالَ، فيُرشَدونَ.

ثانيًا: هو ليس من المحرّماتِ حتى يُنكرَ عليهم، ولم يجعلوه شعارًا للناسِ يدعونهم إليه حتى يقال: مَن سنَّ في الإسلامِ سُنّةً حسنةً أو سُنَّةً سيِّئةً فهو كذا وكذا، كما في الحديثِ في صحيحِ مسلم.

ثالثًا: سيّدُنا أبو مسلمٍ الخَوْلانيُّ التابعيُّ الجليلُ الذي اعترفَ ابنُ تيميةَ بإمامتِه وشدّةِ استقامتِه، حصلَ منهُ مثلُ هذه البدعةِ ولم يَدْعُ الناسَ إليها وبيانُه في سيرِ أعلامِ النبلاءِ للذهبيّ نفسِه:

عن عثمان بن أبي العاتكة قال كان مِن أمرِ أبي مسلمٍ الخولانيِّ أنْ علّقَ سَوْطًا في مسجدِه و يقولُ: أنا أَوْلَى بالسَوطِ من الدوابِّ، فإذا دخلتْه فترةٌ[34] مَشَقَ ساقه سَوْطًا أو سَوْطَينِ وكان يقول لو رأيت الجنة عيانا ما كان عندي مستزاد ولو رأيت النار عيانا ماكان عندي مستزاد[35].انتهى

فهذا عند ابنِ الزملكانيِّ بدعةٌ إذ لا نصٌّ شرعيٌّ عليها، لكنها ليست حرامًا بل استعانَ بها على الطاعاتِ، ومدحوه وعدُّوا هذا الفعلَ من جملةِ فضائلِهِ ومناقبِه، مع أنّه سيِّدُ التابعينَ في

(34) الفترةُ من الفُتُورِ أي إذا أصابه انكسارُ همةٍ عن الطاعات.

(35) رواهُ أبو نعيمٍ في الحِليةِ ورواهُ ابنُ عساكرَ في تاريخِ دمشقَ من طريقينِ، الثانيةُ من طريقِ أبي نعيم. والذهبي في سيَرِهِ وقال عنه: سيّدُ التابعينَ وزاهدُ العصر.

الزهدِ والحكمةِ، مع ما يظهَرُ لكَ من مخالفةِ فعلِه حديث: (فإنَّ لِجَسَدِكَ عليكَ حَقًّا)، رواه البخاريُّ وغيرُه.

وأبو مسلمٍ قال عنه الذهبيُّ نفسُه في العِبَر: أبو مسلمٍ الخَولانيُّ الزاهدُ سيِّدُ التابعينَ بالشامِ.انتهى

وقال في طبقاتِ الحفاظ: له مناقبُ وكراماتٌ وكان يقال: **هو حكيمُ هذهِ الأمةِ** رحمه الله.انتهى

فلمْ يجرُؤْ ولن يَجرُؤَ أحدٌ على تخطِئتِهِ إلاّ مَن أعمى اللهُ بصيرَتَه.

فإن كان هو يستعينُ بضربِ بَدَنِهِ بالسَوْطِ، فالرفاعيةُ استعانوا بالطَوقِ في العُنُقِ كسرًا لأنفسِهِم ولِعَدَمِ الغفلةِ عمّا جناهُ الواحدُ منهم، كما يُقادُ العبدُ الآبقُ من سيِّدِهِ مقيَّدًا بالأغلالِ.

هذا وفي صِفَةِ الصَفْوَةِ لابنِ الجوزيِّ عن سيِّدِنا الجليلِ مالكِ بنِ دينارٍ رضيَ اللهُ عنه:

قال مالكُ بنُ دِينار: **لقد هممت أن ءامر إذا مِتُّ أنْ أُغَلَّ فأُدْفَعَ إلى رَبِّي مَغْلُولاً كما يُدْفَعُ الآبقُ إلى مَوْلاه**.انتهى

إن كان هذا في موتِه وقد انقطعَ عملُه فما وجهُ الإنكارِ على الحيِّ الذي يتقلّبُ أطْوارًا في المشيئةِ الربّانيةِ، سَلِ اللهَ الثباتَ والنجاةَ في الدارَين.

فما الذي جعل هذا منهم زيادةً في العبادةِ وخوفًا مِن اللهِ محمودًا وجعلَه مذمومًا لكونِه صادرًا من الرفاعيةِ حفظهم اللهُ.

هذا ظلمٌ وتحكُّمٌ لا مزيدَ عليهما والعياذُ باللهِ، هذا وإنّ قصةَ الأطواقِ ليست من الأمورِ المعروفةِ عن الرفاعيةِ نهجًا مِن مناهجِهم، قد يكونُ استحسنَها بعضُ مشايخِهم الشاميونَ وأتباعُه، وليست أساسًا عند الرفاعيةِ، حتى تُنسَبَ إلى الرفاعيةِ كنهجٍ، فقد يكونُ شامِيُّو الرفاعيةِ عرفوا هذا عن مالكِ بنِ دينارٍ فقالوا نحن أَوْلَى بها ونحنُ أحياءٌ من الميِّتِ

المغلول، كما قال أبو مسلمٍ رضي الله عنه "أنا أَوْلَى بهذا من الدوابِّ"، ففيم هذا الإنكارُ الذي جعلَ هذا الحقودَ يُشعلُها حربًا ضروسًا عليهم ولسانُ حالِهِ يقولُ: إمّا النصرُ وإما الشهادة.

السببُ في عدمِ قبولِ الرفاعيةِ لتحدِّي ابنِ تيمية

أولاً: قد رأيتَ رحمك اللهُ أنّ ابنَ تيميةَ حاولَ أن يتحَدّاهم مِراءً لا يُرجَى من ورائِهِ خيرٌ، لا إحقاقُ حقٍّ ولا إبطالُ باطلٍ، والدليلُ عليهِ جزمُه بأنّه من الشيطانِ سواءٌ خرجوا من النارِ سالمينَ أم محترقينَ غسلوا أجسادَهم — كما توهَّمَه — أم لا، فأيُّ خيرٍ يُرجَى من هذا التحدي وهو يقولُ لهم: هذه شيطناتٌ في كل الأحوالِ.

وقد خذلَهُ اللهُ باعترافِه بنفسِه في مناظرتِه المزعومةِ بهذا الكلام.

ثانيًا: إجابةُ المتحدِّي للوليِّ في الولايةِ أمرٌ مختلفٌ فيهِ، إذا كان الشخصُ يُريدُ بيانَ الحقِّ، قالوا حتى لا تكونَ مشابهةً للمعجزةِ في دعوى التحدي، وهو قولٌ معروفٌ قديمٌ، وإنْ لم يرضَ الإمامُ الجُوَينيُّ به.

لكن قالَ الهيتميُّ في الفتاوي[٣٦] الحديثيةِ:

ومنها- أي مِن خصائصِ المعجزاتِ -: التحَدِّي أي طلبُ المعارَضَةِ والمقابَلَةِ، قال الجوهريُّ: يُقالُ تَحَدَّيتُ فُلانًا إذا بارَيْتُهُ في فِعْلٍ ونازَعْتُه لِلْغَلَبَةِ.انتهى

ثالثًا: قد قال ابنُ تيميةَ نفسُه عن الكراماتِ: ولهذا كانت هذه الأمورُ في التابعينَ أكثرَ منها في الصحابةِ، بخلافِ مَن يَجري على يديـــهِ الخـــوارقُ لِهَدي الخلقِ وحاجتِهم فهـــؤلاءِ أعظمُ درجةً.انتهى

---

[٣٦] الأصلُ في الفتاوِي كسرُ الواوِ، وقيلَ يجوزُ فتحُها، والمفـــرَدُ فَتْـــوَى وفُتْوَى وفُتْيا. انظرِ تاجَ العروسِ، وقال ابنُ سِيدَه: بالفتحِ لأهلِ المدينـــةِ وغيرُهم بضَمِّ الفاءِ، واللهُ تعالى أعلم.

وهذا الذي قالَهُ ابنُ تيميةَ هو المعروفُ عند العلماءِ، ذكروهُ في مُصنَّفاتِهم كابنِ حجرٍ الهَيتَمِيّ، واللهُ تعالى أعلمُ وأحكم.

وقد قال ابنُ تيميةَ قبلَها: ومما ينبغي أنْ يُعرف أنّ الكراماتِ قد تكونُ بحسبِ الحاجةِ، فإذا احتاج إليها الرجلُ لضعفِ الإيمانِ أو المحتاجُ أتاه منها ما يقوي إيمانَه ويسُدُّ حاجتَه.انتهى

فأينَ الحاجةُ رحمَكَ اللهُ عند شخصٍ يقولُ لك أتحدّاكَ أن تفعلَ كذا بشرط كذا، وإن فعلتَه بالشرطِ هذا فأنت شيطانيٌّ الحالِ.

فالحجةُ قائمةٌ على ابنِ تيميةَ بكلامِه نفسه، فلا عجب أن يكونَ كما وصفه العراقيُّ بأن علمَه أكبرُ مِن عقلِه، وكما وصفَه الذهبيُّ بأنه صاحب كِبرٍ وعُجْبٍ بنفسِه وازدِراءٍ بالكبار، كما في بيانِ زغَلِ العِلمِ والطلب.

يُنكرونَ على الرفاعيةِ والصوفيةِ عمومًا عباراتٍ حقّةٍ مِن تصرُّفاتِ الأولياءِ في الأكوانِ وتدبيرِهم العالَمَ بإذنِ الله، ويعتبرونَ هذا شِرْكًا في الألوهيّةِ تعصّبًا وحقدًا وزعمًا منهم أنهم يدافعونَ عن التوحيدِ ويَذُودونَ عنه، وعلى رأسِهم هذا المبتدعُ عبد الرحمٰن دمشقية المزوّرُ الجاهلُ بربّه، ولا يعلمونَ أنهم كفّروا ابنَ تيميةَ الذي يُسمُّونَه شيخَ الإسلامِ فما هذا التناقضُ العجيبُ والابتداعُ، وهاكَ ما قالَ ابنُ تيمية في مجموعِ فتاويه ج٤ص٣٧٩:

وأما النفعُ المتَعَدّي والنفعُ للخلقِ وتدبيرُ العالَمِ فقد قالوا هم تجري أرزاقُ العبادِ على أيديهم ويَنـزِلون بالعلومِ والوحي ويحفظون ويُمسكون وغيرُ ذلك مِن أفعالِ الملائكةِ.

والجوابُ: أنَّ صالحَ البشرِ لهم مثلُ ذلكَ وأكثرُ منه.انتهى

ويقولُ ابنُ تيميةَ أيضًا في مجموعِ الفتاوي عند تعريف التوكُّل: سببٌ لجلبِ المنافعِ ودفعِ المضارِّ، فإنّه يُفيدُ قوّةَ العبدِ وتصريفَ الكونِ.انتهى

فما لِهذا الذي تُسمُّونه شيخَ الإسلامِ صار شيخَ الكفرِ والإشراكِ في نظرِكم شئتُم أم أَبيتُم؟ أم حلالٌ لهُ حرامٌ على الرفاعيةِ بالهوى والتشهّي؟

(أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ)

ويُنكرونَ على الصوفيةِ عُمومًا كراماتِهم في إحياءِ المَوتَى، وأن هذا إشراكٌ باللهِ، (وما قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ إنَّ اللهَ لَقَوِيٌّ عَزِيز)، وليسَ لمخلوقٍ أنْ يخصِّصَ قدرةَ اللهِ في الممكنِ العقليِّ والعياذُ باللهِ، فما لَهم صاروا كاليهودِ (وَقالَتِ اليَهُودُ يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِم وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا). فما الذي يَمنَعُ قدرةَ اللهِ الجبّارِ تباركَ وتعالى أن يُمكِّنَ وليَّهُ مِنْ قولِه للميّتِ (قُمْ بإذنِ اللهِ) فيقوم، وهل هي إلا ردُّ رُوحِه إليه بخلقِ اللهِ تعالى

إكرامًا لهذا الوليِّ الذي قال اللهُ فيه في الحديثِ القُدْسِيِّ: (فإذا أَحْبَبْتُه كنتُ سَمْعَهُ الذي يَسْمَعُ بِهِ وبَصَرَهُ الذي يُبْصِرُ به ويَدَهُ التي يَبْطِشُ بها ورِجْلَهُ التي يَمشِي بها، ولَئِنْ سَأَلَنِي لأُعْطِيَنَّهُ ولَئِنِ اسْتَعاذَنِي لأُعيذَنَّه)(٣٧).

---

(٣٧) رواهُ البخاريُّ وغيرُه، والكلمتانِ (لأعطيَنّه) و(لأعيذَنّه) كلاهما بفتح اللام.

فائدةٌ: الحديثُ القُدْسِيُّ هو الكلامُ الذي يحكيهِ النبيُّ صلّى اللهُ عليه وسلم من كلامِ اللهِ تبارك وتعالى وليس قرءانًا، فليس شرطًا فيه ما يُشترَطُ مِن تواتُرِ القرءانِ أي بلوغِ الناقلينَ لهُ عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم فمَن بعدَه في كل طبقةٍ أو عصرٍ عددًا يستحيلُ في العادةِ اتفاقُهم على الكذبِ عمْدًا أو سَهْوًا، أي لا بقصدِ الكذبِ في النقلِ ولا من بابِ المصادفةِ كذَبَ الجميعُ نفسَ الكِذْبَةِ، ويكونُ مفيدًا للعلمِ اليقينيِّ القطعيِّ الضروريِّ الذي لا يستطيعُ أحدٌ دفعَه، وهذا مَن أنكرَ منهُ حرفًا بغيرِ خطإٍ كفرَ والعياذُ بالله عنادًا كانَ أوِ استهزاءً، فما لم يكن كذلكَ ولم يأمرِ النبيُّ صلى الله عليه وسلمَ بأنْ يكونَ في سورةِ كذا بعدَ ءايةِ كذا، فهو الحديثُ القدسيُّ ولا يُشترَطُ فيه التواترُ، بل قد لا يكونُ صحيحًا كما هو حال عدةِ أحاديثَ، فمنها ما صحَّ ومنها ما لم يصحَّ، ومنها غيرُ غيرُ صحيحٍ كالذي يشتهرُ على الألسنةِ ويكونُ كذبًا أو لا إسنادَ لـه، =

فكيفَ يَمنَعُون هذا ويُخَصِّصون في عقولِهمُ الفاسدة قدرةَ اللهِ، أليسَ هذا من سوءِ الأدبِ والظنِ بالله تعالى، أليسَتِ اليهوديَّةُ أو غيرُها مِن أعداءِ الدينِ وراءَ هذا.

وإنّ في نفخِ الملائكةِ الرُوحَ في كلّ مولودٍ وسَحْبِ رُوحِه لأَسْطَعَ دليلٍ على تمكينِ المخلوقِ مِن هذا بإذنِ الله وخلقِه وقُدرَتِه، فما هذا الإلحادُ والعياذُ بالله.

فيا أيُّها المنكِرُ تُبْ إلى اللهِ وسَلْ رَبَّكَ التثبيتَ لعلَّه تعالى يتكرَّمُ عليكَ فتأتي حاملاً كتابَكَ بيمينِك من أمامِك يومَ الحسابِ وإلاّ فالويلُ الويلُ لك أيُّها الخائبُ المتعَدّي على أُلوهيّةِ اللهِ بما نصَّ على جوازِه الشرعُ ولا يناقضُهُ عقلٌ.

=كقولِ العَوَامّ: اللهُ يقولُ: (اِسْعَ يا عبدي وأنا أسْعَى معك)، وهذا لا أصلَ له، وإن كان فهمُهم موافقًا للشرع، من حيثُ إنّ مَن طلبَ الرزقَ الحلالَ وسَعَى في نفقةِ أُصولِه وعيالِه أي الذين هم عالةٌ عليهِ وهو عليه كفايتُهم أعانَه اللهُ ويسَّرَ له ما شاءَ، فليس لأحدٍ أن يكذبَ على اللهِ في شيءٍ وإن كان المعنى صحيحًا، فالنهيُ عنها واجبٌ تبرئةً للدينِ من انتحالِ المبطِلِينَ وتأويلِ الجاهلينَ، واللهُ تعالى أعلم.

وهذا إمامُكم ومَلْجَأُكم الذي تُسمُّونَه شيخَ الإسلامِ يقولُ في كتابِ النُبُوّاتِ ما نصُّه:

وقد يكونُ إحْياءُ الموتَى على يَدِ أَتْباعِ الأنبياءِ كما قد وقعَ لطائفةٍ مِن هذهِ الأمةِ.انتهى

ويقولُ أيضًا وهو يتكلَّمُ عن المعجزاتِ التي لا تكونُ كرامةً لأنّها من خصائصِ النبوّةِ:

وكانشِقاقِ القمرِ والقرءانِ وتفجيرِ الماءِ مِن بينِ الأصابعِ وغيرِ ذلك مِن الآياتِ التي لم تكنْ لغيرِ محمّدٍ[٣٨] مِنَ الأنبياءِ وكالناقةِ التي لِصالحٍ فإنَّ تلكَ الآيةَ لم يَكنْ مثلُها لِغَيرِهِ وهو خُروجُ ناقةٍ مِن الأرضِ بخلافِ إحياءِ الموتَى **فإنّهُ اشترَكَ فيهِ كثيرٌ مِنَ الأنبياءِ بَلْ وَمِن الصالحينَ**.انتهى

فما قولُكم فيهِ بعدَ هذا، إمّا أنْ تعترفوا بأنّ الأولياءَ يُحيونَ الموتى بإذنِ الله وإمّا أنْ تصرِّحُوا بضلالِ مَن تُسمُّونَه شيخَ

---

(٣٨) صلى الله عليه وعلى جميعِ إخوانِه النبيّين والمرسلينَ وسلم تسليمًا كثيرًا عددَ خلقِه ورضاءَ نفسِه ومِدادَ كلماتِه.

الإسلامِ، ولو اضطُرِرْتُم إلى الثانيةِ ردَدْناها عليكم بوقائعَ مِن إحياءِ الموتى عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم وعن الأولياءِ مِن بعدِهِ، نفعنا اللهُ بهم، لكنْ ما حالُه عندَكم وهو يعتقدُ أنّ الأولياءَ يُحيُونَ الموتَى (بإذنِ الله)[٣٩].

وكيف يكون شركًا بالله وقد أعطى اللهُ أحكمُ الحاكمينَ القدرةَ على الإحياءِ والإماتةِ للمسيحِ الدجالِ لعنَه الله، ففي صحيحِ البخاريِّ وغيرِه أنّ الدجالَ يقولُ لأتباعِه: (أرأيْتُم إن قتلتُ هذا ثم أحْيَيْتُه أكنتم تشُكُّونَ في الأمر، قالوا لا، فقتلَه ثم أحياه).

ويقع من الدجالِ أعظمُ من هذا، قال ابنُ العربيِّ: الذي يَظهرُ على يدِ الدجالِ من الآياتِ مِن إنزالِ المطرِ والخَصْبِ على مَن يُصدِّقُه والجَدْبِ على مَن يُكذِّبُه واتِّباعِ كنوزِ الأرضِ له

(٣٩) وضعتُها بينَ قوسَين لأنّ ابنَ تيمية لم يستعملْها في كلامِه هذا، بل قال بأن الصالحين يُحيون الموتى، ولا أزيدُ على كلامِه ولا أُنقِص، لكن أدبًا مع الله عزّ وجلّ.

وما معه مِن جَنّةٍ ونارٍ ومياهٍ تَجري، كلُّ ذلك محنةٌ مِن اللهِ واختبارٌ ليَهلِكَ المرتابُ ويَنجُوَ المتَيقِّنُ.انتهى

قلتُ: وهذا الذي يجري مع الدجالِ لعنَه اللهُ لا يدومُ، وهو استدراجٌ أي امتحانٌ من اللهِ لعبادِه، اللهمَّ ثبِّتْنا ءامين.

ولم أذكرْ إحياءَ الموتى على يدِ سيِّدِنا عيسى عليه صلواتُ الله وسلامُه لأنه أشهرُ مِن أنْ يُذكَرَ، وحتى لا يقولَ جاهلٌ نحن نمنعُه في الأولياءِ دونَ الأنبياءِ، وقد بانَ بُطلانُ معتَقَدِهم.

وبعضُهم يَتَفنَّنُ في الجهلِ فيقولُ نحنُ نمنعُ كونَ هذا للأولياء كصفةٍ لازمةٍ، وهذا تهافتٌ وتحايلٌ، فإنْ جازَ وقوعُ هذا مرةً للوليِّ جازَ وقوعُه أكثرَ منها، والمعجزةُ بعينها تقع كرامةً للوليِّ إلا ما كانَ من خصائصِ النبوّةِ، ولم يذكرْ أحدٌ من أئمةِ المسلمينَ اشتراطَ عدمِ تكرُّرِها، وهؤلاءِ يستدلُّونَ لفسادِ قولِهم بالآية: (وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ)، فهل فيها غيرُ الذي

ذكرناهُ؟ وليس من صفاتِ الرجالِ أنْ تسمَعَ جَعْجَعَةً ولا تَرَى طَحْنًا.

فصلٌ مختصرٌ في المعجزةِ والكرامةِ والاشتراكِ بينَهما

إنَّ اللهَ تعالى أكرَمَ أنبياءَهُ بالمعجزاتِ لتكونَ ءايةً على صدقِ دَعْوَى النُبُوَّةِ، وأكرَمَ أولياءَهُ بالكراماتِ لتكونَ ءايةً على صدقِ الوليِّ في اتِّباعِ نبيِّه، فالكرامةُ بعينِها معجزةٌ لنبيٍّ ذلك الزمانِ عليهم أجمعينَ صلواتُ اللهِ وسلامُه.

فالمعجزةُ هي: أمرٌ خارقٌ للعادةِ يَظهَرُ على يَدِ مُدَّعِي النُبُوَّةِ سالمٌ مِنَ المعارَضَةِ بالمثلِ.
والكرامةُ هي: أمرٌ خارقٌ للعادةِ يظهرُ على يدِّ الوليِّ وهي دليلٌ على صِدقِه وصحَّةِ اتِّباعِه لنَبِيِّه.

والقاعدةُ الشرعيةُ تقول:
ما جازَ أنْ يَكونَ مُعجِزَةً لنبيٍّ جازَ أنْ يَكونَ كرامةً لِوَلِيٍّ، إلا ما كانَ مِن خصائصِ النُبُوَّةِ كالقرءان، كما في غاية الوصول

شرح لُبِّ الأصول لشيخ الإسلامِ زكريا الأنصاري، وقال الدميريُّ الشافعيُّ في حياةِ الحيوانِ الكبرى عندَ ذكرِ الجَمَلِ: وإحياءُ الموتى كرامةٌ، فهو وإنْ كان عظيمًا إلاَّ أنه جائزٌ على القولِ الصحيحِ المختارِ عندَ المحقِّقِينَ المعتمَدِين من أئمةِ الأصولِ، إذْ ما جاز أن يكونَ معجزةً لنبيٍّ جازَ أنْ يكونَ كرامةً لوليٍّ، بشرطِ أنْ لا يدعيَ التحديَ كالنبوَّةِ، وإحياءُ الموتى كرامةٌ للأولياءِ كثيرٌ لا ينحصِرُ.انتهى

قال ابنُ حجرٍ الهيتميُّ في الفتاوي الحديثيةِ : قال الإمامُ اليافعيُّ فهؤلاءِ اتفقُوا على أنّ الفارقَ بينَهما — أي المعجزةِ والكرامةِ- هو تَحدِّي النبوةِ فقط، ولم يَشترَطْ أحدٌ منهم كونَ الكرامةِ دونَ المعجزةِ في جنسِها وعِظَمِها، فدل ذلك على جوازِ استوائِهما فيما عدا التحدّي كما صرَّحَ به إمامُ الحرمينِ، فيجوزُ اجتماعُهما فيما عدا التحدّي من سائرِ الخوارقِ حتى إحياء الموتى.انتهى

قلتُ: هذا بالضرورةِ دونَ ما كانَ من خصائصِ النُبوّةِ كالقرءانِ.

أمّا التحدّي أي تحدّي النبوةِ فإنّه لا يكونُ كرامةً أبدًا معاذَ اللهِ بل هو سِحْرٌ، كما حصلَ مع سيّدِنا موسى والسَحَرَةِ عندما ألقَوا حبالَهم.

وهذا فصلٌ في أشياءَ مفيدةٍ ذكَرَها ابنُ حجرٍ الهَيتَمِيُّ في الفتاوي الحديثية مع حذفٍ لبعضِ المسائلِ، وجاء فيها:

وسُئِلَ نفعَ اللهُ به هل كراماتُ الأولياءِ حقٌّ وهل يَجوزُ أن تَبلُغَ مَبْلَغَ المعجزةِ وما الفرقُ بينَهما وبينَ السِحْرِ ولَم كَثُرَت بعدَ زمنِ الصحابةِ وهم أفضلُ الأمةِ.

فأجاب بقولِه رحمهُ اللهُ: الحقُّ الذي عليه أهلُ السنةِ والجماعةِ مِن الفقهاءِ والأصوليّينَ والمحدّثِينَ وكثيرونَ مِن غيرِهم خلافًا للمُعْتَزِلةِ ومَن قلّدهم في بُهْتانِهم وضلالِهم من غير رَوِيَّةٍ ولا تأمُّلٍ، أنَّ ظهورَ الكرامةِ على الأولياءِ وهم القائمونَ بحقوقِ

اللهِ وحقوقِ عبادِه بِجَمْعِهم بينَ العلمِ والعمَلِ وسلامتِهم من الهَفَواتِ والزَلَلِ جائزةٌ عقلاً كما هو واضحٌ لأنها مِن جملةِ الممكناتِ ولا يمتنعُ وقوعُ شيءٍ (منها) لقُبْحٍ عقليٍّ، لأنه لا حُكْمَ لِلعَقلِ[٤٠].

(٤٠) أي هنا كهذه المسئلةِ، أما عمومًا فالعقلُ حَكَمٌ، فالذي لا يقبلُه العقلُ لا يأتي به الشرعُ لقولِه تعالى: (فتَكُونَ لَهُم قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بها)، فلا يأتي بما يُخالِفُ العقلَ ويُحاسبُهم على عدمِ الأخذِ به، للتناقضِ الواضح، وفي قولِ اللهِ تعالى حكايةً عن سيّدِنا إبراهيمَ عليه الصلاةُ والسلامُ: (فَلَمّا أَفَلَ قالَ لا أُحِبُّ الآفِلِين) لَدَليلٌ صريحٌ على ردِّهِ عليهم بمقتضَى العقلِ، وأدلّةُ التدبُّرِ في "خلقِ السماواتِ والأرضِ" و"اختلافِ الّيْلِ والنهارِ" و"في أنفُسِكُم" كثيرةٌ جدًّا، تقضي بتوافقِ الشرعِ والعقلِ في الأصولِ، أما ما لا يُدرِكُه العقلُ المجرَّدُ ولا يَثْبُتُ إلا بدليلِ النقلِ فكالكراماتِ، ولا حكمَ للعقلِ فيها لاحتياجها إلى تجويزِ اللهِ تباركَ وتعالى أو منعِها شرْعًا، كعذابِ القبرِ فالعقلُ لا حكمَ لهُ فيه، إنما هو الجوازُ العقليُّ والثبوتُ الشرعيُّ وثَبَتَتْ قطعيَّةُ هذهِ الأمورِ هكذا، والله تعالى أعلم وأحكم.

وليسَ في وُقوعِ الكرامةِ ما يقدَحُ في المعجزةِ بِوَجْهٍ، فإنها لا تَدُلُّ لِعَينِها[٤١] بل لِتَعَلُّقِها بدعوَى الرسالةِ، فكما جازَ[٤٢]

[٤١] فلا تفيدُ استقلالَ الوليّ بشيءٍ في الشريعةِ أو الأحكامِ الإلهيةِ، بل هي ضِمْنِيَّةٌ تحتَ ظلّ النُّبوَّةِ ومُفادُها صدقُ الاتّباعِ للنبيّ عليه الصلاةُ والسلامُ، فالكرامةُ بعينِها معجزةٌ للنبيّ عليه الصلاةُ والسلامُ ولولا صِدقُ النبيّ لما صحَّ لمتّبعِه خرقُ العادةِ، فالكرامةُ دليلُ صحةِ للنبيّ عليه الصلاةُ والسلامُ ثم للوليّ، فليستْ بعينِها تدلُّ على شيءٍ لها غيرِ الصدقِ في الاتّباعِ للنبيّ عليه الصلاةُ والسلامُ، أما النبيُّ فمعجزتُه دليلُ الاستقلالِ بالدعوةِ والاجتباءِ دونَ الناسِ لخاصيَّةٍ فيه عند الله تعالى أحكمِ الحاكمين، ويتحدَّى بها ليُثبتَ صِدْقَهُ، أما الوليُّ فلا حاجةَ له بهذا، فيكونُ النبيُّ عليه الصلاةُ والسلامُ حاكمًا بأمرِ الله مُشَرِّعًا سواءٌ باتّباعِ شرعِ الرسولِ الذي قبلَه أم بشرعٍ جديدٍ أُنزلَ عليه، والله تعالى أعلم وأحكم.

[٤٢] قولُه "جاز" أي في العقلِ بمعنى أمكنَ وصحَّ عقلاً، وإلا فتصديقُه فرضٌ في الشرعِ، ولهذا جاءَ الأنبياءُ عليهمُ الصلاةُ والسلامُ، ولو لم يجبْ تصديقُهم لما وجبَ اتّباعُهم ولَمَا وجبَ الإيمانُ بهم، وهذا فسادٌ وكفرٌ، ومُؤَدَّاهُ إبطالُ معاقبةِ الكافرينَ في الآخرةِ لعدمِ الوجوبِ، ولا قائلَ بهذا، فإيّاكَ وسوءَ الفهمِ وتنبَّه، وأغلبُ الناسِ لا يعرفونَ لكلمةِ "جاز" معنًى إلا عدمَ التحريمِ، وهذا غلطٌ فالجوازُ يُعبَّرُ بهِ عن الصحةِ، أخذًا من أصلِهِ =

تصديقُ مُدَّعِيها بما يُطابِقُ دَعْواهُ جازَ أن يَصدُرَ عنه مِثلُه إكرامًا لبعضِ أوليائِه، وسيأتي لذلكَ مزيدٌ في تحقيقِ الفرقِ بينَهما، ووَاقِعةٌ نقلاً مفيدًا لليقينِ من جهةِ مجيءِ القرءانِ بهِ ووقوعُ التواترِ عليه قَرْنًا بعدَ قرنٍ وجيلاً بعدَ جيلٍ وكُتُبُ العلمِ شَرقًا وغَربًا وعجمًا وعربًا ناطقةٌ بوقوعِها متواترةٌ تواترًا معنويًا لا يُنكرُه إلا غَبِيٌّ أو معانِدٌ[٤٣].

= اللغويّ، كما نقولُ "هذا يمشي" أي يُقبَلُ، فكذلك جاز، والله تعالى أعلم وأحكم.

[٤٣] وعلى هذا فَمَن أنكرَ لفظَ حديثٍ متواترٍ لشُبْهَةٍ لا يكفرُ، أما إنْ أنكرَ معنى الحديثِ المتواترِ بشروطِه وكان معلومًا من الدينِ بالضرورةِ فإنّه يكفرُ إلاّ أنْ يكونَ حديثَ عهدٍ بإسلامٍ بغيرِ معانَدَةٍ، نصَّ على هذا الأئمةُ، ومَن أنكرَ حديثًا صحيحًا مِن أحاديثِ الآحادِ – كالذي يَرويهِ واحدٌ أوِ اثنانِ أو ثلاثةٌ ولم يبلغْ مَبْلَغَ التواتُرِ – عنادًا كفرَ لِمُعاندَتِه الشرعَ، أما إنكارُه أو ردُّه لشُبهَةٍ عارضةٍ، فوقوعُه في الحرامِ بحسبِ الحالِ فلو أنّ شخصًا حفظَ نُسخةً من صحيحِ البخاريّ وحرَّرَها على مشايخَ عِدَّةٍ في بلدِهِ ولم يسمعْ قطُّ أنّ هناك اختلافًا في نُسَخِ البخاريّ من حيثُ الزيادةُ والنقصانُ، حتى اعتقدَ جزْمًا أنّ صحيحَ البخاريّ هوَ هوَ بهذا النحوِ فسمعَ حديثًا منسوبًا تخريجُهُ إلى البخاريّ فأنكرَ ذلك لجزمِهِ بأنّه =

=ليس في البخاريّ فهذا المُنكِرُ ليس واقعًا في الحرامِ، بلْ يُعَلَّمُ، هذا معنى بحسَبِ الحالِ.

قالَ مُلاّ علي القاري في شرحِ شرحِ النخبةِ عند أقسامِ الغريب ما نصُّه: وفي الفتاوي الظهيريةِ: إنّ الأخبارَ المرويةَ عن رسولِ الله صلى الله عليه وسلم على ثلاثِ مراتبَ:

١- متواترٌ فمَن أنكرَهُ كفرَ (قلتُ: بإنكارِ معناهُ لا لفظِه لـشُبْهةٍ كما قدّمتُ لك، وقد تكونُ الشُّبْهةُ سماعَه للحديثِ بلفظٍ مخالفٍ للمرويّ)

٢- ومشهورٌ فمَن أنكرَهُ كفرَ عندَ الكُلِّ، إلا عندَ عيسى بنِ أبان، فإنّه يُضَلَّلُ ولا يكفرُ، وهو الصحيحُ.

٣- وخبرُ الواحدِ فلا يكفرُ جاحِدُه غيرَ أنه يأثَمُ بتركِ القَبولِ، ومَن سَمِعَ حديثًا فقال: **سمعناهُ كثيرًا بطريقِ الاستخفافِ كفرَ**.انتهى كلامُه بحروفه

أما مسئلةُ المعاندَةِ فقد قال في الكتاب نفسه عند ذكرِ مُختَلِفِ الحديثِ: **فمعارضةُ النبيِّ كفرٌ على الحقيقةِ**.انتهى، وقال عند ذِكْرِ الطعنِ في الراوي عند قولِ ابنِ حجرٍ رضي الله عنه ممزوجًا: **(لا بمعانَدَةٍ) فإنّ ما يكونُ بمعانَدَةٍ كُفْرٌ**.انتهى

وما قدّمتُه لك من التفصيلِ جَمَعَ الكلَّ بحمدِ الله وهو تفصيلٌ نفيسٌ فاستفِدْهُ، واللهُ كريم.

وإذا تَقَرَّرَ جوازُها ووقوعُها مِن غيرِ إحصاءٍ ولا حَصْرٍ فالذي عليه **مُعْظَمُ الأئمةِ أنه يجوزُ بُلوغُها مَبْلَغَ المعجزةِ في جِنْسِها وعِظَمِها**[٤٤]، وإنما يفترقانِ في أنَّ المعجزةَ تقترِنُ بِدَعوَى النُبُوَّةِ أي باعتبارِ الجنسِ أو ما مِن شأنِه وإلاّ فأكثرُ معجزاتِ الأنبياءِ لا سِيَّما[٤٥] نبيِّنا محمدٍ صلى الله عليه وسلم وَقَعَتْ مِن غيرِ ادِّعاءِ نُبُوَّةٍ.

والكرامةُ تَقترِنُ بِدَعْوَى الوِلايةِ أو تَظهَرُ على يَدِ الوَلِيِّ مِن غيرِ دَعْوَى شيءٍ وهو الأكثرُ، فَمِن أولئِكَ الأئمةِ الإمامُ أبو بكرِ بنُ فُوْرَكَ وعبارتُه: المعجزاتُ دِلالاتُ الصدقِ ثُم إنِ ادَّعَى صاحبُها النبوةَ فالمعجزةُ تَدُلُّ على صدقِه في مَقالَتِه، فإن أشارَ صاحبُها إلى الوِلايةِ دَلَّتْ المعجزةُ على صدقِه في مَقالتِه فتُسَمَّى كرامةً ولا تُسَمَّى معجزةً وإنْ كانت مِن جنسِ

(٤٤) كدخولِ سيِّدِنا إبراهيمَ عليه الصلاةُ والسلامُ النارَ ودخولِ أبي مسلمٍ الخولانيِّ فمن بعدَه منَ الرفاعيةِ أدام اللهُ عِزَّهم وغيرِهم.

(٤٥) ما بعدَ لا سِيَّما يجوزُ رفعُه ونصبُه وجرُّه والجرُّ أشهرُ، والله تعالى أعلم.

المعجزاتِ. قال اليافعيُّ[٤٦]: ومِمّا تفارقُ الكرامةُ فيهِ المعجزةَ

(٤٦) القائلُ هو الهيتميُّ، أما اليافعيُّ فهو الإمامُ العَلّامةُ المؤرِّخُ المتبحِّرُ عفيفُ الدينِ المكّيُّ، قال الأسنويُّ في طبقاتِ الشافعيةِ: كان إمامًا يُسترشَدُ بعلومِه ويُهتَدَى بأنوارِه. انتهى، فاعرِفْ قدرَ المتكلِّم ولا تكُنْ كأمثالِ هؤلاءِ الهمَجِ الرَّعاعِ الذين تُورِدُ عليهم قولَ أحدِ الأكابرِ فيرُدُّه بكلِّ وقاحةٍ وكأنّه لم يَسمعْ شيئًا، معتمدًا بالبهتانِ والتحايُلِ على قولِه صلى الله عليه وسلم: (كلٌّ يؤخَذُ مِن قولِه ويُرَدُّ غيرَ رسولِ الله) رواه الطَبَرانيُّ وغيرُه، لكنَّهُ يُغفِلُ قولَه صلى الله عليه وسلم: (العلماءُ وَرَثَةُ الأنبياءِ) رواه البخاريُّ معلقًا بصيغةِ الجزمِ ورواهُ ابنُ ماجهْ، فهل يُدركونَ ما معنى أن يقولَ نبيٌّ لرجلٍ: أنتَ تَرِثُ علمي؟، لكنْ مصيبتُنا فيهم قلةُ الفهمِ والتكبُّرُ، بل إنّي أُشهِدُ اللهَ تعالى على أنَّ أحدَهم في مصرَ قال لي وهو يُناظِرُني: (اللهُ في جهةٍ عَدَميّةٍ غيرِ مخلوقةٍ)، فقلتُ له هذا شِرْكٌ أشركتَ معَ اللهِ شيئًا في الأزليّةِ وهو الأوَّلُ، قال تعالى: (قُلِ اللهُ خالقُ كلِّ شَيْءٍ)، فقال لي بكلِّ ثقةٍ من قولِه: إلاّ هذهِ الجهةَ فإنّها أزليةٌ معه. والعياذُ باللهِ من هذا الكفرِ الصريحِ، حتى لمّا قلتُ له: كيف تكونُ جهةٌ تنسُبُها إلى العدَمِ، والعدَمُ نقيضُ الوجودِ؟ قال هي هكذا. ويظنُّ هذا المشركُ مُعدِمُ معبودَهُ بزعمِهِ أنه مسلمٌ، لأنَّ لحيتَهُ طويلةٌ وقميصَهُ قصيرٌ وسواكَه إلى نصفِ ساعِدِه، فإنّا للهِ وإنّا إليه راجعونَ وانفضَّ المجلسُ على هذا ولم يقبلْ ءايةً أو حديثًا أو إجماعًا، فهو بزعمِه رايةُ الحقِّ=

أنَّ المعجزةَ يجبُ على النبيِّ صلى الله عليه وسلم إظهارُها، والكرامةَ يجبُ على الوليِّ إخفاؤها إلا عندَ ضرورةٍ أو إذنٍ أو حالٍ غالبٍ لا يكونُ له فيهِ اختيارٌ أو تقويةِ يقينِ مُريدٍ، قال وإطلاقُ المحقِّقِينَ أنَّه يجوزُ له إظهارُها يُحْمَلُ على بعضِ هذهِ الصُوَرِ لِلعلمِ بأنَّ إظهارَها لغيرِ غرضٍ صحيحٍ لا يَجُوزُ بخلافِهِ لغَرَضٍ صحيحٍ، وضابطُه أن يكونَ في إظهارِها مصلحةٌ كما وقَعَ لكافرٍ ملكٍ[٤٧] أنه قال لشيخٍ[٤٨]: إنْ لم تُظهِرْ لي كرامةً وإلاّ قَتَلتُ الفقراءَ، فأظْهَرَ له قَلْبَ بَعيرٍ ذَهَبًا ورَمَى بكُوزٍ فارغٍ في الهواءِ فامْتَلأَ ماءً فَنَكَسَ رأْسَه فَلَمْ يَخرُجْ منهُ قَطْرَةٌ

= المبين وناصرُ الأوَّلينَ والآخرِين، وأمثالُه كثيرونَ بالألوفِ فلا تَغُرَّنَّكَ كثرةُ الهالِكِين، والله تعالى أعلم وأحكم.

وقد عرفتَ بكلامِ الإمامِ اليافعيِّ سببَ دخولِ الرفاعيةِ النارَ، إلاّ أنَّ ابنَ تيميةَ يقولُ للرفاعيةِ أظهِروا كراماتِكم الشيطانيةَ بزعمِه واخرِقُوا العاداتِ وفي كلِّ حالٍ هذا كلُّه شيطانيٌّ، فأنّى يُستجابُ لذلك، عاملَه اللهُ بما يستحقُّه.

(٤٧) بَدَلٌ من كافرٍ، وإن شئتَ قلتَ: لِمَلِكٍ كافرٍ.

(٤٨) الظاهرُ أنّه يقصِدُ قصةَ الرفاعيةِ مع هولاكو مُفصَّلَةً.

فقيلَ للمَلِكِ هذا سِحْرٌ، فَأَمَرَ الشيخُ بإيقادِ نار عظيمةٍ وبالسَماعِ ثُم دخلَ هو والفقراء فيها وخطَفَ وَلَدَ الملِكِ مَعَهم فغابَ ساعةً[٤٩] وخرجَ وبإحدَى يَدَيهِ رُمّانةٌ والأُخرَى تُفّاحَةٌ فقيلَ: وهذا سِحْرٌ أيضًا، فأخرجَ له المَلِكُ قَدَحًا مَلآنًا سُمًّا وقال: لا أُصدِّقُ إلاّ إنْ شَرِبْته جميعَه فأمَرَ بالسَماعِ ثُم شَرِبَهُ فتمزَّقَتْ ثِيابُه فأُبْدِلَت فتمزَّقَتْ فأُبْدِلَتْ فتمزَّقَتْ وهكذا حتى بَقِيَتْ، **ولَم يُصِبْهُ شيءٌ غيرَ أنّه كان يَرْشَحُ عَرَقًا.**

وكما وقعَ للعارفِ أبي العباسِ المُرْسِي أنّ رجلاً أضافه وقدَّمَ له طعامًا خَبِيثًا امْتِحانًا له فقالَ: إنْ كانَ على يَدِ الحارثِ بنِ أَسَدٍ المُحاسِبِيّ[٥٠] عِرْقٌ يَضْرِبُ إذا قُدِّمَ له الحرامُ فَعَلَى يَدِي سِتُّونَ عِرْقًا كذلِكَ فاستَغْفَرَ الرجُلُ وتابَ.

---

[٤٩] أي في النار.

[٥٠] غنيٌّ عن التعريفِ، وفي طبقاتِ الشافعيةِ الكبرَى للإمامِ تاجِ الدين السُبْكِيّ: الحارثُ بنُ أَسَدٍ المُحاسِبِيّ أبو عبدِ الله عَلَمُ العارفينَ في زمانه وأستاذُ السائرينَ الجامعُ بينَ عِلْمَي الباطِنِ والظاهِرِ شيخُ الجُنَيْدِ، ويُقال =

مطلبٌ في الفَرْقِ بينَ الكرامةِ والسحْرِ:

وأمّا الفَرْقُ بينَ الكرامةِ والسحْرِ فهو أنَّ الخارِقَ الغَيْرَ المقْتَرِنِ بتَحَدِّي النُبُوَّةِ - فإنْ ظهَرَ على يدِ الصالحِ وهو القائمُ بحقوقِ اللهِ وحقوقِ خلقِه -فهو الكرامةُ أو على يَدِ مَنْ ليسَ كذلكَ فهو السحْرُ أوِ الإسْتِدْراجُ، قال إمامُ الحَرَمَيْنِ: وليس ذلكَ مُقتَضَى العقلِ ولكنَّه مُتَلَقًّى مِن إجماعِ العُلَماءِ، انتهى.

وتَمييزُ الصالحِ المذكورِ عن غيرِه بَيِّنٌ لا خَفاءَ فيهِ إذْ ليستِ السِيما كالسِيما ولا الآدابُ كالآدابِ، وغيرُ الصالحِ لو لَبَّسَ ما عَسَى أنْ يُلَبِّسَ لا بُدَّ أنْ يَرشَحَ مِن نَتَنِ فِعْلِهِ أو قَولِه ما يُمَيِّزُه عن الصالحِ.

= إنّما سُمِّيَ المحاسبيَّ لِكَثْرَةِ مُحاسَبَتِهِ لِنَفْسِهِ.انتهى، قلتُ: كان في يدِه عرقٌ يضرِبُ عليهِ كرامةً من اللهِ له وتنبيهًا له على اجتنابِ هذا الطعامِ واللهُ كريم، وترجمَه الذهبيُّ كعادتِه ترجمةً طعنَ فيها عليهِ بالتلميحِ والنقلِ، نسألُ اللهَ السلامةَ ءامين.

مَطْلَبٌ فِي تعريفِ البَراهِمَةِ[٥١]:

ومِن ثَمَّ ناظرَ صُوفِيٌّ بَرْهَمِيًّا – والبراهمةُ قَومٌ تظهرُ لهم خوارقُ لمزيدِ الرياضاتِ – فطارَ البرهميُّ في الجوِّ فارتَفَعَتْ إليهِ نَعْلُ الشيخِ و لم تَزَلْ تضرِبُ رأسَهُ وتصفَعُهُ حتى وقعَ على الأرضِ مَنكُوسًا على رأسِه بينَ يَدَيِ الشيخِ والناسُ ينظرون.

أقولُ ووقعَ نظيرُ هذا لشيخِنا العارفِ ابنِ أبي الحمائِلِ لمّا كان بفارسَ كُورِ بلدٍ قريبٍ مِن دِمْياطَ فدخَلَها مُتَوَسِّمٌ بوَسْمِ الصوفيةِ فأظْهَرَ لهم مِنَ الخوارقِ ما أَوْجَبَ لِغالبِ أهلِ البَلَدِ أنَّهم تَبِعوه فظهرَ منهُ انحِلالٌ كثيرٌ عن طريقِ الاستقامةِ حتى أَغْوَى كثيرينَ، وكان له مجلسُ ذِكْرٍ بالجامعِ الذي فيه شيخُنا وله به أيضًا مجلسُ ذكرٍ ففي ليلةٍ فَرَغَ شيخُنا مِن مَجلِسِه وأولئكَ لم يَفْرُغُوا فأنصتَ ساعةً ثُمَّ قالَ لِتاسُومَتِه[٥٢] التي

[٥١] البراهمةُ باختصارٍ خُدَّامُ النارِ وهم طوائفُ أيضًا منهم الجوكية يقولون بتناسُخِ الأرواحِ لعنهم الله.

[٥٢] هي النَعْل.

يَلْبَسُها في الجامعِ: يا هذهِ التاسُومةُ اذهبي إلى هذا الشيخِ فإن كان كاذبًا فاصفَعِيه إلى أنْ يَخرُجَ مِن هذا الجامعِ، فلم يَلْبَثْ جماعةُ شيخِنا السامعونَ لِكلامِه إلاّ وهم يسمعونَ صوتَ الصَفْعِ في رقبةِ ذلكَ الشيخِ فَفَرَّ وفَرَّتْ جماعتُه حتى خرَجُوا مِن الجامعِ ثم مِنَ البَلَدِ و لم نعلمْ أينَ ذهبَ.

ووَقَعَ للإمامِ العارفِ البَهائِيِّ السِّنْدِيِّ صاحبِ الإمامِ السُهْرَوَرْدِيِّ أنَّ بَرْهَمِيًّا جاءَ مَجْلِسَه وارتَفَعَ في الهواءِ فارتفعَ الشيخُ حينَئِذٍ في الهواءِ ودارَ في جانبِ المجلسِ فأَسْلَمَ البرهمِيُّ لِعَجْزِهِ عن ذلك، فإنهم لا يَقْدِرُونَ على الدَوَرانِ في الهواءِ وإنّما يرتَفِعُ الواحدُ في الهواءِ مُسْتَوِيًا لا غيرُ.انتهى كلامُ الهيتميِّ بحروفهِ مختصَرًا.

قلتُ: ومِن كراماتِ الأولياءِ قَلْبُ الأَعْيانِ، أيْ تحويلُ عينِ الشيءِ إلى شيءٍ ءاخرَ، وهذا معروفٌ مشهورٌ عنهم، وليس خاصًّا بالمعجزةِ ولا مِن خصائصِ النُبُوَّةِ، وكما تقرَّرَ فما

جازَ أنْ يكونَ معجزةً لنبيٍّ جازَ أنْ يكونَ كرامةً لِوَلِيٍّ، إلا ما كان من خصائصِ النبوَّةِ، ومن هذه الأمثلةِ:

- انقلابُ الخمرِ عسلاً لسيِّدِنا خالدِ بن الوليدِ وغيرِه، قال الحافظُ ابنُ حجرٍ في الإصابةِ في تمييزِ الصحابةِ:

روى ابنُ أبي الدنيا بإسنادٍ صحيحٍ عن خيثمةَ قال أُتِيَ خالدُ بنُ الوليدِ برَجُلٍ معه زِقُّ خَمْرٍ، فقال: اللهمَّ اجْعَلْهُ عَسَلاً فصار عَسَلاً.

وفي روايةٍ له مِن هذا الوجهِ: مَرَّ رجلٌ بخالدٍ ومعه زِقُّ خمرٍ فقال: ما هذا؟ قالَ: خَلٌّ، قالَ: جعلَهُ اللهُ خَلاًّ، فنظروا فإذا هو خَلٌّ وقد كان خمرًا.انتهى

وذكرها الذهبيُّ في سِيَرِ أعلامِ النُبلاءِ، لكنَّه مالَ إلى ترجيحِ الخَلِّ على العَسَلِ، قال: وهذا أشبهُ.انتهى، أي أقربُ إلى الصوابِ أو القبولِ.

قلتُ: ولا أدري ما وجهُ قولِهِ "وهذا أشبَهُ"، فإنْ كانَ أنهُ أقربُ إلى العادةِ مِن حيثُ إنَّ الخمرَ عادةً تنقلِبُ خلاً،

فاعتبرَه أشبهَ بالقبولِ من حيثُ تعجيلُ التخليلِ في لحظاتٍ، فذلك قلَّةُ يقينٍ، وما علاقةُ العادةِ بالخارقِ للعادةِ، مع أنّها كرامةٌ خارقةٌ للعادةِ.

بل نقولُ أو نعتقدُ أنها الخمرَ انقلبَت خَلاً ثُمَّ عسلاً، لنقولَ بطهارتِها، فإنّ الخمرَ الذي ينقلبُ خَلاًّ طاهرٌ، كما هو مقرَّرٌ في كتبِ الفقهِ.

وإن كان أشبَهَ من حيثُ الروايةُ والإسنادُ فحديثُ العسلِ صحيحٌ، والعملُ على تقديمِه أولاً على روايةِ الخلِّ، وإن اقتصروا على روايةٍ فإنهم يذكرونَ روايةَ العسلِ لا الخلِّ، وهي الأشهرُ، فقولُه "وهذا أشبهُ" خلافُ الأشبَهِ، فتنبَّه.

وقال الذهبي في تاريخِ الإسلامِ في ترجمةِ الشيخِ رسلانَ رضي الله عنه في الجزء الثامن والثلاثين ٣٤٥ ما نصه: وحكى الشيخُ داودُ بنُ يحيى بنِ داودَ الحريريُّ، وكان صدوقًا، قال: حكى لي جماعةٌ أنَّ الشيخَ أرسلانَ لَمّا شرعَ في بنيانِ المعبَدِ،

سَيَّرَ إليه الشيخُ أبو البيانِ ذهبًا مع بعضِ أصحابه حتى يصرفَه في العمارةِ، فلمَّا اجتمَعَ به وعرضَ عليه الصُّرَّةَ قال الشيخُ أرسلانُ: (ما يستحي شيخُكَ يبعثُ إليَّ هذا، وفي عبادِ الله مَن لو أشارَ إلى ما حولَه لصارَ ذهبًا وفضةً وأشارَ بيدِه، فرأى الرسولُ الطينَ ذهباً وفضةً. وقال: عُدْ إليه، فقال: والله ما بقيتُ أرجعُ، بل أكونُ في خدمتِكَ إلى الموتِ، وانقطع عندَهُ.انتهى

- قصةٌ مثلُها في حياةِ الحيوانِ الكبرى للدَميريِّ:

ونظيرُ ذلك مِن قلبِ الأعيانِ ما رُوِي عن الشيخِ عيسى الهِتَّار - وهو بكسرِ الهاءِ وتخفيفِ التاءِ المثناةِ فَوْقُ - أنه مرَّ على امرأةٍ بَغِيٍّ فقال لها: بعدَ العشاءِ ءَاتِيكِ ففرحتْ بذلكَ وتَزَيَّنَتْ، فلما كان بعدَ العشاءِ دخلَ عليها البيتَ فصلَّى ركعتينِ ثم خرج، فقالت: أراك خرجتَ؟ قال: حصلَ المقصودُ، فورَدَ عليها وأرادَ إزعاجها عما كانت عليهِ، فخرجتْ بعدَ الشيخِ، وتابت على يدِه فزوَّجَها بعضَ

الفقراء. وقالَ: اعملُوا الوليمةَ عصيدةً ولا تشتَرُوا لها إدامًا[٥٣] فَفَعلُوا ذلك وأحضروه، وحضرَ الفقراءُ والشيخُ كالمنتظرِ لشيءٍ يُؤتَى به فوصلَ الخبرُ إلى أميرٍ كان رفيقًا لتلكَ المرأةِ فأَخرجَ قارورتينِ مملوءَتَينِ خمرًا وأرسلَ بهما إلى الشيخِ وأراد بذلكَ الاستهزاءَ، وقال للرسولِ: قل للشيخ: قد سَرَّني ما سمعتُ، وبَلَغَني أنَّ ما عندَكم إدامٌ، فخذوا هذا فأْتَدِمُوا بهِ، فلما أقبلَ الرسولُ قال له الشيخُ: أَبْطَأْتَ، ثم تناولَ إحداهما فخضَّها ثم صبَّ منها عسلاً مُصَفًّى، ثم فعل كذلك بالأُخرَى وصبَّ منها سمنًا عربيًا، وقال للرسولِ: اجلِسْ فَكُل فأكل فطَعِمَ سمنًا وعسلاً لم يُرَ مثلُهما طعمًا ولونًا وريحًا، فرجعَ الرسولُ وأخبرَ الأميرَ بذلك فجاءَ الأميرُ فأكلَ وتحيَّرَ مما رأى وتاب على يدِ الشيخِ، انتهى بحروفِه.

(٥٣) الظاهرُ أن يقصدُ بالإدامِ شيئًا سائلاً، أمّا لغةً فالإِدَامُ أيُّ شيءٍ يؤكَلُ معَ الخبزِ، فاللحمُ إدامٌ والخلُّ إدامٌ.

وقال ابنُ حجرٍ الهيتميُّ في جُملةِ المعجزاتِ والكراماتِ: وكانقلابِ الأعيانِ وهو كثيرٌ لا يُحْصَى، منه انقلابُ الخمرِ سمنًا كما وقع للشيخِ عيسى الهِتَارِ اليمني ..... فذكرَها بتمامِها.

وقال الدَمِيريُّ أيضًا في حياة الحيوان الكبرى:

ويشبه هذا ما حُكِيَ عن بعضِهم، أنه قال: بينما أنا أسيرُ في فَلاةٍ مِن الأرضِ، إذا برجلٍ يدور بشجرةِ شوكٍ، ويأكل منها رُطَبًا جَنِيًّا فسلمتُ عليه فردَّ عليَّ السلامَ، وقال: تقدَّمْ فكُلْ، قال: فتقدمتُ إلى الشجرةِ، فصِرْتُ كلَّما أخذتُ منها رُطَبًا عادَ شوكًا، فتبسَّمَ الرجلُ وقال: **هيهات، لو أطعتَهُ في الخَلَوات أطعمَكَ الرُطَبَ في الفَلَوات.**

وحكاياتُهم في مثلِ هذا كثيرةٌ، وإنما نبَّهتُ على قطرةٍ من بحارٍ عميقةٍ، والرجوعُ في ذلك كلِّهِ إلى أصلٍ يجبُ الإيمانُ بهِ، وهو أنَّ اللهَ على كل شيءٍ قديرٌ، وليسَ الخرقُ للعوائدِ بمستحيلٍ في العقلِ وباللهِ التوفيقُ، انتهى.

وقال الإمامُ الحجَّةُ تاجُ الدينِ السُبْكِيُّ في طبقاتِ الشافعيةِ:والقدر المشترك من الحكايات فى هذا النوع بالغٌ مبلغَ التواترِ ولا يُنكِرُه إلا مباهت.انتهى

قال الشَلَبَنْجِيُّ في نورِ الأبصار:

قصَّةٌ عجيبةٌ عظيمةٌ لسيِّدي موسى الكاظِمِ بن جعفرِ الصادق

قال حسامُ بنُ حاتمِ الأصَمِّ: قال لي شقيقٌ البَلْخِيُّ: خرجتُ حاجًّا سنةَ ستٍّ وأربعينَ ومائةٍ فنــزلتُ بالقادسيَّةِ فبينما أنا أنظرُ الناسَ في مخرجِهم إلى الحجِّ وزينتِهم وكثرتِهم إذ نظرتُ إلى شابٍّ حسنِ الوجهِ شديدِ السُمرةِ نحيفٍ فوقَ ثيابه ثوبُ صوفٍ مشتمِلٌ بِشَمْلَةٍ وفي رجليهِ نعلانِ وقد جلسَ منفردًا، فقلتُ في نفسي: هذا الفتى من الصوفيةِ ويريدُ أن يخرجَ مع الناسِ فيكونُ كلاً عليهم في طريقِهم واللهِ لأمضِيَنَّ إليهِ ولأُوَبِّخَنَّهُ فدَنَوتُ منه فلما رءاني مقبلاً نحوَه قال: يا شقيقُ (اجتنبوا كثيرًا من الظنِّ إنَّ بعضَ الظنِّ إثمٌ) ثم تركَني وولَّى، فقلتُ في نفسي: هذا لأمرٌ عجيبٌ تكلَّم بما في نفسي ونطقَ

باسمي، هذا عبدٌ صالحٌ لألحقنَّهُ وأسألنَّه الدعاءَ وأتحلَّله بما ظننْتُ فيه، فغابَ عني و لم أرهُ فلما نزلنا وادي فضة فإذا هو قائمٌ يُصلِّي، فقلتُ: هذا صاحبي امضِ إليه واستحِلَّه، فصبرتُ حتى فرغَ من صلاتِه، فالتفتَ إليَّ وقال: يا شقيقُ اتلُ: (وإني لَغَفَّارٌ لِمَنْ تابَ وءامَنَ وعمِلَ صالحًا ثمَّ اهْتَدَى)، ثم قامَ ومضى وتركني، فقلتُ: هذا الفتى من الأبدالِ، قد تكلَّمَ على سِرِّي مرتينِ، فلمّا نزلنا بالأبواءِ إذا أنا بالفتى قائمٌ على البئرِ وأنا أنظرُ إليه وبيدِهِ رَكوَةٌ فيها ماءٌ، فسقطتْ مِن يدِه في البئرِ فرمَقَ إلى السماءِ بطَرْفِهِ وسمعتُه يقولُ:

أنتَ شُرْبي إذا ظمئتُ من الما ءِ وقُوتي إذا أردتُ طعاما

ثم قال: إلهي وسيِّدي ما لي سواكَ فلا تَعْدِمْنيها، فواللهِ لقدْ رأيتُ الماءَ قد ارتفعَ إلى رأسِ البئرِ والركوةُ طافيةٌ عليه فمدَّ يدَه فأخذها فتوضَّأَ منها وصلى أربعَ ركعاتٍ ثم مال إلى كَثِيبِ رملٍ فجعلَ يقبضُ بيديهِ ويجعلُ في الركوةِ ويُحرِّكُها ويشربُ فأقبلتُ نحوَه وسلمتُ عليهِ فردَّ عليَّ السلامَ، فقلتُ: أطعِمْني مِن فضلِ اللهِ ما أنعمَ به عليكَ، فقال: يا شقيقُ لم

تزل نِعَمُ اللهِ عليَّ ظاهرةً وباطنةً فأحْسِنْ ظنَّكَ بربِّكَ ثم ناوَلَني الرَّكوةَ فشربتُ منها فإذا فيها سَوِيقٌ بسُكَّرٍ، فواللهِ ما شربتُ قطُّ ألذَّ منه ولا أطيبَ فشَرِبتُ ورَوِيتُ حتى شبِعتُ فأقَمتُ أيامًا لا أشتهي طعامًا ولا شرابًا ثم لم أرهُ حتى نزلنا بمكةَ فرأيتُه ليلةً إلى جنبِ قبةِ الشرابِ نصفَ الَّيلِ وهو قائمٌ يُصلِّي بخُشُوعٍ وأنينٍ وبكاءٍ فلم يزَلْ كذلك حتى طلع الفجرُ ثم قامَ إلى حاشيةِ المطافِ فركعَ ركعتَي الفجرِ هناكَ ثم صلّى الصبحَ مع الناسِ ثم دخلَ المطافَ فطافَ إلى بعدِ شروقِ الشمسِ ثم صلّى خلفَ المقامِ ثم خرجَ يريدُ الذهابَ فخرجتُ خلفَهُ أريدُ السلامَ عليهِ وإذا بجماعةٍ أحاطوا به يمينًا وشمالاً ومِن خلفِه ومِن أمامِه وخدمٌ وحشَمٌ وأتباعٌ خرجوا معه فقلت لأحدِهم: مَن هذا الفتى يا سيِّدي؟ فقال هذا موسى الكاظمُ بنُ جعفرِ بنِ محمدِ بن علي بن الحسينِ بن عليٍّ بن أبي طالبٍ رضي الله عنهم.انتهى

قالَ الشَلَبَنْجيُّ في نورِ الأبصار: وهذه الكرامةُ رواها جماعةٌ مِن أهلِ التآليفِ ورواها ابنُ الجوزي في كتابه "مثير الغرامِ الساكن إلى أشرفِ الأماكن" ورواها الجُنابَذِيُّ في معالمِ العَتْرَةِ النبويَّةِ والرامَهُرْمُزِيُّ في كتابِه "كراماتِ الأولياءِ" وهي كرامةٌ اشتملت على كرامات،انتهى بحروفِه.

قلتُ: وأنتَ ترى كيف انقلبَ عينُ الترابِ طعامًا حلوًا لذيذًا إكرامًا لهذا الشريف الوليِّ الطاهرِ قدَّس اللهُ سرَّه العظيم ونفعنا به.

إلى هنا بحمدِ اللهِ انتهَتْ حيَّتُنا التي ألْقيناها بالحُجَّةِ واليقين، مِن أكلِ حبالِ الحاقِدِينَ الظالمين.

فصلٌ في عقيدةِ الوَهّابيةِ الفاسِدَةِ:

قال أحدُ مشايِخِ الوهّابيةِ عبدُ الرحمٰن السحيم عضوُ الدعوةِ والإرشادِ عندَهم جوابًا على سؤال وردَهُ عن قولِ أهلِ السنةِ: **(ما جازَ أن يكونَ معجزةً لنبيٍّ جازَ أنْ يكونَ كرامةً لِوَلِيٍّ)** ما نصُّه:

الجواب: لازمُ هذا القولِ أن يكونَ الوليُّ في مثلِ مرتبةِ النبيِّ ودرجتِه، ولازم هذا القول المساواة بين المعجزة والكرامة. ولا مساواة بين النبي والولي، بل النبي أرفع درجة، وأعلى منْزلة،كما لا مساواة بين المعجزة والكرامة.انتهى كلامُه.

قلتُ: هذا اللازمُ الذي يَتوهَّمُه من المساواةِ باطلٌ، وهذا مِن سوءِ اعتقادِهم وابتداعِهم، وقد تمَّ الردُّ على هذا الكلامِ السخيفِ بتمامِه، وأيُّ مسلمٍ يقولُ إنَّ هذا القولَ يوجبُ كونَ الوليِّ في مرتبةِ ودرجةِ النبيِّ، والردُّ عليهِ من كلامِ إمامِه

ابنِ تيميةَ لعلَّهُ يَرجعُ عن عقيدتِه الفاسدةِ، فقد قال ابنُ تيمية كما مرَّ في كتاب النُبوّاتِ:

كما يُحكى عن المسيحِ وكما جَرَى للعلاءِ بنِ الحضرميِّ في عبورِ الجيشِ.انتهى، أي المشيِ على الماء.

فهذا وأمثالُه مِمّا يكثُرُ حصرُه أوضحُ دليلٍ على زَيغِ هذا الرجلِ وضلالِه، فقد أتى بدينٍ جديدٍ ليس دينَ المسلمين، وهو ردٌّ عليهِ في بدعتِه من أن هذا يدلُّ على التساوي بينَ النبيِّ والوليِّ، قبَّحَ اللهُ الجهلَ وأهلَه، وواضحٌ كالشمسِ أنه باطلٌ ولا يُقامُ لهذا الرجلِ وزنٌ ولولا بدعتُه لما ردَدْتُ عليه.

ثم قال: قال الصنعانيُّ: وأما قوله: إن كل معجزة لنبي تصح أن تكون كرامة لولي فهذه دعوى لا دليل عليها، وقد نقل أقوام عوام كذبات لقوم من الصالحين تجاوزوا حدَّ الإعجاز، كما في حلية أبي نعيم أنه قال قائل لأبي يزيد البسطامي: بلغني انك تَمُرّ في الهواء، فقال: وأي أعجوبة في هذا؟ طير يأكل الميتة، ويَمُرّ في الهواء، والمؤمن أشرف من طير. انتهى

قلتُ: ومَن يكونُ الصنعانيُّ، يتردَّدُ بينَ الزيديّةِ الذينَ خالطَهم مذهبُ المعتزلةِ والشافعيةِ، ثمَّ مَن يكونُ هو حتى يُقامَ لكلامِه وزنٌ إذا ذُكِرَ أهلُ العلمِ والتحقيقِ؟ **هل هذهِ إلا بدعةُ المعتزلة.**

بل هذه الدعوى هي الصحيحةُ الموافقةُ للعقلِ والنقلِ، وكلامُه هو المردودُ عليهِ، وقد قدَّمْنا ما يُبطِلُ كلامَه فأينَ الدليلُ على دعواهُ وخَلْطِه.

أما قولُ الصنعاني: (وقد نقل أقوامٌ عوامٌّ كذباتٍ لقومٍ من الصالحين تجاوزوا حدَّ الإعجاز).

قلتُ: كشفتَ نفسَك بكلامِكَ أيها الصنعانيُّ، وأنتَ قُلتَها: (عَوَامٌّ وكَذِباتٌ)، ولْنَنْظُر فيما جاوَزَ حدَّ الإعجازِ عندَ الصنعانيِّ ولا تعجبُوا من سخافةِ عقلِه وخِفَّتِه، فقد قال: تجاوزوا حدّ الإعجاز، كما في حلية أبي نعيم أنه قال قائل لأبي يزيد البسطامي: بلغني انك تَمُرّ في الهواء، فقال: وأي

أعجوبة في هذا، طير يأكل الميتة، ويَمُرّ في الهواء، والمؤمن أشرف من طير. انتهى

قلتُ: الطيرانُ في الهواءِ عندكَ جاوزَ حدَّ الإعجاز.

على اليقينِ وعلى العِلمِ السلامُ، حقًّا إن كانَ المَلَكُ والجنُّ والطيرُ أقدَرَهم اللهُ على الطيرانِ فأينَ الإعجازُ في طيرانِ الآدميِّ، أسخافةُ عقلٍ أكبرُ من هذه؟

لعلَّ حِرْمانَه وعدمَ مُعايَنتِه كانا سببًا في قولِه السخيفِ هذا، ولعلَّ بدعةَ المعتزلةِ التي خالطتْهُ هي السببُ في المكابرةِ، وما علمتُ أحدًا قال بهذه السخافةِ قبلُ إلا الوهابيةُ وقبلَهم الصنعاني، وهذا هو مذهبُ المعتزلةِ بعينِه قاتلَهم اللهُ ومَن أحيا بدعتَهم ءامين.

ثم تغنَّى السحيمُ بضلالِ الصنعانيِّ بقولِه الواهي:

ولا يُعاب الطيرُ بأنه يأكلُ من الميتةِ، بل هي رزقُه ولم يُحرَّم عليه، كما أنها حُرِّمت الزكاة على الغني، وأحلّت للفقير،

والله سبحانه وتعالى لما أسْرَى برسوله صلى الله عليه وسلم لم يَطِرْ في السماء، بل أرسل إليه البراق ،ثم صعد إليها على المعراج.

فما هذا الكلام الفارغ الذي ينقلونه عن أبي يزيد إن صحّ، فهو من شطحات هؤلاء المتهوّكة، ولقد راجت هذه الدعاوى الفارغة على جماعة من علماء الإسلام صاروا كالعامة في قبول المحالات.انتهى

قلتُ: انظُرْ إلى هذه السخافةِ والبدعةِ في الاعتقادِ، فإنَّ اللهَ تعالى أكرَمَ نبيَّه صلّى اللهُ عليهِ وسلم بالمرقاةِ ليلةَ المعراجِ، فهذه يُتفاخَرُ بها معجزةً لنبيِّنا عليه الصلاةُ والسلامُ، وبئسَ القولُ قولُه فإنَّه كيفما دارَ هنا يدورُ على الانتقاصِ من النبيِّ صلى الله عليه وسلم، بمعنى أنه على جلالتِهِ صلى الله عليه وسلم لم يَطِرْ في الهواءِ ولو طارَ أحدٌ لطارَ محمدٌ صلى الله عليه وسلم، فبئسَ سوءُ الفهمِ والمعتَقَدِ، ولم يبقَ عليهِ سوى

أن يجعلَ معجزةَ ارتقائِهِ صلى الله عليه وسلم المرقاةَ أمرًا من العاداتِ التي ليست خوارقَ.

وانظُرْ إلى سوءِ فهمِهِ لكلامِ البسطاميّ، فهو يقولُ بأنَّ المؤمنَ أكرمُ عند اللهِ من هذا الذي يطيرُ وهو يعيشُ على النجاساتِ، فكيفَ بمَن مُلِءَ قلبُه نورًا وسخَّرَ اللهُ له ما شاءَ، فما علاقةُ هذا بأحكامِ أكلِ الطيرِ اللحمَ النجسَ وأنه غيرُ مؤاخذٍ بأكلِها؟ سكتَ دهرًا ونطقَ هجرًا.

ومِن خبيثِ كلامِهِ قولُه: ولقد راجت هذه الدعاوى الفارغة على جماعة من علماء الإسلام صاروا كالعامة في قبول المحالات.انتهى كلامُه الباطل.

قلتُ: أفصَحَ الرجلُ عن اعتزالِه، فهو يعتبرُ مثلَ هذا الأمرِ الذي ليس على اللهِ بعزيزٍ من المحالاتِ، أي يستحيلُ عقلاً، وهذا من أعظمِ الطعنِ في الألوهيَّةِ، وهذا هو الشكُّ في قدرةِ اللهِ تعالى وهو الكفرُ بعينِه، وبهذا تكونُ قد عرفتَ الوهابية.

ويكفي في الردِّ عليهِ قولُ الأئمةِ كالسبكيِّ والدميريِّ والهيتميِّ وغيرِهم أنَّ هذا بالغٌ مبلغَ التواترِ ولا يُنكرُه إلا مكابرٌ معاندٌ، فهل هذا قدوتُك أيها المبتدعُ السحيم؟

وعجبًا له كيف تركَ مَن يُسمِّيهِ شيخَ الإسلامِ وأخذ بقولِ هذا الصنعانيِّ الذي فارقَ السُّـنَّةَ إلى الاعتزالِ، والأعجبُ كيفَ ينقلبُ الوهّابيُّ من بدعةٍ إلى بدعةٍ، ويأبى إلاّ الابتداعَ، نسألُ اللهَ الثباتَ والسلامةَ ءامين.

وبقيَ أمرٌ واحدٌ في الردِّ على الصنعانيِّ وهو طعنُه بالعلماءِ الذينَ سلَّموا للشرعِ وصدَّقوا وءامنوا بالكراماتِ، فإنَّ هؤلاءِ أصحُّ منه إيمانًا وأكملُ عقلاً وفهمًا واتِّباعًا، وليسوا هم كالعوامِّ في قبولِ المحالاتِ، بل أنتَ كسائرِ أهلِ الضلالِ في إنكارِ اليقينيّاتِ الشرعيةِ الثابتةِ، وكفاك بها خزيًا.

مِن فضائحِ السحيم الوهّابيِّ هداهُ اللهُ:

قال والعياذُ باللهِ من جهلِه وقلّةِ دينِه:

وخذ على سبيل المثال: إحياء الموتى مُعجزة لعيسى عليه الصلاة والسلام، ولا يُمكن أن تَحدث لوليّ مهما بَلَغ في الولاية وإنشقاق القمر مُعجزة لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم، ولا يُمكن أن تحدث لوليّ مهما بَلَغ في الولاية.

وأشرف الخلق وأكرمهم على الله هو محمد صلى الله عليه وسلم، ومع ذلك لما قال له أصحابه: ادع الله يحييه لنا، فقال: استغفِروا لصاحبكم. رواه مسلم.انتهى كلامُه بحروفِه وبئسَ الكلام.

قلتُ: أمّا إحياءُ الموتَى فليس من خصائصِ نبوَّةِ عيسى عليه الصلاةُ والسلامُ، وهذا من جهلِه وافترائِه العظيمِ على دينِ اللهِ، فقد وقع لأولياءَ من هذه الأمةِ، وهذا ما يعتقدُه إمامُكَ ابنُ تيمية الذي تستدلُّ بقسمٍ مِن كلامِه وتغضُّ الطرفَ عن

القسمِ الآخَرِ الذي لا يُوافقُ هواك، فقد قال في كتابِ النُبوّاتِ ما نصُّه:

وقد يكونُ إِحْياءُ الموتَى على يَدِ أَتْباعِ الأنبياءِ كما قد وقعَ لطائفةٍ مِن هذهِ الأمةِ.انتهى

هذا الذي يقولُ عنه السحيمُ: لا يُمكن أن تَحدث لوليّ مهما بَلَغ في الولاية.

وقد روى ابنُ أبي الدنيا في كتابِ (مَن عاشَ بعدَ الموتِ) وكتابِ (مُجَابي الدعوةِ) ومن طريقه البيهقيُّ في دلائلِ النبوةِ عن الشعبي أن قومًا أقبلوا من اليمن متطوعين في سبيل الله فنفق (أيْ مات) حمارُ رجلٍ منهم فأرادوه أن ينطلق معهم فأبى، فقام فتوضأ وصلّى ثم قال: اللّهم إني جئتُ من الدَّثِينةِ (موضعٍ في اليمن) مجاهدًا في سبيلِك وابتغاءَ مرضاتك وإني أشهدُ أنك تُحيي الموتى وتبعثُ مَن في القبورِ، فلا تجعلْ لأحدٍ عَلَيَّ مِنَّةً وإني أطلب إليكَ أنْ تبعثَ لي حماري، ثم قام

إلى الحمارِ فضربَه فقام الحمارُ ينفُضُ أذنَيه فأسرجه وألجمه ثم ركبه وأجراه فلحق بأصحابه... إلى ءاخرِ القصةِ.

ورواهُ البيهقيُّ بإسنادٍ ءاخرَ وقال: هذا إسنادٌ صحيحٌ، ومثلُ هذا يكونُ كرامةً (أَيْ معجزةً) لصاحبِ الشريعةِ صلى الله عليه وسلم حيث يكون في أمّتِهِ مثلُ هذا.انتهى وأقرّ تصحيحَه ابنُ كثيرٍ في البدايةِ والنهاية.

وهذا أيضًا من الإمامِ البيهقي تصريحٌ بأنّ هذه الكرامةَ هي معجزةٌ للنبيِّ صلى الله عليه وسلم، لأنها عَلَمٌ على صدقِ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم في ادّعاءِ النبوةِ.

فمَن يكونُ هذا الغُمْرُ الخاملُ حتى يُقرِّرَ ما يكونُ كرامةً وما لا يكونُ، كأنّي به نصبَ نفسَه قاضيًا على العقلِ يقولُ له هذا يمكنُ وهذا لا يُمكنُ، هذا الوهابيُّ المعتزلي عاملَه اللهُ بما يستحقِّه ، فعارٌ على المسلمينَ أن ينتسبَ إليهم جاهلٌ مثلُه.

أليس قولُ السحيمِ يُفهِمُ تنقيصًا من قدرِ نبيِّنا محمدٍ صلى الله عليه وسلم وأنّه لم يُؤتَ معجزةَ إحياءِ الموتى بإذن الله وأنّ أصحابَه لّما طلبوا منه هذا قال لهم: استغفروا لأخيكم. فماذا يحاولُ السحيم أن يقول؟

هذا المتجرِّئُ على نبيِّنا صلى الله عليه وسلم ماذا يفعلُ بقولِ الإمامِ الشافعيِّ رضي الله عنه فيما رواهُ عنه ابنُ أبي حاتمٍ في مناقِبِ الشافعيِّ: ما أعطى الله نبيًّا ما أعطى نبيَّنا محمدًا صلى الله عليه وسلم.
فقيل له: أُعطي عيسى إحياءَ الموتى، قال: أُعطِيَ محمدٌ حنينَ الجذعِ حتى سُمِعَ صوتُه فهو أكبر من ذلك.انتهى

وَعَوْدًا إلى "أبو غدة" فكتُبُه فيها الكثيرُ الكثيرُ من الفوائدِ الحديثية، إلا أنّي أنصحُ بتجنُّبِ قراءتِها لغَيرِ ذي تمييزٍ لأنه يُبثُّ السُّمَّ في الدَّسَمِ، ويعرفُ هذا من يطالعُ كتبَه فيبثُّها بدعوى الاعتدالِ مع أنّ اعتدالَه أولَ أمرِه كان خيرًا، واللهُ

المعطي المانعُ أحكمُ الحاكمين، وأين هو مِن دفاعاتِ شيخِه عن عقيدةِ التنـــزيه، سبحان الله.

ودليلُنا على تعصُّبه المذمومِ وانحرافِه عن سَواءِ السبيلِ مدافعتُه بالباطلِ عن الذهبيِّ وبما لم يُؤْتَ عليهِ دليلاً، فسلكَ في هذا نَهجَ لَيِّ أعناقِ النصوصِ، واختارَ الإمامَ تاجَ الدينِ السبكيَّ دونَ الكلِّ لغمْزِه ولَمْزِه ليُظهِرَ للناسِ أن هذا من تعصُّب ابنِ السبكيِّ رضي الله عنه، ثم تحامل على اليافعي كذلك، وكلُّ هذا تعصُّبًا للذهبيِّ فكأنه يعتقدُ فيه العصمةَ في هذه الصنعةِ، مع أنّه لو أنصفَ أحدٌ الذهبيَّ فهو تاجُ الدين السبكيُّ رضي الله عنه، فهاكَ الإثباتاتِ واحكُم بالعدلِ بعدها مستحضِرًا خوفَك من اللهِ تعالى.

قال في حاشيتِه على الرفعِ والتكميل ردًّا على اليافعي: واعترَضَ – أي اليافعي – على الذهبي في ترجمةِ التِلمسانيِّ الأولِ، إذ قال فيه: (وكان أشعريًا متحرّقًا على الحنابلة).

وإذا كان ذلك واقعًا فهل عليه مِن حَرَجٍ في ذكره؟.انتهى كلامُه

قلتُ: وأينَ عدلُك وإنصافُك في كونه إنْ ذكرَ ترجمةَ مجسّمٍ مشبّهٍ يجعلُه في مكانةٍ دونَها النجوم ولو بلغَتْ طامّاتُه الأرضَ السابعةَ طولاً.

وفُحْشُ بعضِ الأراذِلِ منهم معروفٌ كقولِ أحدِهم عن الإمامِ العظيمِ حافظِ الدنيا ومُسنِدِها في وقتِه شيخِ الإسلامِ ابن عساكر: (أردتُ أن أفضحَ ابنَ عساكرَ بكتاب سمَّيتُه "جمعَ الجيوشِ والدساكر على ابنِ عساكر" حيث بالَ وخَرِئَ وتعصَّبَ للأشعريِّ).انتهى كلامُ هذا القائلِ عديمِ الخُلقِ والأدب، وقد ملأَ كتابَه بالأسانيد والحكاياتِ المكذوبة والواهية والضعيفةِ وكتابُه أسخفُ من أن يُرَدَّ عليه مع كثرةِ ما فيهِ من الشتائمِ التي تدل على "تحرُّقِه على الأشاعرة" وبغيرِ حقٍّ عاملَه اللهُ بما يستحقُّه، ولا نسألُ اللهَ أكثرَ من هذا، فإنّه

تبارك وتعالى إذا عاملَه "فقط" بما يستحقُّه ليَجعلنَّه في أسفلِ سافلين، نسأل الله السلامة.

أفيُقالُ عن شيخ الإسلامِ ابنِ عساكرَ هذا الكلامُ، فهل عرفتَ أين الحرَجُ في هذا، ولا واللهِ ما كنتُ أحبُّ أن أرى لك هذا الميل "بدعوى الوسطيّة" والاعتدال، ولا كنت أحبُّ ذكرَك هنا.

تنبيه: المرادُ بالحنبليِّ هنا المشبِّهُ لأنه غلب على الحنابلة اصطلاحًا، فلم يسلم منه في المذهب الحنبليِّ إلا فُضَلاؤهم كالإمام الجليلِ ابن الجوزيِّ.

فائدةٌ: شيخُ الإسلامِ ابنُ عساكرَ رضي الله عنه قبرُه بدمشقَ زرتُه عدةَ مرّاتٍ وهو في وسطِ طريقٍ لم تستطعِ أيُّ ءالةٍ أن تُزيحَه من مكانِه فتركوه وشقّوا طريقًا مستديرًا وهو في وسطها، وهذه إحدى الكراماتِ الكبيرةِ الخارقة للعادةِ التي تدلُّ على ولايتِه، ولو كان هذا المشبِّهُ رأى هذا هل كان

يبقى على شتمِه، وأغلبُ الظنِّ نعم لأنهم لا يتراجعون إلا مَن رحمَ ربي.

وكيفَ يصفُ "أبو غدةَ" الإمامَ البحرَ الثقة تاجَ الدينِ السبكيَّ بكلام لا يقال لمن هو دونَه بكثيرٍ والعياذ بالله، فوصفُه إياهُ بقوله: (هذا الكلامُ من التاجِ السبكيِّ مبالغةٌ وشطَطٌ، وله أشدُّ منه وأفحش).

وقولُه هذا وغضُّ طرْفِه عن صِدقِه وحقيقةِ كلامِه في الذهبيِّ عند ترجمةِ أشعريٍّ أليس شططًا؟ وهل هذا القولُ أفحشُ من فعلتِه في أنه لا يريدُ أن يرى.

فما علاقةُ الإمامِ فخرِ الدينِ الرازي الأصوليِّ في كتابه "ميزان الاعتدال"، ثم سيفِ الدينِ الآمديِّ الأصوليِّ، هل هو شيءٌ غيرُ التعصبِ العِقْدي، ناهيكَ عن ذكرِ ترجمةِ إمامِ الحرمينِ الجُوَينيِّ ترجمةً مظلمةً وفيها أنه لم يُحسنِ الإجابةَ عن سؤالٍ

بسيطٍ يعرفُ جوابَه من أخذ أوّلَ درسٍ في علم الدين، هذا وقد قال ملا علي القاري نقلا عن الإمامِ أبي المعينِ النسفيّ إنّ المحقّقين من علماءِ الأمةِ الإسلاميةِ على أنّ السماءَ مهبطُ الرحَماتِ وقبلةُ الدُعاةِ كما أن البيتَ العتيقَ قبلةُ الصلاة.

أكان هذا الجوابُ يعجزُ عنه إمامُ الحرمينِ البحرُ الأصوليُّ الجدَليُّ الذي قضى حياتَه في المناظراتِ ونصبِ الأدلةِ وأحيى اللهُ به عِلمَ الأمة ورفعَ به علَمَها؟ أسَمَّوه إمامَ الحرمينِ ولا يعرفُ أن يُجيبَ على سؤالٍ صغيرٍ كهذا؟

ومعلومٌ عن الذهبيّ في العقيدةِ أنه صاحبُ انحرافٍ لكنّه أخفُّ ضررًا في سيرِ أعلامِ النبلاءِ منه في كتابه المسمى بالعُلُوّ، فإنه من طامّاتِه، مع معرفتِه بأن علم العقيدةِ في الآحادِ لا يُفيدُ إلا غلبةَ الظنِّ إذا كان صحيحًا مع تفصيلٍ فعلامَ أكثر من ذكرِ الأسانيدِ الساقطةِ وأمعنَ في سردِها؟

ويأبى الذهبيُّ إلا أن يراوِغَ في العقيدةِ، فقرَّرَ في قصةِ الإمامِ ابنِ حبّانَ الشهيرةِ في نفيِه الحدَّ عن اللهِ تعالى أن الشرعَ لم

يأتِ بنفي الحدِّ عن اللهِ أو إثباتِه، وعبارتُه هي التالية: (ولا أتى نصٌّ بإثباتِ ذلك ولا بنفيِه) فترى الذهبيَّ هنا لا يكفيهِ قولُ اللهِ تعالى: (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ) وهو القولُ المنـــزَلُ الذي جمعَ التنـــزيهَ كلَّه، فلا يَرى الذهبيُّ أنَّ هذا النصَّ المحكَمَ الصريحَ فيه نفيُ الحدِّ، ولا قولُ الشارِع صلى الله عليه وسلم: (كان اللهُ ولم يكنْ شيءٌ غيرُه) رواه البخاريُّ، فإن لم يكن معه شيءٌ لا حدٌّ ولا غيرُه فكيفَ يقولُ بأنه لم يَرِد نفيُه في الشرع، فبالطبعِ الذي نشأَ عليه الذهبيُّ يكونُ هذا الحديثُ مؤوَّلاً أو لا دِلالةَ فيه حتى لا يَنتقِصَ من المشبِّهةِ مثبتِي الحدِّ للهِ عافانا اللهُ، ورحمَ شيخَ الإسلامِ التاجَ السبكيَّ فما كذبَ ولا تعدَّى، فمَن الذي تحيَّز وأفحشَ قولاً وفعلاً السبكيُّ أم عبدُ الفتاحِ أبو غدة؟

والمُنصِفُ يعلَمُ أن الذهبيَّ في علمِ الرجالِ عُمدةٌ خلا ما تناول في الأشاعرةَ والصوفيةَ من طعنٍ، وإمعانٍ في مدحِ طائفتِه التي يميلُ إليها.

وقد قالَ السخاويُّ في فتح المغيث ج٣ص٣٥٧:
ولذا تعقَّب ابنُ دقيقِ العيد ابنَ السمعانيِّ في ذكرِه بعضَ الشعراءِ والقدحِ فيه بقولِه: **إذا لم يُضطرَّ إلى القدحِ فيه للروايةِ لم يَجُز**.انتهى
ألم يرَ أبو غدة ما قالَه الذهبيُّ في حقِّ الإمامِ الحارثِ المُحاسبِيِّ من طعنٍ لا معنى له في آخرِ ترجمتِه في السِيَر، فالذهبيُّ لا يطمئنُّ قلبُه إلا إذا أظهرَ أو اخترَعَ معايبَ القومِ نفعنا الله بهم.

تنقيصُ الذهبيِّ مِنْ قدرِ الإمامِ الحُجَّةِ الرفاعيِّ رضي الله عنه

يقولُ الذهبيُّ في العِبَرِ عن الإمامِ الرفاعيِّ ما نصُّه: **وتفقه قليلاً** على مذهب الشافعي، وفي سير أعلام النبلاء يقول: وقيل كان شافعيًا يعرفُ الفقه.انتهى

قلتُ انظرْ رَحِمَكَ اللهُ إلى هذا التدليسِ والتنقيصِ من قدرِهِ رضي الله عنهُ، فقد صرَّحتُ لكَ من قبلُ أنّه كانَ أحسنَ

حالاً وأصدقَ عندما صنَّفَ تاريخَ الإسلامِ، فقد قال فيه: وورَدَ أنه كانَ **فقيهًا** شافعي المذهب.انتهى

ولا أدري بماذا كان أبو غدةَ سيبدأ تدليسَه هذه المرةَ، واعلمْ رحمكَ اللهُ بأنّ تكذيبَنا الآنَ للذهبيِّ وبيانَ انحرافِهِ وعصبيتِه المذمومةِ، هو في نفسِ الوقتِ تكذيبٌ لعبدِ الفتاحِ أبو غدة وبيانٌ لانحرافِهِ المكشوفِ وعصبيّتِهِ المذمومةِ، فبسم الله:
قال الذهبيُّ نفسُه في تاريخِ الإسلامِ ما نصُّه: قال القاضي ابنُ خِلِّكان: كان رجلاً صالحًا **فقيهًا شافِعِيَّ** المذهبِ.انتهى

وقال الإمامُ سراجُ الدينِ بنُ الملقِّنِ في طبقات الأولياء: كانَ أوحَدَ وقتِه حالاً وصلاحًا **فقيهًا شافعيًا**.انتهى

ويقولُ ابنُ تغري بردي في النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة: **إمامُ وقتِهِ في الزهدِ والصلاحِ والعِلْمِ** والعبادةِ، كان

من الأفرادِ الذين أَجْمَعَ الناسُ على عِلْمِهِ وفَضْلِه وصلاحِهِ.انتهى بحروفِه

هذا تفقّه قليلاً على المذهبِ الشافعي يا أبا غدة، وتدافعُ عنه بالباطلِ وتقولُ بأنَّ الاعتدالَ حليةُ الرجال، أرأيتَ كيفَ تعمَّدَ الذهبيُّ تنقيصَهُ في ءاخرِ كتبِه؟ هذا يرفعُ عنك الثقةَ في النقلِ فليتَك لم تخضْ فيما لا يعنيكَ.

والدليلُ على تعمُّدِ الذهبِيّ التنقيصَ أنّه قبلَها بسنينَ ذكرَ الإمامَ الرفاعيَّ في تاريخِ الإسلامِ فقال عنه الزاهدُ الكبيرُ سلطانُ العارفينَ في زمانِه ونقلَ عن ابن خلكانَ أنه فقيهٌ شافعيٌّ.

ثم يتابعُ أبو غدةَ تعدّيَهِ على السبكيِّ – بحجةِ الاعتدال – فيقولُ متطاولاً على مقامِه العالي: نسيِ أن الذهبيَّ شيخهُ ومعلّمُه ومطوّقُ عنقِهِ بالفضلِ، فخرجَ عن حدِّ الاعتدالِ والاعتدالُ حِليةُ الرجال.انتهى

قلتُ: الحافظُ الحسينيُّ تلميذُ الذهبِيّ نفسِه أَولَى بالسبكيِّ منك، لأن الذهبيَّ شيخُه وهو على علمٍ بكلامِ السبكيّ أكثرَ منكَ وأعلمُ وأفقه منك، وقد قال في ذيلِ العِبَر في تاريخ من غبَر للذهبي:

وسئل سيدُنا قاضي القضاة شيخُ الإسلام تاجُ الدين السبكي – فسح الله في مدته – في العَود إلى قضاء الشام على عادته فلم يجب، حتى روجع في ذلك مرات فعاد بحمد الله تعالى إلى دمشق قاضيًا على عادته، ودخلها بكرة يوم الثلاثاء رابع عشر ربيع الآخر، فقرَّت برؤية وجهه العيون، وسر بقدومه الناس أجمعون.

وكان يومُ دخولِه إلى دمشقَ كالعيدِ لأهلِها، وقد كان أَيَّدَه اللهُ تعالى في مدة إقامتِه بمصرَ على حالِ شهيرةٍ مِن التعظيم والتبجيل، يعتقدُه الخاصُّ والعامُّ، ويتبرَّكُ بمجالستِه ذوو السيوفِ والأقلامِ، ويزدحمُ طلبةُ فنونِ العلم على أبوابه، وتمسَحُ العامةُ وجوهَها بأهدابِ أثوابه، ويقتدي المتنسّكونَ بما يَرَوْنه مِن ءادابه، فالله يُمتّع ببقائِه أهلَ المِصْرَين، ويجمعُ له

ولمواليه خيرَ الدارينِ بمحمدٍ وءالِه.انتهى، طبعة دار الكتب العلمية الجزء الرابع ص١٩٩.

يـا نـاطِحًا جَـبَلاً يومًا لِيُوهِنَهُ
أشفِقْ على الرأسِ لا تُشفِقْ على الجَبَلِ

ألا تريدُه أن يقولَ الحقَّ لأنّ المخطئَ شيخُه في الحديث، هذه أُولى غلطاتكَ وهي تدعو الناسَ إلى السكوتِ عن الإنكارِ على الشيخِ إذا رأى الطالبُ منه ما يخالفُ الشرعَ، وتكونُ بها أسقطتَ نزاهتَك، وثانيها أنّه يقرُّ بفضلِه عليه في الحديثِ في عدةِ مواضعَ ولا يُنكرُه فقولُك "نسيَ" سوءُ ظنٍّ بالإمامِ شيخِ الإسلامِ التاجِ السبكيِّ رضي الله عنه، ثم إنك واللهِ ظالمٌ لهُ ومتحيِّزٌ للذهبي تحيُّزًا مذمومًا.

ووجدتُ في كلامِك ما يدلُّ على سوءِ ظنّك بالتاجِ السبكي رضي الله عنه لأنك نقلت عن السبكي هذه العبارة في حقّ شيخِه الذهبي وأكثر وأكتفي بأولِها: شيخُنا وأستاذُنا الإمامُ

الحافظُ شمس الدين أبو عبد الله التركماني الذهبيُّ محدِّثُ العصرِ.انتهى

فهل تُراهُ نسيَ أم تريدُه أن يتخلّى عن ثوبِ استقامتِه الذي ماتَ مرتَديَه بحمد الله، ألا ترى هذا الثوبَ أسقطَك دونَه، أينَ عهدُنا القديمُ باستقامتِك يا أبا غدة وأينَ قديمُ اعتدالِك.

أم نَسيتَ أنّه بكتابٍ واحدٍ له مثلِ (جمعِ الجوامِعِ) الكتابِ الفردِ العظيمِ في أصولِ الفقهِ الذي أنتَ عالةٌ عليهِ إنْ كنتَ فهمتَ أو حصَّلتَ مقدِّمَتَه يُبطِلُ دعواكَ، وأنّه شيخُ شيوخِ مشايخِكَ ومعلّمِيكَ ومُعلّمِيهم ومطوِّقُ عنقِكَ وأعناقِهم أجمعينَ بالفضلِ.

وذا شيخُنا الحسنُ بنُ الصدِّيقِ الغُماريُّ نفعَ اللهُ به، يفوقُكَ علمًا وحفظًا وفقهًا واطِّلاعًا وقال: بقينا سنةً ندرُسُ مقدِّمَةَ جمعِ الجوامِعِ.

وأنت تعلمُ جيدًا أنّ الحافظَ الْمِزيَّ عندما ماتَ أراد السبكيُّ بإلحاحٍ إن يُوَلِّيَ الذهبيَّ مشيخةَ الحديثِ في الدار الأشرفيةِ، فعارضَ الكلُّ وألَحَّ السبكيُّ لكنَّهُم رفضوا لأنّها شرعًا وقفٌ على أنْ يكونَ شيخُ الحديثِ من أهلِ السنةِ الأشاعرةِ، بينما كان الذهبيُّ قد تأثر وتضرَّرَ كثيرًا بسببِ مخالطتِه لابنِ تيمية، ومع ذلكَ أرادَ السبكيُّ توليَتَهُ، فأينَ هو عدلُكَ.

وثالثُها أنك تريدُه أن يكونَ شيطانًا أخرسَ لكي لا يُقالَ خطَّأَ شيخَه صاحبَ الفضلِ عليهِ في علومِ الحديثِ؟ هذه قاعدةٌ جديدةٌ يا صاحبَ الجرحِ والتعديل أم مِن بناتِ رأسِك وحدَك، لأنها واللهِ نِعمَ المثالُ على الفردِ المطلَقِ المنكرِ الذي لا متابعَ له.

قد ءاذَيتَ نفسَك في هذه، فقد قال السبكيُّ في طبقاتِه: وهو شيخُنا وله علينا حقوقٌ إلا أنَّ حقَّ اللهِ مقدَّمٌ على حقِّه.انتهى

وها أنا قد رددتُ على شيخنا الحافظِ عبدِ الله بنِ الصدِّيقِ وبيَّنتُ وجوهَ الخطإ في كلامِه، ولا أُنكرُ له فضلاً ولا أُنقِصُ مِن قدرِه، وما كان يسعني السكوتُ وقد أخطأ في أمورٍ لا يُسكَتُ عنها، فدَعْنا مِن زخرفاتِك.

أم تظُنُّه مثلَك في سكوتِك عن قولِ شيخِك التهانوي (ليتَنا نبلغُ أن نكونَ غبارَ نعلِه) وتبرِّرُ له كلامَه بأنها عبارةٌ يستعملونَها تواضُعًا، مع أنّ النصيحةَ الواجبةَ شرعًا عليكَ هي بيانُ فسادِ هذه العبارةِ وأنّ حُرمةَ المسلمِ أعظمُ عندَ اللهِ من حُرمةِ الكعبةِ كما في ابن ماجه مرفوعًا وعند عبدِ الرزاقِ موقوفًا على عبد الله بن عمرو.

بئسَ التواضعُ الذي يجعلُ المسلمَ الذي أكرمَه اللهُ بالإسلامِ وطَهَّرَ رُوحَه بالتوحيدِ وجعلَ حُرْمتَه أعظمَ من حُرمةِ الكعبةِ يَتَمَنَّى أن يكونَ غبارَ نعلِ رجلٍ، اللهُ أعلم كم مرةً مشى بنعلِه على النجاساتِ، فبئسَ السكوتُ، وتريدُ من التاجِ السبكيِّ أن يكونَ مثلَك، خاب ظَنُّك فكما قال (حقُّ اللهِ

مقدَّمٌ على حقِّه) فمَن تكون أنتَ لتنتقِدَ هذا الجبلَ عدوانا بلا حجةٍ.

وسكوتُك مُريبٌ عجيبٌ، فمع ما لك من التوسُّعاتِ في البحثِ والإصابةِ والإتقانِ في كثيرٍ من المواضعِ التي يشهدُ بها الكلُّ أراكَ عند حديثِ (مَن زارَ قبري وجبَتْ له شفاعتي) تلتزمُ الصمتَ مع أن الموضعَ موضعُ بيانٍ فلمَ الصمت؟ (في القلب من صمتِك شيءٌ)

وكم سوّدتَ من قراطيسَ في تبيينِ أخطاءِ عصريِّك وتلميذِك الندويِّ، فأين هذا الحشدُ الضخمُ الهائلُ في الدفاعِ عن حديثِ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم وعقيدتِه.

ولماذا تغمز وتلمز في كلامِك عن الصوفيةِ ووجدِهم وسماعِهم وتتجاهلُ قولَ الإمامِ أحمدَ بنِ حنبلٍ المشهورِ فيما نقلَه القلانسي أن أحمد قال عن الصوفية: لا أعلم أقوامًا

أفضلَ منهم، قيل: إنهم يستمعون ويتواجدون، قال: دعوهم يفرحون مع الله ساعة، قيل: فمنهم من يموت ومنهم من يغشى عليه، فقال: (وبَدَا لهم مِنَ اللهِ ما لم يَكُونُوا يحتسِبُون).

كتابُ (سباحة الفِكْر في الجهرِ بالذِكْر) للّكنويِّ كتابٌ جيدٌ، ولا عيبَ فيه إلا أنك علّقتَ عليه.

فهل هذه هي الأمانةُ العلميةُ والاعتدالُ والتحقيقاتُ العلميّةُ التي تتكلم عنها، لا والله ما هي هكذا.

ثم ليتَ شِعري أيُّ حاجةٍ للأمةِ في هذا الزمنِ في كتابِ عمّن ءاثرِ العلمَ على الزواجِ والأمّةُ تنهشُها المجسّمةُ والمشبّهةُ وأفراخُ المعتزلةِ، هل كسرتَ لهم علَمًا أو أطفأتَ لهم بدعة، حسبُنا الله ونعم الوكيل.

وقد ضيَّعتَ وقتَكَ في تتبُّعِ غلَطاتِ صاحبِكَ أو تلميذِك تقيِّ الدينِ الندويِّ، وتتبعاتُك فيها أخطاءٌ أذكرُ منها اعتراضَكَ عليهِ في ضبطِهِ نسبةَ أبي داودَ صاحبِ السُّنَنِ بأنه

"سَجِسْتاني"، فاعترضتَ عليه بقولِك: (والصوابُ السِجِسْتاني بالكسر).

وهذا كلامُ مردودٌ عليكَ ناشئٌ عن قلّةِ نظرٍ، فسَجِستانَ تُضبَطُ بكسرِ السينِ وفتحِها.

ولو رأيتَ ما قالَه شارحُ القاموسِ الزبيديُّ لما تجرَّأتَ على تخطئتِه، فقد قال في تاجِ العروس:

وسِجِسْتَانيٌّ بالكسرِ وعندي **أنّ الصّوابَ فيه الفتحُ، لأنَّهُ مُعَرَّب سَكِسْتَانَ** فالصّوابُ أَنَّ سِجِستَانَ معرَّبٌ عن سَكِستَانَ وهذا كأنَّه رَدَّ به عَلَى الصَّاغَانِيّ حيث قال: إنَّهُ مُعَرَّبُ سَيِسْتَانَ وإنَّه بالفَتْحِ وهذا الَّذِي نَقَلَه الصّاغَانِيُّ هو المَشْهُورُ الجارِي على أَلْسِنَتِهم.انتهى

فما هو الصوابُ يا أبا غدّة، وغيرُ هذا كثيرٌ ممّا يدلُّ على قلةِ نظرك، ولا فائدةَ من وراءِ تتبُّعِ أخطائِكَ المتعمَّدَةِ على حسابِ تركِ الانشغالِ عن أهلِ الضلالِ، لكن أردتُ بإذنِ

الله أنْ أُبَيِّنَ للناسِ أنك لستَ معتدِلاً وأن محاراتَك وسكوتَك كانا وبالاً عليكَ، يومُ الحسابِ قريبٌ وهو يومٌ شديدٌ، نسألُ اللهَ السلامةَ والعافيةَ ءامين.

وظنّي أن شيخَنا النيفر رحمه الله لو اطّلع على هذه لما كتب في مدحِ لغتِك ما كتب، ولو رأيتُ قبلاً كلامَك وكلامَه في مدحِ لغتِك لكتبتُ إليه أحذّرُه، فإنّ الدينَ النصيحةُ والجرحُ المفسَّرُ مقدَّمٌ على التعديل.

خاتمةُ الكتاب: إيّاكَ رعاكَ اللهُ والظنَّ أنّ كلَّ منتسبٍ إلى الصوفيةِ صار منهم، هيهاتَ هيهاتَ، فمنذُ قرونٍ طويلةٍ انحرفَ أغلبُ المتصوِّفَةِ وانتسَبَ إليهم كلُّ مَن أرادَ الشهرةَ ولبسَ لباسَ المسكنَةِ والزهدِ، فهذه حالٌ ظاهرُها نافعٌ وباطِنُها سُمٌّ ناقِعٌ، فاحذرْهم أشدَّ الحذَرِ وحذِّرْ منهم.

وخذْ مثالاً اليَزيدِيَّةَ اليَشرُطيَّةَ زنادقةٌ كفارٌ ليسوا مسلمينَ، قلوبُهم امتلأتْ كفرًا وشِرْكًا، يعتقدونَ أنّ كلَّ جزءٍ منهم

فيه جزءٌ من اللهِ حتى الفرجُ والعياذُ باللهِ من هذا الكفرِ الخبيثِ، ويقولونَ بالوَحدةِ المطلقةِ بينَ الخالقِ والمخلوقِ وهذا كفرٌ ءاخرُ، وبَنوا على أساسِ هذا الاعتقادِ عدمَ الغسلِ من الجِماعِ لأنَّ الفاعلَ اتحدَ مع المفعولِ، لعنهم اللهُ وأخمدَ فِتنَتَهم ءامين.

وهاكَ مثلاً رجلاً دجالاً لقيتُه يزعُمُ أنّه شاذليٌّ افتراءً وبُهتانا – والعبدُ الفقيرُ أخذ الشاذلِيَّةَ عن الصادقينَ – لكنَّ هذا الخبيثَ عندما أرادَ أنْ يذكرَ اللهَ صار يقولُ أمامي (اللَّ، اللَّ)، فنهيتُه وقلتُ له هذا ليس ذِكْرًا، يجبُ عليكَ أن تقولَ إذا أردتَ الذكرَ "اللهُ" وتلفظَ الهاءَ ولا يجوزُ لك "اللا" بدونِ الهاءِ، (وللهِ الأسماءُ الحُسْنَى فادْعُوه بها)، فلم يُعجبْه كلامي، ولم يستطِعِ الردَّ ثم رأيتُ معهُ كتابًا فيهِ أورادٌ مُفتَراةٌ على الشاذليةِ، فيه والعياذُ باللهِ أنَّ محمَّدًا صلى الله عليه وسلم قَبْضَةٌ مِن نورِ اللهِ، فغضبتُ للهِ وقلتُ له: هذا كفرٌ هذا فيه

أنَّ الرسولَ عليه الصلاةُ والسلامُ جزءٌ من اللهِ، فقال لي الخبيثُ: نحنُ كلُّنا أجزاءٌ من اللهِ.

فتلوتُ ورفعتُ صوتي بالآية: (لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ) فسكتَ ولم يردَّ جوابًا ولم يقبَلْ مِنّي، ثم بعدَ فترةٍ قصيرةٍ عرفتُ أنّه ماتَ، ماتَ كافرًا لعنةُ اللهِ على المشبِّهَةِ، فأنّى لهذا أن يكونَ صُوفيًّا أو خادمَ خدَمِ الصوفيةِ الأكابر.

وكذلك كُتُبُ النبَهانيِّ فيها حقٌّ وباطلٌ، وقد حدَّثني أحدُ مشايخي الرفاعيّين المُرشِدينَ الأكابرِ الثقاتِ: كُتُبُ النبَهانيِّ فيها طامّاتٌ، له كتابٌ ينقلُ فيهِ أنَّ مِن أسماءِ الرسولِ (الله) و (الرحمٰن). انتهى، وابتسم استخفافًا وتعجُّبًا.

وقد سألتُه أيضًا عن كتابٍ للبوني اسمُه شمسُ المعارفِ أهدانيه أحدُ المحبّينَ من فلسطينَ، فقال لي: أحرِقْهُ أحرقه.

وعندما أوقدتُ النارَ لإحراقِه، قال لي بعضُ الحاضرين: أتلفهُ أو مزّقْه، فقلتُ له: هو قال لي: أحرقْهُ ولم يُعَمِّمْ، فأحرقتُه وهم ينظرون.

فدفاعي عن الرفاعيَّةِ الأمجادِ والصُوفيَّةِ الأسيادِ إنّما هو دفاعٌ عن الصالِحِينَ العُمْدَةِ المستقيمينَ منهم مِن رفاعيّةٍ وقادِريَّةٍ وشاذِليَّةٍ ونقشبَنْدِيَّةٍ وسَعْدِيَّةٍ وبَدَوِيَّةٍ ودسوقيَّةٍ وغيرِهم، ورَدٌّ للطعنِ فيهم بغيرِ حقٍّ، وهذا كان غرَضَ الكتابِ، أمّا أمثالُ هؤلاءِ المنحرفين الذينَ همُّهم الرقصُ بالطريقةِ الْمُحَرَّمَةِ وعقائدُهم فاسدةٌ، فلا حُرْمَةَ ولا كرامةَ وليسوا صوفيةً أصلاً حتى نُدافِعَ عنهم، فاللهُ منهم بريءٌ والرسولُ عليه الصلاةُ والسلامُ منهم بريءٌ والساداتُ الصوفيةُ الأثباتُ الأنقياءُ منهم بُرَءاءُ، فلا تكن في رَيبٍ مِن ذلك.

وليس عدلاً أخذُ الصالِحِ بِذَنْبِ الطالِحِ، هذا حرامٌ لا يجوزُ لا لتعَصُّبٍ مذهبيٍّ ولا لعقيدةٍ كما فعلَ الذهبيُّ في الحالينِ، وليتَه

نزَّهَ نفسَهُ هو و"أبو غدةَ" وبشار معروف عن النــزولِ إلى منازِلِ الظالمين، فما هكذا يكونُ اتّباعُ الشرعِ وما هكذا تكونُ الأمانةُ والصدقُ، فما نفعُ علمي وأنا لا أعملُ بهِ وأنا خائنٌ للمسلمينَ عصيتُ الرسولَ صلى الله عليه وسلم عندما قال: (الدينُ النصيحةُ)، أعاذني اللهُ وإيّاكَ مِن هذه الأحوالِ وأحسَنَ ختامَنا ءامينَ ءامينَ.

وأكرِّرُ عليكَ رعاكَ اللهُ: ليس معنى الرقصِ المذكورِ عندَ الرفاعيةِ أو غيرِهم مِن الصوفيةِ كما يفهمُه العوامُّ، بل هو شيءٌ من التمايُلِ مع النَفَسِ وما شابَه من دونِ تثنٍّ أو تكسُّرٍ، وفي بلادِ بُخارَى وسَمَرقندَ وما جاوَرَها رقصُهم مع الذكرِ يكونُ ركضًا دائريًّا، وكلُّ هذا يُشبهُ قرعَ الطبولِ في الحرب للحماسَةِ في قتالِ العدوّ، وما كانَ فيه هيئاتٌ منكَرَةٌ فأهلُ اللهِ بريئونَ منه، واللهُ تعالى أعلمُ وأحكم.

ومِن أدلّتِه ما رواهُ الخطيبُ البغداديُّ في موضحِ أوهامِ الجمعِ والتفريقِ وأبو نعيمٍ وابنُ عساكرَ وغيرُهم عن سيّدِنا عليٍّ

رضي الله عنه أنه قال عن الصحابة: (فإذا أصبحوا فذَكروا اللهَ مادوا كما يَمِيدُ الشجرُ في يومِ الريحِ وهَمَلَت أعيُنُهم حتى تُبَلَّ ثيابُهُم) وصحةُ مثلِه غيرُ مشترطةٍ، فهذا مِن فضائلِ الأعمالِ يُعملُ به وإن ضَعُفَ إلا الشديدَ الضعفِ.

تَمَّ الكتابُ بحمدِ الله ومَنِّهِ وهو المستعانُ وعليهِ التُّكْلانُ

وبقيَتْ هناكَ أمورٌ رعاكَ اللهُ لم أذكُرْها، فإنْ رأيتَها فارجعْ إلى القواعدِ التي جمعتُها لك هنا تَكْفِكَ إن شاء اللهُ تعالى.

وسبحانَ ربِّكَ ربِّ العزَّةِ عمّا يصفونَ وسلامٌ على المرسَلينَ والحمدُ لله ربِّ العالمين.

وكتبَها الفقيرُ إلى رحمةِ مولاهُ الغنيِّ الرؤوف، عبدُه مجدي غسان معروف الأشعريُّ الشافعيُّ الرفاعيُّ عفا الله عنه وسامَحَه بكرمِه، وكان الفراغُ منه ليلةَ السادسِ من ربيعٍ الثاني سنةَ ألفٍ وأربعمِائةٍ واثنتينِ وثلاثين الموافقة ١١-٣-٢٠١١ رومية.

إلجامُ مَن تكلَّمَ

على تقبيلِ الرفاعيِّ يد النبيِّ ﷺ

وهو ردٌّ على شيخنا

الحافظ

عبدِ اللّه بنِ الصدّيقِ الغُماري

مؤسسة الكتب الثقافية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِلْجَامُ مَنْ تَكَلَّم

على تقبيلِ الرِّفاعيِّ يَدَ النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّم

(وهو ردٌّ على شيخِنَا الحافظِ عبدِ اللهِ بنِ الصِدِّيق الغُمَارِيِّ)

بسم الله الرحمن الرحيم والحمد للهِ العليِّ العظيمِ، وصلّى اللهُ وسلَّمَ على محمدٍ نبيِّهِ الحليمِ الكريمِ، صاحبِ المعجزاتِ الباهراتِ والتصرُّفاتِ المعجزَاتِ وبعدُ:

فاعلمْ رحمَكَ اللهُ أنَّ شيخَنَا العلاّمَةَ الحافظَ عبدَ اللهِ بنَ الصِّدِّيقِ الغُمَارِيَّ هو صاحبُ الكتبِ والمؤلَّفاتِ التي أرهقَتْ خصُومَنَا المبتدِعَةَ مِن أهلِ التشبيهِ والتجسيمِ، إلاّ أنّهُ لكلِّ حصانٍ كَبْوَةٌ ولكلِّ عالمٍ هفوةٌ، وكانَ مِن جملةِ ما خالفَ فيهِ الصوابَ، وفَتحَ فيهِ للنَّقْدِ البابَ، تأليفُهُ في تكذيبِ الكرامةِ المتواترَةِ عن قطبِ الأقطابِ سليلِ سيّدِ الأحبابِ صلّى اللهِ عليهِ وسلمَ، تاجِ أولياءِ عصرِهِ وعمدَةِ كلِّ وليٍّ مِن بعدِهِ سيّدِنا وغوثِنا وإمامِنا أبي العَلَمَينِ

والعِلْمَين شيخِ العُرَيجاءِ السيِّدِ أحمدَ الرفاعيِّ الحسينيِّ رضيَ اللهُ عنهُ وقَدَّسَ سِرَّهُ ءامينَ، في كتابٍ اسمُهُ:

(النَّقْدُ المُبْرَم لرسالَةِ الشَّرَفِ المُحتَّم)

وقد قال الخطيبُ البغداديُّ في (الاحتجاج بالإمامِ الشافعيِّ) ما نصُّه: ولولا ما أخذ اللهُ تعالى على العلماءِ فيما يَعْلَمونَه لَيُبَيِّنُنَّهُ للناسِ ولا يكتمونَه، لكانَ أَوْلى الأشياءِ الإعراضُ عنِ اعتراضِ الجُهَّالِ والسكوتُ عن جوابهم فيما اجْتَرَأُوا عليه مِن النطقِ بالمُحَالِ، وتَرْكُهم على جهلِهِم يَعْمَهونَ بتَحيُّرِهم في الباطلِ والضلالِ. انتهى

وإنّي مقلِّدٌ لهم لا غيرُ، ولِمَسالِكهم سالكٌ في بيانِ الحقِّ، واعلمْ رحمكَ اللهُ أنَّ الردَّ على مضمونِ الكتابِ سهلٌ للغايةِ لِمَا يَسَّرَهُ اللهُ في سنينَ مِن حقائقَ تنقُضُ عُرَى الكتابِ عُروَةً عُروَةً، لكنَّ الردَّ على مثلِ شيخِنا عبدِ اللهِ بنِ الصِّدّيق ليس بالأمرِ الهيِّنِ عليَّ، فكيفَ يَرُدُّ عليهِ مَن يراهُ شمسًا طلَعَت لتُحرقَ الباطلَ مِن تشبيهٍ وتجسيمٍ وظاهريَّةٍ منبوذَةٍ باسمِ السلفِ والإسلامِ ولَمْ تغِبْ بعدُ، وكيفَ يُوهِنُ كلامَهُ

مَن تربَّى على كتبِ فضيلتِهِ ولا زالَ ينهَلُ مِن بحرِ معارفِهِ الحديثيَّةِ مثلي، وهو شيخُنا ومُجيزُنا ولهُ فضلٌ عليَّ وعلى أقراني، وهو صاحبُ اليدِ البيضاءِ التي لم تزَلْ تَغمِطُ وتمحو ما ابتدَعَهُ أناسٌ في الحديثِ ليسوا مِن أهلِهِ لا في القديمِ ولا الحديثِ مِن أشباهِ الألبانيِّ ومَن اغترَّ بهِ وبأوهامِهِ، وقد حاولتُ في سنينَ متطاولةٍ غضَّ النظَرِ عنِ الكتابِ هذا، إلاّ أنّ الحقَّ لا بُدَّ مِن قولِهِ، فلأَنَ يكونَ شيخُنا خصمي أهونُ عليَّ مِن أنْ أكونَ شيطانًا أخرسَ وألبَسَ ثوبَ الملامَةِ والخجلِ في مواقفِ يومِ القيامةِ، هذا ومحبّتي لسيِّدِي الرفاعيِّ أعظمُ وأعلى فمحبتي لهم على قدرِ صفاتِهِم، بالإضافةِ إلى هذا فما لا أستطيعُ السكوتُ عنه هو فَرَحُ المخالِفِينَ بالكتابِ والعملُ على نشرِهِ بهمَّةٍ عاليةٍ، وسواءٌ رأَوْا خطأً في الكتابِ أمْ لا.

مسئلةٌ مهمة في نسبةِ الكتابِ إلى شيخِنا

في القلبِ من هذا الكتابِ شيءٌ، وأخوَفُ ما أخافُه هو أنَّ الطبعةَ الأولى مِنه ظهرَتْ سنةَ ١٩٩٨ وهو توُفِّيَ سنة

١٩٩٣، وفي الكتابِ مسائلُ أشبهُ بمذهبِ المعتزلةِ في المعقولاتِ، وفي الكتابِ أنّه لا يُحفَظُ القرءانُ قبلَ تسعِ سنينَ، وأنّ العقلَ لا يقبلُ أنْ يحفَظَ القرءانَ ابنُ أربعِ سنينَ، فجعله مستحيلاً عقلاً.

وإني أُعيذُ شيخَنا – على ما عرفتُه عنه – مِن أن ينطِقَ بمثلِ هذه الخرافاتِ، وقد جاءَ في كتابِ الكفايةِ في علمِ الروايةِ للخطيبِ البغداديّ ما نصُّه: قال طلحةُ بنُ عليّ بنِ الصقرِ الكتانيُّ: قرأتُ على أبي عبد الله محمد بنِ أحمد بنِ إبراهيم الأصبهاني قال ثنا محمد يعني بن إبراهيم بن يحيى بن الحكم بن الحزور الثقفي ثنا يعقوب الدورقي ثنا أبو عاصم قال: **ذهبتُ بابني إلى ابنِ جريجٍ وهو ابن أقلَّ مِن ثلاثِ سنينَ يُحدِّثُه بهذا الحديثِ والقرءانِ**، وقال أبو عاصمٍ: لا بأس أنْ يُعَلَّم الصبيُّ الحديثَ والقرءانَ وهو في هذا السنِّ ونحوِه.

ومِن أظرفِ شيءٍ سمعناه في حفظِ الصغيرِ ما أخبرنا أبو العلاء محمدُ بنُ الحسنِ بن محمدٍ الوراق: أخبرنا أبو بكرٍ

أحمدُ بنُ كاملٍ القاضي قال: حدثني علي بن الحسن النجار ثنا الصاغاني ثنا إبراهيم بن سعيد الجوهريُّ قال: **رأيتُ صبيًا ابنَ أربعِ سنينَ قد حُمِلَ إلى المأمونِ قد قرأ القرءانَ ونظرَ في الرأيِ، غيرَ أنه إذا جاع يبكي.**

سمعتُ القاضيَ أبا محمدٍ عبدَ الله بنَ عبد الرحمن الأصبهانيَّ يقولُ: **حفظت القرءانَ ولي خمسُ سنينَ** وحُمِلتُ إلى أبي بكرٍ المقرئ لأسمع ولي أربعُ سنينَ. انتهى

فكيفَ تصحُّ نسبةُ هذا الكلامِ إلى شيخِنا الحافظِ وهو كلامٌ فظيعٌ قبيحٌ يجعلُ حفظَ القرءانِ لابنِ أربعِ سنينَ لا يقبلُه عقلٌ، ولو طُبِعَ في حياتِه و لم يُنكِرْهُ لسلَّمْنا، فهذه المسئلةُ إنْ قالَها جاهلٌ استُفظِعَ قولُه فكيفَ بحافظٍ متقِنٍ ونحنُ نعرفُه.

وقد أخبرَني تلميذُه المتقِنُ الشيخُ محمود منصور قرطام أنّ كتبَه لم تسلمْ مِن الدسِّ في حياتِه، وكان ذلك أثناءَ الكلامِ

على كتابه (رفعُ الإشكال عن مسئلةِ المحال)، والشيخُ محمودٌ حيٌّ، والكتابُ نفسُه فيه إشكالٌ وأشَدُّ الإشكال.

وكذلك ما يُنسَبُ إليهِ مِن قولِه إنّ أهلَ السنةِ أضافوا كلمةَ (وصحبِه) في الصلاةِ على النبيِّ صلى الله عليه وسلم، وأنّها بدعةٌ لم يتفطّنْ لها إلا الشيعةُ.

مع أنّك تجدُه دائمَ الإتباعِ للصحابةِ في الصلاةِ على النبيِّ وءالِه، صلى الله عليه وعلى ءالِه وصحبِه وسلَّم، وهذه صورةٌ مِن كتبِه التي اعتنى بها بنفسِه وهو أنفعُ كتبِه مطلقًا:

الرّد المحكم المتين
على
كتاب القول المبين

تأليف الإمام
محيي السنة ومميت البدعة
أبي الفضل
عبدالله بن الصديق الغماري الحسني

وكان الفراغ من تبييضه صبيحة يوم الجمعة ثاني يوم عيد الأضحى المبارك سنة ١٣٦٤ وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما والحمد لله رب العالمين.

وهناكَ تفصيلاتٌ كثيرةٌ في الكتابِ كتفضيلِه الملائكةَ على سيّدِنا عيسى وغيرِه من الأنبياءِ مَن سوى نبيّنا وإبراهيمَ وموسى عليهم الصلاة والسلامُ، وهذا مردودٌ على قائلِه، وليس محلُّ بحثِه هذا الكتاب، وأعرضتُ عن إيرادِ الباقي اكتفاءً بما تقدّم.

فإنْ كانَ هذا الكلامُ منه، فالردُّ عليه، وإلا فالرَّدُّ في الحقيقةِ على المخالِفينَ مِن أشياعِ التشبيهِ والتَّمسلُفِ زُورًا وبُهتانًا وقطعٌ لألسنَتِهم، وهذِه الساحةُ موجودةٌ فلْنَرَ منهم مَن يُقارِعُ الحُجَّةَ بالحُجَّةِ في الأصولِ والفروعِ والحديثِ واللغةِ بعلومِها بما أنّ كتابَ شيخِنا شاملٌ لكلِّ هذا، واللهُ المستعانُ وهو وليُّ التوفيقِ، فأقولُ طالبًا مِنه أنْ يجعلَني مخلصًا موفّقًا

صادقًا متّبعًا لا مبتدِعًا، وسوفَ أعمَدُ إلى الردِّ على أمّهاتِ مسائلِ الكتابِ، فبسمِ اللهِ الرحمنِ الرحيمِ:

ابتداءً أريدُ التنبيهَ على أمرٍ أرادَ بهِ شيخُنا أنْ يُظهِرَ غُلُوَّ بعضِ الناسِ في السيّدِ السلطانِ أحمدَ البدويِّ قدّسَ اللهُ سِرَّهُ ونفعَنَا ببركاتِهِ، فغالَى هو ولم ينظرْ بعينِ الإنصافِ وهذا أمرٌ محزنٌ وهو قولُهُ: (وقال المتَغالُون في السيّدِ أحمدَ البدويّ: إنه لم يذهبْ من مكةَ إلى العراقِ إلا بأمرِ الهاتفِ الذي أمَرَه بالسفرِ، وقالَ له: إنّ لكَ في ذلك شأنًا، ثم رجع إلى مكةَ فأمرَه الهاتفُ أيضًا بالذهابِ إلى طندتا[1]، وقالَ له أيضًا: إنّ لك في ذلكَ شأنًا، وهكذا لم يكنْ يتحرّكُ السيّدُ البدويُّ إلاّ بِوَحْيٍ، كما لم يكنِ النبيُّ صلى الله عليه وسلم يتحرّكُ إلا بوحيٍ). انتهى

قلتُ: وهذا غلوٌّ وتناقضٌ مِن شيخِنا، أمّا الغلوُّ فإذا أُمِرَ السيّدُ البدويُّ مرّتينِ فكيف ساغَ لهُ أنْ يقولَ عن مرتينِ (لم

[1] أي مدينةِ (طنطا) الآنَ.

يكن يتحركُ إلا بوحيٍ). هذا تحاملٌ وتحميلٌ للنصِّ ما هو بريءٌ منهُ، ثمَّ إنَّ مثلَ هذا يقعُ للأولياءِ الأكابرِ كثيرًا، وأمرُ الهاتفِ سهلٌ عليهم ليس بتلكَ الغرابةِ ولا بالمستَنْكَرِ، ومشهورٌ عنِ الإمامِ أبي داودَ أنّهُ ناداهُ هاتِفٌ مِنَ السماءِ قائلاً: (يا أبا داودَ اشتريتَ الجنَّةَ بفَلْسٍ)، عندما استأجرَ مركَبًا بفَلْسٍ وتبعَ رجلاً عطسَ وقالَ الحمدُ للهِ، ولمّا وصلَ إليهِ قالَ لهُ عملاً بالسُّنَّةِ (يرحمُكَ اللهُ)، وهذا يسمّى تشميتَ العاطسِ، فليسَ أمرُ الهاتفِ أو رؤيَةُ الملَكِ بالمُعْجزِ، وأدلّتُهُ كثيرةٌ منها ما أخرجَ البيهقيُّ عنِ ابنِ عباسٍ قالَ: (كانَ الْمَلَكُ يَتصوَّرُ في صورةِ مَن يَعرفونَ مِن الناسِ يُثَبِّتُونَهم فيقولُ: إني دَنَوتُ منهم فسمعتُهُم يقولونَ: لَو حَمَلُوا علينا ما ثَبَتْنا، ليسوا بَشَيءٍ فذلك قولُه تعالَى ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ إِنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ ءامَنُوا﴾. وغيرُ هذا مِمّا يكثُرُ حصرُهُ، وليسَ أحدٌ يقولُ إنهم ما كانوا يتحركونَ إلاّ بوحيٍ.

أمّا التناقضُ فهو في قولِهِ في نفسِ الكتابِ (النقدِ المبرَمِ) عندَ ذِكْرِ تقدُّمِ الإمامِ الرفاعيِّ إلى قبرِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم ونصُّهُ: فإنَّ الكُمَّلَ مِنَ الأولياءِ حينَ يدخلونَ المسجدَ النبويَّ لا يتقدَّمُونَ لزيارةِ الروضةِ الشريفةِ إلاّ بإذنٍ خاصٍّ مِنَ النبيِّ صلّى اللهُ عليهِ وسلّمَ.انتهى، وذكرَ فيهِ أنَّ السيِّدَ عبدَ المعطي كانَ يتقدَّمُ خَطوَةً ويقفُ، فلمّا سُئلَ عنْ ذلكَ قالَ: كنتُ أستأذِنُ النبيَّ صلّى الله عليه وسلّمَ، فإذا قالَ: تقدَّمْ يا عبدَ المعطي تقدَّمْتُ.انتهى كلامُه، وهذا حقٌّ يحصُلُ بلا شكٍ ولا مِرْيَةٍ، وهذه القصةُ ثابتةٌ مذكورةٌ في كتابِ بغيةِ الطالبينَ لبيانِ المشايخِ المحقّقينَ المعتمَدينَ للعلاّمةِ النخليِّ المتوفّى سنةَ ١١١٤ هجريةً، ، وهو كتابٌ في غايةِ النفعِ.

فسبحانَ اللهِ كيفَ يُنكرُ نداءَ هاتفٍ للسيِّدِ البدويِّ ويسمّيهِ وحيًا بتهكُّمٍ معَ قِلَّتِهِ وجلالةِ هذا الشأنِ المُوكَلِ إليهِ، ويقولُ بأنّ التقدُّمَ إلى الروضةِ الشريفةِ – خَطوةً خطوةً – عندَ الكُمَّلِ مِنَ الأولياءِ تحتاجُ إلى إذنٍ منَ النبيِّ صلى الله عليه

وسلم، وهو يمدحُهُم على هذا ويجعلُه مِن مراتبِ الكمالِ فهذا تناقضٌ مُحزِنٌ عجيبٌ واضحٌ وسبحانَ مَن لهُ الكمالُ تباركَ وتعالى.

وهذا إشارةٌ إلى مضمونِ الكتابِ واللهُ ربُّنا المستعانُ.

وأهَمُّ ما يُنَبَّهُ عليهِ في هذا المقامِ هو قلّةُ معرفةِ شيخِنا بهذا المقامِ، وهذه حقيقةٌ وأمرٌ واقعٌ ليسَ ذمًّا أوِ انتقاصًا حاشاهُ، بل هذا واضحٌ فإنّ مدارَ الكتابِ على كتابِ الإمامِ السيوطيِّ (الشرفُ المحتَّم) وعليهِ اعتمَدَ في النقضِ كما ستراهُ وهو كلامٌ وإنْ كانَ ضعيفًا، لكنّهُ حقًّا قد صدرَ مِن عالِمٍ ماهرٍ يَعِي ما يقولُ، ولو صحَّ ما افترَضَهُ لكانَ مُصيبًا، لكنَّ الأمرَ بخلافِ ذلكَ ونُشوؤُهُ عنْ قلةِ مَوارِدِه ومعرفتِه بالإمامِ الرفاعيِّ والرفاعيةِ، وقد بدأ تقريرَ إبطالِهَا بقولِهِ:

الأول: تقرر في علم الأصول أن الخبر إذا كان تتوفر الدواعي على نقله بالتواتر، ثم نقل بطريق الآحاد، فهو مقطوع بكذبه، ومثّل أهلُ الأصولِ لذلك بسقوط الخطيب عن المنبر يوم الجمعة، فإن هذا الحادث لو حصل يستدعي

أن يخبر به جميع من كان في المسجد، فإذا انفرد به ثلاثة منهم أو أربعة أو عشرة قطعنا بأنه مكذوب، وقطعنا بأنهم اختلقوه أو اختلقه أحدهم ووافقه بقيتهم، ونحن إذا تأملنا تلك القصة، وجدناها تحكي خروج اليد الشريفة من القبر المكرَّم، أمامَ جمعٍ يقرُبُ من تسعينَ ألفِ رجلٍ ....انتهى

قلتُ: هذا الكلامُ صحيحٌ ما عدا ذكرَ العشرةِ، ففيه تفصيلٌ من حيثُ العملُ، لأنّ العادةَ عندَ أهلِ الحديثِ أنّ ما رواهُ العشرةُ متواترٌ وإنْ كانَ المتواترُ على القولِ الصحيحِ لا يُشترَطُ فيهِ حصرٌ بعددٍ معيَّنٍ، لكنّ الاصطلاحَ شيءٌ والعملَ شيءٌ ءاخرُ، والعملُ كما نصَّ عليهِ الإمامُ السيوطيُّ وغيرُهُ على أنَّ ما رواهُ العشرةُ لا يتردَّدُونَ في الحكم عليه بأنه متواترٌ، وقد يكونُ بأقلَّ وقد يكونُ بأكثرَ.

وأمّا قولُه: (يستدعي أن يخبر به جميعُ مَن كان في المسجد) فغيرُ صحيحٍ، إنّما يُشترَطُ الكثرةُ المفيدةُ للتواترِ لا غيرُ.

وأمّا تطبيقُ هذه القاعدةِ على كرامةِ الإمامِ الرفاعيِّ فلا وجهَ له مِن عدّةِ وجوهٍ وهو أجَلُّ مِن أنْ يغفَلَ عنها، منها:

١- تمثيلُه بسقوطِ الخطيبِ يرُدُّ عليهِ، لأنَّه لم يشترطْ أحدٌ مِن أمّةِ الإسلامِ قديمًا وحديثًا اشتراطَ نقلِها إلى الطبقةِ التي تليها، أو حتى استمرارَ تواترِها في طبقتِها، فقد تتواترُ لِعِلّةٍ وتزولُ العلّةُ، وقد درَسنا في إيصالِ السالكِ إلى أصولِ الإمامِ مالكٍ وهي الأصولُ التي يُقِرُّ بها شيخُنا قاعدةَ: (مدارُ الحكمِ على العلّةِ وجودًا وعدَمًا).

وهذه قاعدةٌ جليلةٌ، فإذا زالَتْ عِلّةُ التواترِ فلأَيِّ شيءٍ يُشترَطُ استمرارُه.

وهذه أوّلُ شُبهَةٍ استعمَلَها شيخُنا دليلاً وهي تشهدُ عليهِ لا لهُ، ولو تأمَّلَها جيدًا قبلَ اعتمادِها لرأى أنّها عليهِ لا لهُ.

٢- مخالفتُه نفسَهُ فيما اشترطَهُ، فقدْ مثّلَ بسقوطِ الخطيبِ عنِ المِنبرِ و(إخبارِ الناسِ) عنها، و لم يَشترطْ أحدٌ تدوينَها في الكتبِ لإثباتِ صدقِ الروايةِ، فكيفَ يقيسُ المشافهةَ على

التدوينِ في الكتبِ وهذا شرطٌ مُبتدَعٌ لم يقلْ بهِ أحدٌ، حتى هو نفسُهُ لم يقلْ بهِ كما قدّمتُه، فأوّلُ اعتراضٍ وهو الوتدُ الذي اعتمدَ عليهِ في إبطالِ الحكايةِ باطلٌ جملةً وتفصيلا.

فالعبرةُ في مثلِ كرامةِ الإمامِ الرفاعيِّ تواترُها في طبقتِها فقطْ دونَ غيرِها، ويكفي نصٌّ واحدٍ مِن أهلِ العلمِ العارفينَ بتمييزِ التواترِ من غيرِهِ، فمِن أينَ عرفَ شيخُنا أنّها لم تتواترْ، وسيأتي نصُّ أهلِ العلمِ على تواترِها بإذنِ الله تعالى.

٣- لِمعرفةِ ما تواترَ قديمًا يكفي نقلُ عالمٍ ثقةٍ، ولا يُشترَطُ أنْ ينقلَ الأسانيدَ ومَن حدَّثَه، كما هو الحالُ في الجرحِ والتعديلِ، فإنّه مقبولٌ مِن عالمٍ ثقةٍ عارفٍ بأسبابِ الجرحِ والتعديلِ، وهذا ستراهُ في النقلِ عن شيخِه الكتاني.

٤- لم يقلْ أحدٌ بأنّ التسعينَ ألفًا كلَّهم رأَوُا اليدَ الشريفةَ، إنما هذا بيانٌ لكثرةِ الحجاجِ في ذلكَ الموسمِ حينَ ضجَّ الخبرُ في الحرَمِ، ولا شكَّ بأنّ مثلَ هذه الكرامةِ العظيمةِ

تنتشرُ في كلِّ الحرَمِ بسرعةِ البرقِ، وحَقَّ للحرَمِ الشريفِ أنْ يَميدَ بمَنْ فيهِ طرَبًا وتعجُّبًا وفرحًا بمثلِ هذه الكرامةِ العظيمةِ.

٥- التسعونَ ألفًا لم يكونوا كلُّهم فقهاءَ أو أصحابَ روايةٍ ودرايةٍ أو مؤرّخينَ حتى تتوفّرَ الدواعي إلى تدوينِها في الكتبِ، بل أغلبُهُم أمّيّونَ عوامٌّ، وقليلٌ فيهم وفي كلِّ موسمٍ مَن هو صاحبُ مُصنَّفاتٍ، ودليلُهُ قولُ سيّدِنا عليٍّ رضيَ اللهُ عنهُ: (ما أكثرَ الضجيجَ وما أقلَّ الحجيجَ) أيْ ما أقلَّ الذينَ يَصحُّ منهمُ الحجُّ، فكيفَ يُريدُ مِن جمعٍ كهذا أنْ يدوِّنَ هذهِ القصَّةَ في الكتبِ ويبلغَ مبلغَ التواترِ، فهذا من شيخِنا شرطٌ عجيبٌ غريبٌ ومثلُهُ أجلُّ مِن أنْ يسهوَ عنه فافهم رحمَكَ اللهُ.

٦- الأئمةُ كشيخِ الإسلامِ ابنِ حجرٍ أعطَوا مثالاً على وجودِ الحديثِ المتواترِ بكثرةٍ في كتبِ الحديثِ، ولم يقولوا بأنه شرطٌ ولَمْ يشترطوا أنْ يبقى التواترُ في كلِّ طبقةٍ إلى يومِنا هذا، وهذا في الحديثِ الذي عليهِ مدارُ الأحكامِ فما

بالُكَ بأمرٍ تاريخيٍّ محضٍ، وأكبرُ دليلٍ على هذا حديثُ (مَن كذبَ عليَّ متعمِّدًا فليتبوَّأْ مقعدَهُ مِنَ النارِ) وحديثُ مسحِ الخُفَّينِ، فكلاهُما متواترٌ بالشرطِ المعتبرِ ولا تجدُهُ يتواترُ بعدَ تدوينِهِ في الكتبِ، ولم يتواترا بالمشافهةِ بعدَ تدوينِهما في الكتبِ، وإثباتُ مثلِ هذا في غايةِ الصعوبةِ دونَهُ خرطُ القتادِ، وإنْ تواترَ بالمشافهَةِ فهو دليلٌ لنا، لأنَّ إثباتَ هذه الكرامةِ هو الذي عاينَّاهُ بعدَ طوافِنا على المشايخِ الكثيرينَ في بلادٍ مختلفةٍ.

٧- كان على شيخِنا أنْ يتنبَّهَ إلى قراءاتِ القرءانِ العشرِ المتواترةِ، فإنَّها متواترةٌ بنصوصِ الأئمةِ على تواترِها، ولن يستطيعَ أنْ يثبتَ تواترَ قراءةِ عاصمٍ مِن عاصمٍ إلى النبيِّ صلى الله عليه وسلم، فإنِ استطاعَ أنْ يُطَبِّقَ قاعدتَهُ وينفيَ تواترَ القراءاتِ – وهو كفرٌ – بطردِ الأدلةِ التي يردُّ بها كرامةَ السيِّدِ أحمدَ الرفاعيِّ رضي الله عنهُ فنحنُ نسلِّمُ لهُ، وإنْ لم يستَطِعْ ولم يفعلْ حاشاهُ – وهو الحقُّ – فالحقُّ معنا

وقاعدَتُه مردودةٌ وهو الجَليُّ، وقد قال الشهابُ الدِّمياطيُّ في إتحافِ فضلاءِ البشرِ في القراءاتِ الأربعةَ عشر:

فإن قيلَ: الأسانيدُ إلى الأئمةِ وأسانيدُهم إليه على ما في كتبِ القراءاتِ أحادٌ لا تبلغُ عددَ التواترِ، أُجيبَ بأنَّ انحصارَ الأسانيدِ المذكورةِ في طائفةٍ لا يمنعُ مجيءَ القراءاتِ عن غيرِهم وإنَّما نُسبَتِ القراءاتُ إليهم لِتَصَدِّيهم لضبطِ الحروفِ وحفظِ شيوخِهم فيها، ومعَ كلِّ واحدٍ منهم في طبقتِه ما يُبَلِّغُها عددَ التواترِ، ثم إنَّ التواترَ المذكورَ شاملٌ للأصولِ والفَرْشِ(٢)، هذا هو الذي عليه المحققونَ، ومخالَفَةُ ابنِ الحاجبِ في بعضِ ذلك تعَقَّبَها محرِّرُ الفنِّ ابنِ الجزريِّ

(٢) الأصولُ هيَ القواعدُ العامَّةُ التي تُطَبَّقُ حيثُما وقعَتْ في القرءانِ – إلَّا ما استُثْنِيَ – ومِن تلكَ الأصولِ مثلاً قراءةُ الإمامِ أبي جعفرٍ يزيدَ بنِ القعقاعِ بقلبِ الهمزةِ الساكنةِ حرفًا مِن جنسِ حركتِها في نحوِ (الْمُومِنُونَ) أو (كَعَصْفٍ مَاكُولٍ)، فهذا منَ الأصولِ، أما الفَرْشُ فهو تفصيلُ القراءةِ في كلِّ ءايةٍ مِن كلِّ سورةٍ وقعَ الاختلافُ فيها، كقولِهِم: سورةُ الفاتحةِ – (اهْدِنَا الصِّرَاطَ): قرأَ حفصٌ بالصَّادِ، وحمزةُ بالصَّادِ الْمُشَمَّةِ زايًا كما تلفِظُها العوامُّ، وورشٌ بالسينِ الخالصةِ، وهكذا.

وأطالَ في كتابهِ المُنْجدِ بما ينبغي الوقوفُ عليهِ في بابِ أسماءِ الأئمةِ القراءِ الأربعةَ عشرَ ورُوَاتِهم وطُرُقِهم. انتهى

إذَنْ: لو أرادَ شيخُنا أنْ يُطبِّقَ قاعدَتَهُ على هذه القراءاتِ المتواترةِ التي لا يشكُّ في تواترِها إلا مُبتدِعٌ ضالٌّ لأَدَّى ذلكَ إلى نَفْيِ ثبوتِ هذهِ القراءاتِ ثبوتًا قطعيًّا والعياذُ باللهِ تعالى، ولا يقولُ بهِ مسلمٌ.

٨- تناقُضُ شيخِنا نفسهِ مرةً أخرى ففي كتابهِ المفيدِ (إقامةُ البرهان على نزولِ عيسى ءاخرَ الزمان) وهو الكتابُ الذي قلَّ نظيرُهُ يقولُ وهو القولُ الحقُّ: نزولُ عيسى عليهِ السلامُ مِنَ الأحداثِ الواقعةِ في الدنيا قبلَ انقراضِها، فهو خبرٌ كغيرِهِ مِنَ الأخبارِ التاريخيّةِ المتعلّقَةِ بحوادثِ هذا العالَمِ، وما كانَ مِن هذا القبيلِ لا يُشترَطُ فيهِ التواترُ، بل يكفي فيهِ خبرُ الواحدِ العدلِ بإجماعِ المؤرِّخينَ والإخباريِّينَ. انتهى بحروفِهِ

قلتُ: سبحانَ اللهِ العظيمِ، فإنْ كانَ نزولُ سيِّدِنا عيسى وهو أعظمُ بكثيرٍ مِن هذه الكرامةِ وتتعلَّقُ بهِ علاماتُ يومِ القيامةِ، ومع ذلكَ لا يُشترَطُ فيهِ التواترُ، فما الذي جعلَهُ يشترطُ التواترَ هنا، ويكفي في بيانِ خطئِهِ مخالَفَتُهُ الإجماعَ الذي نقلَهُ هو، فالحمدُ للهِ أنّهُ نقضَ كلامَهُ بكلامِ نفسِهِ، وهو خيرُ شاهدٍ على خطئِهِ في (النقدِ المبرَم).

فإن قلتَ: بينهما فرقٌ لأنّ الأولَ إخبارٌ عما كان والثاني إخبارٌ عما سيكونُ.

قلتُ: الإخبارُ عن نزولِ عيسى عليه الصلاة والسلامُ أليسَ الرسولُ صلى الله عليه وسلم قالَهُ، وهذا فيه معجزةٌ لرسولِنا يخبرُ عن أمرٍ غيبيٍّ بقرونٍ، فهل تواترَ إلى الآنَ أم تواترَ في عصرِه فقط ودُوِّنَ في الكتب.

فهل لقائلٍ أنْ ينكرَ هذا التواترَ الآنَ لأنّه لم يبلُغْهُ هذا في هذا العصر، وهل تواترَ عندَ قراءِ القرءانِ أم عند أهلِ الحديثِ دونَ غيرِهم، وشقيقُه السيّدُ عبدُ العزيزِ بنُ الصدِّيقِ وهو شيخي وصاحبُ فضلٍ عليَّ أخبرني أنّ حديث: (إني

لا أصافحُ النساءَ) متواترٌ في كتبِ الحديثِ، ولم يقصِد إلا تواترَه عند أهلِ الحديثِ بمعنى أنه معروفٌ لديهم بكثرةٍ دونَ غيرِهم.

وهذه القصّةُ كما قال إخباريّةٌ محضةٌ لا يتعلّقُ بها أصلٌ من أصولِ الإيمانِ ولا فقهٌ، نعم فيها إثباتُ معجزةٍ للنبيّ صلى الله عليه وسلم فتدخلُ في جنسِ ما تواترَ عنه معنويًّا صلى الله عليه وسلمَ بعدَ انتقالِه إلى الحياةِ البرزَخيّةِ، وليس كلُّ المعجزاتِ تواترَت كما سيأتي، ولو فتحنا هذا البابَ لدخلنا في غياهبِ الضلالِ التي لا يخرجُ منها إلا مَن رحِمَ ربي.

٩- كما تقدَّمَ تمثيلُهُ بسقوطِ الخطيبِ عنِ المنبرِ منقوضٌ لا يصلُحُ دليلاً، لأنّهُ ليسَ مِمّا تتوفّرُ الدواعي إلى نقلِهِ طبقةً بعدَ طبقةٍ أو إلى تدوينِها في الكتبِ، بلِ الذي ذكرَهُ العلماءُ أهلُ الأصولِ مقرونٌ في هذهِ الحالِ بالمشاهَدَةِ، كما لو انفردَ واحدٌ مِن المسجدِ قائلاً: لقد سقطَ الخطيبُ عنِ المنبرِ أو ينفردُ امرُؤٌ بقولِهِ: قُتِلَ أميرُ البلدَةِ في السوقِ، ثم يخرجُ

المصلُّونَ أو يدخلُ الناسُ السوقَ ويجدونَهم يعيشونَ حياتَهم ولا شيءَ يدلُّ مِن قولِهم أو فِعلِهم على حصولِهِ، فمثلُ هذا يُقطَعُ بتكذيبِهِ.

ومِن أينَ لشيخِنا أنْ يقولَ لم يتواترْ بينَ الناسِ في يومِ الحادثةِ أو بعدَها تقبيلُ الإمامِ الرفاعيِّ يدَ النبيِّ صلّى الله عليهِ وسلَّمَ، فلا سبيلَ لهُ عقلاً أو نقلاً إلى تكذيبِ القصّةِ، لأنّ مُستَنَدَهُ منقوضٌ لا يصلُحُ لا طردًا ولا عكسًا.

١٠- إغفالُهُ مَن نصَّ على تواترِ هذِهِ الكرامةِ مِن أكابرِ العلماءِ أهلِ المعرفةِ والتخصُّصِ، مع أنّهُ يكفي فيها النصُّ على تواتُرِها مِن عالمٍ عارفٍ، وهذا هو صنيعُ شيخِهِ الكتّانيّ في (نظمِ المتناثرِ مِن الحديثِ المتواترِ) فإنّه كثيرًا ما يقولُ: نصَّ فلانٌ على تواتُرِها ويكتفي بكلامِهِ، لأنّهُ ثقةٌ مِن أهلِ العلمِ والمعرفةِ بالمتواترِ مِن غيرِهِ.

١١- غابَ عنْ شيخِنا مسئلةٌ قاضيةٌ لنا عليه، وهي تحديدُ مَن هم الذينَ يكذّبونَ القصةَ التي تتوفرُ الدواعي إلى نقلِها ولا ينقُلها إلا ءاحادٌ.

والجوابُ: أنّهُ يُشترطُ في طبقتِها ووقتَها، ألا ترى أنّ الأئمةَ مثّلوا لها بنحوِ سقوطِ الخطيبِ وإخبارِ الواحدِ والاثنينِ مع عدمِ وجودِ صارفٍ للآخرينَ وعدمِ سكوتِهم مع القدرةِ على إنكارِ ما قيلَ.

أمّا أنْ يُنكرَ تواترَها مَن لا يسعُه إثباتُ عدمِ حصولِها ببراهينِ التكذيبِ، فهذا باطلٌ لا سبيلَ إليه، وهنا يَبطُلُ كلامُ شيخِنا.

فائدةٌ: الصوارفُ متعدّدَةٌ، منها كونُه شافعيًّا والآخرُ حنفيٌّ وما شابَه، ومنها كونُه محدّثًا والآخرُ فقيهٌ، أو فقيهًا لا همَّه الأخبارُ وهكذا.

١٢- القولُ الفصلُ بينَنا وبينَه هو بعضُ أوجُهِ التواترِ التي لم يتعرَّضْ لها شيخُنا وهي قاضيةٌ بخطئِه، قال الإمامُ الزركشيُّ في كتابه الجليلِ (البحرُ المحيطُ في أصولِ الفقه) عندَ ذكرِ المتواترِ ما نصُّه:

السابعة: إذا أخبرَ واحدٌ بحضرةِ خلقٍ كثيرٍ، لا يجوزُ عليهم التواطؤُ على الكذبِ ولم يكذّبوه، وعُلِمَ أنه لو كان كذبًا لعلِموه، ولا حاملَ لهم على سكوتِهم كالخوفِ والطمعِ، يدلُّ على صدقِه قطعًا.

قاله القاضي أبو الطيبِ وسُلَيمٌ والشيخُ أبو إسحاقَ والأستاذُ أبو منصورٍ وإمامُ الحرمينِ وابنُ القُشَيْريّ والغزاليُّ وابنُ الصبّاغِ واختاره ابنُ الحاجبِ.

قال الأستاذُ: وبهذا النوعِ أثبَتْنا كثيرًا من معجزاتِ الرسولِ.

قال ابنُ الصباغِ: لكنَّ العلمَ بذلك نظريٌّ، بخلافِ المتواترِ، فإنه ضروري، وقيلَ: ليس صدقُه قطعيًّا، واختارَه الإمامُ الرازيُّ والآمديُّ لجوازِ أنْ يكونَ لهم اطلاعٌ على كذبِه أو صدقِه، أو اطّلَع بعضُهم دونَ بعضٍ، والعادةُ لا تُحيلُ

سكوتَ هذا البعضِ، وبتقديرِ اطّلاعِ الكلِّ يحتملُ أنّ مانعًا منَعَهم من التصرفِ بتكذيبِه، ومع هذه الاحتمالاتِ يمتنعُ القطعُ بتصديقِهِ.

وهذه الاحتمالاتُ ضعيفةٌ، لأنّ المسألةَ مفروضةٌ عند انتفائِها كما نبه عليه ابنُ الحاجبِ وغيرُه ، فحينئذٍ سكوتُهم بمثابةِ قولِهم: صدَقْتَ.

وفصَّلَ القاضي في التقريبِ وابنُ القشيريِّ فقالا: إنْ أخبرَ بأمرٍ ضروريٍّ دلَّ على الصدقِ، وإنْ أخبرَ بأمرٍ نظريٍّ، فسكتوا لم يكن سكوتُهم بمثابةِ تصريحِهم بالحكمِ، لأن المحلَّ محلُّ الاجتهادِ.

وفصَّلَ ابنُ السمعاني بين أن يتمادى على ذلك الزمنُ الطويلُ، ولا يظهَرُ منهم منكِرٌ، فيدلُّ على الصدقِ، وإلاّ فلا.

قال: وألْحَقَ به بعضُهم أن يكونَ الخبرُ مضافًا إلى حالٍ قد شاهَدَها كثيرٌ من الناسِ، ثم يرويه واحدٌ واثنانِ، ويسمَعُ برواياتِه سائرُ من شهدَ الحالَ فلا يُنكرُه، فيدلُّ تركُ

إنكارِهم له على صدقِه، لأنه ليس في جاري العادةِ إمساكُهم جميعًا عن ردِّ الكذبِ وتركِ الإنكارِ، وقال: وعلى هذا وردَتْ أكثرُ سِيَرِ النبيِّ عليه السلامُ، وأكثرُ أحوالِه في مغازِيْه.

قال: وهذا وجهٌ حسنٌ جدًّا.انتهى كلامُ الإمامِ الزركشيِّ بحروفِه، وهو فاصلٌ بينَنا وبينَ شيخِنا، وكلُّ هذا يدلُّ على خطئِه وخروجه عن القواعدِ الأصوليّةِ، والحمدُ لله أوّلاً وءاخرًا، هذا إذا فرَضْنا أنها لم تتواترْ، ورواها الواحدُ والاثنانِ كما مرّ.

فبعدَ ثمانمائةٍ وثمانينَ عامًا والرواياتُ متظافرةٌ وفي زمنِ حصولِها مرويةٌ ولا نسمعُ بعدَ تسلسلِ الأحقابِ وتمادي الزمانِ بعالِمٍ واحدٍ ينفيها، فالذي قاله شيخُنا مبتَدَعٌ بعدَما رأيتَ كلامَ الإمامِ الزركشيِّ.

وهذا يكفي في بيانِ خطئِهِ فيما استدلَّ بهِ مِن أصولِ الفقهِ لتكذيبِ القصةِ وأنّ النسبةَ بينَهُما التباينُ، ولله الحمدُ والمِنّةُ.

تنبيهٌ: إنْ قيلَ: لعلّهُ قصدَ تواتُرَها في زمَنِ حصولِها دونَ التدوينِ في المصنَّفاتِ.

قلتُ: ليس كذلك، لأنّه كما سيأتي اعتمدَ في تكذيبِها أيضًا على ما ظنّهُ اختلافَ الرواةِ لها في الكتبِ، وكنتُ ءامُلُ أنْ يكونَ هذا مرادَهُ وأنْ يكونَ هذا مَخرجًا ووجْهًا وجيهًا لكلامِهِ، لكنّهُ ليسَ كذلكَ وهو واضحٌ.

مسئلةٌ: لو قال إنّها مضطربةٌ اعتمادًا على ما يراهُ من اختلافِ الرواةِ، لكانَ أمرًا يقبلُ الانتصارَ والاعتراضَ أكثرَ، أمّا أن يجزِمَ بكذبِها فهذا ما لا يُوافقُ قواعدَ الشريعةِ.

تنبيهٌ: وفي الكتابِ تعليقٌ وهو استدلالٌ على بطلانِ تقبيلِ اليدِ بأنّ مِن الحجاجِ مَن بقيَ يتكلّمُ بما جرى له في الحجِّ طيلةَ حياتِه.

وهذا استدلالٌ فاسدٌ لأنّه كما قال (طيلة حياتِهم) لا بالنقلِ إلى العصورِ التي بعدَها، وهذا اضطرابٌ واضحٌ يُقصَدُ بهِ الإقدامُ على الطعنِ فحسبُ، فما زلنا ضمنَ مسئلةِ الشيوعِ في ذاتِ الوقتِ.

مناقشَةُ شيخِنا في استدلالِهِ بقصةٍ أولَى بالتكذيبِ على حسبِ ما اشترَطَهُ وهو تناقضٌ صريحٌ

قال شيخُنا ليؤيِّدَ ما قالَهُ بأنّ كرامةَ الإمامِ الرفاعيِّ كذبٌ مختَلَقٌ ما نصُّهُ:

وقد وقع حادثٌ شبيهٌ بهذا، تحدّثَ عنه مَن شهِدَه، قال تقيُّ الدينِ المَقْرِيزيُّ في كتابِ (إغاثةِ الأمّةِ بكشْفِ الغُمّةِ) ما نصه:

حكاية الثور الذي نطق

وقع في ءاخر هذا الغلاءِ أعجوبةٌ في غايةِ الغرابةِ، لم يُسمَعْ بمثلِها وهي أنّ رجلاً مِن أهلِ الفَلْحِ بجبّةِ عالٍ إحدى قرى دمشقَ خرج بثورٍ له ليَرِدَ الماءَ فإذا عدّةٌ مِنَ الفلاّحينَ قد ورِدُوا الماءَ فأوردَ الثورَ حتّى إذا اكتفَى نطقَ بلسانٍ فصيحٍ أسمَعَ مَن بالموردِ وقالَ: الحمدُ للهِ والشكرُ لهُ، إنّ اللهَ وعدَ هذه الأمةَ سبعَ سنينَ مُجدِبَةٍ فشفع لهمُ النبيُّ صلّى اللهُ عليه وسلّمَ، وأنّ الرسولَ أمرَهُ أنْ يُبَلِّغَ ذلكَ وأنهُ قالَ: يا رسولَ اللهِ ما علامَةُ صدقي عندهم، قالَ: أنْ تموتَ بعدَ تبليغِ

الرسالةِ، وأنه بعدَ فراغِ كلامِه، صَعِدَ إلى مكانٍ مرتفعٍ وسقطَ منه وماتَ، فتسامعَ به أهلُ القريةِ وجاءُوا مِن كلِّ حَدْبٍ يَنْسِلُونَ فأخذُوا شعَرَهُ وعظامَهُ للتّبرُّكِ فكانُوا إذا بَخّرُوا به مَوعُوكًا بَرِئَ، وعُمِلَ بذلك محضَرٌ مثبوتٌ على قاضِي البلدِ وحُمِلَ إلى السلطانِ بمصرَ، فوقفَ عليهِ الأمراءُ واشتهرَ بينَ الناسِ خبرُهُ وشاعَ ذِكْرُهُ ا.هـ. وذكر هذا الحادثَ – المقريزيُّ – أيضًا في كتابِ (السلوكِ لمعرفةِ دولِ الملوكِ).

هذا حادثٌ وقعَ في قريةٍ مِن ريفِ دمشقَ، حضرَهُ عِدَّةٌ مِنَ الفلاحينَ لا يتجاوزونَ مائةً، ومعَ ذلكَ عُمِلَ به محضرٌ عندَ القاضي، وحُمِلَ إلى السلطانِ بمصرَ، وسجَّلَه المؤرّخُ المقريزيُّ في كتابينِ مِن كُتبِهِ. فكيفَ لم يُسَجَّلْ حادثُ الشيخِ الرفاعيِّ وهو أغربُ مِن هذا الحادثِ وأعجبُ، وأرفعُ منه وأشرفُ، ويُضافُ إلى ذلكَ أنه وقعَ في المدينةِ المنورةِ، قُبّةِ الإسلامِ وفي مسجدِها النبويِّ ثاني الحَرَمَينِ أمامَ

عدّةِ ءالافٍ مِنَ المسلمينَ حضرُوا مِن مختلِفِ بقاعِ الأرضِ.انتهى كلامُه

قلتُ: ثمّ ماذا، مدارُها على رجلٍ واحدٍ ولا إسنادَ لها، وليتَ شِعري أينَ السبيلُ إلى إثباتِها وأنّها حصلَتْ حقًّا. المقريزيُّ وغيرُه لا يكفُونَ حُجّةً على حصولِها بلا إسنادٍ واحدٍ، فعُدْنا إلى التناقضِ، وكلامُهُ هنا ليس جيّدًا ولا يليقُ صدورُهُ مِن أصوليٍّ متمكّنٍ، وهذا بيانُ ردِّ العبدِ الفقيرِ على كلامِهِ بعدَ ذكرِ كلامِهِ المارِّ ونقضِهِ عُروَةً عروةً:

قولُهُ: هذا حادثٌ وقعَ في قريةٍ مِن ريفِ دمشقَ، حضرَهُ عِدَّةٌ مِنَ الفلاحينَ لا يتجاوزونَ مائةً، ومعَ ذلكَ عُمِلَ به محضرٌ عند القاضي، وحُمِلَ إلى السلطانِ بمصرَ، وسجَّلَه المؤرّخُ المقريزيُّ في كتابينِ مِن كُتبِهِ.

قلتُ: هذا كلامٌ غريبٌ، وهو يُثبتُ معجزةً للنبيِّ صلى الله عليه وسلم، وهل سُجّلَ قديمًا محضرٌ عندَ القاضي عن

معجزة كذا وكرامةِ كذا، فهذا الكلامُ تقويةٌ بزخرفةِ القولِ بما ليس يصلُحُ، وتقويةٌ للأصلِ أجنبيٍّ عنه لا يمتُّ له بصِلَةٍ.

قولُهُ: فكيفَ لم يُسَجَّلْ حادثُ الشيخِ الرفاعيِّ.

قلتُ: بلْ سُجِّلَ وبكثرةٍ كما ستراهُ، والقاعدةُ تقولُ: (عدمُ الوِجْدانِ لا يستلزِمُ عدمَ الوُجُودِ)، فليس معنى أنّه لم يَجِدِ النصوصَ أنّها ليستْ موجودَةً.

وقد قالَ ابنُ قاضي شُهبةَ في طبقاتِ الشافعيةِ في ترجمةِ السيِّدِ الرفاعيِّ ما نصُّه: وقد صنَّفَ الناسُ في مناقبِ الشيخِ أحمدَ رحمه اللهُ تعالى **وأفرَدُوا ترجمتَه وذكروا مِن كراماتِه** ومَقَاماتِه أشياءَ حسنةً.انتهى

ألا يرى المنصِفُ أنّ هذا فيه ردٌّ على شيخِنا، فالعلماءُ صنَّفُوا في سيرتِه وكراماتِه، وهو يقولُ ما ذكرَها أحدٌ.

وهذا مِن شيخِنا عودةٌ إلى الشرطِ المخترَعِ، فإنّهُ يَشترطُ تسجيلَ كرامةِ الإمامِ الرفاعيِّ، وهذا لا علاقةَ لهُ بالتواترِ، ويُمعِنُ في التناقضِ هنا ويذكرُ قصّةً لا دليلَ عليها سوى أنّ

المقريزيَّ ذكرَها، مع أنّه شهدَ بأنّها تشبهُ كرامةَ الإمامِ أحمدَ الرفاعيِّ في الغرابةِ، أَفَلَم يكنْ مِن حقِّها أنْ تكثرَ النقولُ على إثباتِها، فكيفَ رضيَ بالاحتجاجِ بتفرُّدِ واحدٍ فيها، بلا إسنادٍ، فيا سبحانَ اللهِ، عجبًا.

قولُهُ: ويُضافُ إلى ذلكَ أنه وقعَ في المدينةِ المنورةِ، قُبّةِ الإسلامِ وفي مسجدِها النبويِّ ثاني الحَرَمَينِ أمامَ عدّةِ ءالافٍ مِنَ المسلمينَ حضرُوا مِن مختلِفِ بقاعِ الأرضِ.

قلتُ: هذا القيدُ ليس شرطًا للتواترِ ولا ينفعُ في أصلِهِ شيئًا، إنما هي قرينةٌ قد يعتبرُها بعضُ العلماءِ تساعدُ بعضَ الشيءِ، ولا علاقةَ لها بشروطِ التواترِ المقرَّرةِ عندَ العلماءِ.

وهذا مِن شيخِنا عودةٌ إلى ادِّعاءِ نفيٍ بما لا يستطيعُ إثباتَهُ بوجهٍ، إذْ لا سبيلَ لهُ على إثباتِ نفيِهِ إلا كونُه في عصرِ الكرامةِ نفسِها سمِعَ واحدٌ أو ءاحادًا لا يُفيدونَ التواترَ مع اقتضاءِ انتشارِها بهذه الكثرةِ، أمّا بعدَ نحوِ تسعمِائةِ سنةٍ فهيهاتَ هيهاتَ، وهذا حقًّا عجيبٌ مِن شيخِنا كيفَ غابَ

عنهُ هذا وصارَ يحكمُ عليها كأنّها حاصلةٌ عندَهُ بالمعاصرةِ، وإنْ غضَّ الطرْفَ عنِ المعاصرةِ عمَدَ إلى اشتراطِ تدوينِها، فلَمْ يُصِبْ في ذَينِ الشرطَينِ ولنْ تجدَ أحدًا ذكرَهُما، وهذا مَثارُ الغَلَطِ عندَ شيخِنا والكمالُ للهِ تعالى وحدَهُ سبحانَهُ.

فائدةٌ: هذه القصّةُ ذكرَها ابنُ الجزريّ في تاريخِه ج١ص٢٨٠ وقال: **(واللهُ أعلمُ بحقيقةِ الحالِ).**

وهذا يُثبتُ صوابَ ما قلتُه لك، وأنَّ تمثيلَ شيخِنا منقوضٌ.

(مثالٌ ينقُضُ كلامَ شيخِنا وأنَّ شرطَه مخترَعٌ)

أهلُ العلمِ كلُّهم، لا يجهَلُ أحدُهم كرامةَ سيّدي ومولايَ الفاروقِ عمرَ بنِ الخطابِ رضي الله عنه عندَما قال وهو يخطُبُ على المنبرِ مناديًا قائدَ جيشِ المسلمينَ ساريةَ في نهاوندَ ببلادِ فارسَ: (يا ساريةُ الجبلَ الجبلَ) أيْ عليكَ بالجبلِ فصعِدوا وجعلوا ظهورَهم تجاهَ الجبلِ، ورزقَ اللهُ المسلمينَ النصرَ، ثم جاءَ البشيرُ وقالَ أنّهم كادوا ينهزمونَ لولا أنّهم سمعوا صوتَ عمرَ رضي الله عنه.

قلتُ: هذه الروايةُ تُعَدُّ مِن الآحادِ والمسلمونَ ءاخذونَ بها، بل مدافعونَ عنها، وقد ألّفَ الحافظُ القطبُ الحلبيُّ جزءًا في ثبوتِها، وقد ذكرتُ الكلامَ عليها في تحقيقي على الأضواءِ البهجة بإبرازِ دقائقِ القصيدةِ المنفرجة لشيخِ الإسلامِ زكريا الأنصاريّ، وفيها يقولُ صاحبُ القصيدةِ المنفرجةِ متوسّلًا بسيّدي الفاروق:

وَأَبي حَفْصٍ وَكَرَامَتِهِ   فِي قِصَّةِ سارِيَةَ الْخُلُجِ

وفي المقاصدِ الحسنةِ للحافظِ السخاويّ:

(ابن الأعرابيّ في كراماتِ الأولياءِ من طريقِ ابنِ وهْبٍ عن يحيى بنِ أيوبَ عن ابنِ عجلانَ عن نافعٍ عنِ ابنِ عمرَ قال: وجَّهَ عمرُ جيشًا وولّى عليهم رجلا يدعى ساريةُ، فبينَما عمرُ يخطُبُ جعل ينادي: (يا ساريةُ الجبلَ) ثلاثًا ثم قدِمَ رسولُ الجيشِ فسأله عمرُ، فقال: يا أميرَ المؤمنينَ هُزِمْنا فبينَما نحنُ كذلكَ إذ **سمِعْنا صوتًا ينادي:** يا ساريةُ الجبلَ ثلاثًا فأسندْنا ظهورَنا إلى الجبلِ فهزَمَهم اللهُ، قالَ: فقيل لعمرَ: إنّك كنتَ تصيحُ هكذا وهكذا) ذكرَه حرملةُ في

جَمْعِه لحديثِ ابنِ وهبٍ وهو كما قال شيخُنا إسنادٌ حسنٌ.انتهى

قلتُ: أليسَ حقُّها على شرطِ شيخِنا التواترَ وهم جيشٌ كبيرٌ ألوفٌ، فأينَ مَن كذَّبها بسببِ عدمِ تواتُرِها المشترَطِ عندَ شيخِنا، وأينَ توفُّرُ الدواعي على نقلِها عصرًا بعدَ عصرٍ أو اشتراطِ تدوينِها في الكتبِ كثرةً، وليس فيها إثباتُ حكمٍ شرعيٍّ أو نسخُ ءاخَرَ ولا فيه ما تعُمُّ بهِ البلوَى.

هذا ما قال بهِ أحدٌ مِن أهلِ العلمِ، وإنْ كانَ كما اشترطَهُ شيخُنا فإنَّ جملةً كبيرةً مردودةٌ مِن كراماتِ الصحابةِ والتابعينَ فمَن بعدَهم مِمَّن خُرِقَت له العادةُ، وخرقُ العادةِ أمرٌ عظيمٌ لا بُدَّ مِن كلامِ الناسِ فيهِ، لكنْ يتكلّمونَ فيه في طبقتِهم، ولا يُشترَطُ تناقلُها أو تدوينُها، بل هذه بدعةٌ في الدينِ، فهل سيُكذِّبُها شيخُنا ويقولُ بأنَّ واضِعَها يتحمَّلُ وزرَها يومَ القيامةِ كما قال في قصةِ تقبيلِ اليدِ، سبحانَ الله.

مثالٌ ءاخَرُ: قال الذهبيُّ في تاريخِه عن النارِ العظيمةِ سنة ٦٥٤ ما مختصرُه: ظهرَ في شرقيِّ المدينةِ نارٌ عظيمةٌ بينَها وبينَ المدينةِ نصفُ يومٍ انفجرت من الأرضِ، وسال منها وادٍ من نارٍ حتى حاذت جبلَ أُحُدٍ، ثم وقفت. ولا ندري ماذا نفعل، ووقتَ ظهورِها دخلَ أهلُ المدينةِ إلى نبيِّهم صلى الله عليه وسلم مستغفرينَ تائبينَ إلى ربِّهم.

ومن كتاب قاضي المدينة سنان الحسيني يقول في التاريخ: لقد والله زُلزِلَت مرةً ونحن حولَ الحجرةِ النبويةِ، فاضطَّرَبَ لها المنبرُ والقناديلُ، ثم طلع في رأس أخيلين[٤] نارٌ عظيمةٌ مثلَ المدينةِ المعظمةِ، وما بانت لنا إلا ليلةَ السبتِ وأشفقنا منها، وطلعتُ إلى الأميرِ وكلمته وقلتُ: قد أحاط بنا العذابُ، ارجع إلى الله، فأعتَقَ كلَّ مماليكه وردَّ على جماعةٍ أموالَهم، فلما فعل ذلك قلتُ: اهبط معنا إلى النبيِّ صلى الله عليه وسلم، فهبط وبتْنا ليلةَ السبتِ، الناسُ جميعُهم والنسوانُ

---

(٤) تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام ١-١٤٢ لابن الضياء الحنفي: واد يقال له: أخيلين، بينه وبين المدينة نصف يوم.

وأولادهنّ، وما بقي أحدٌ لا في النخلِ ولا في المدينةِ إلا عندَ النبيِّ صلى الله عليه وسلم، وأشفقنا منها، وظهر ضوؤها إلى أن أُبصِرَت من مكةَ، ومن الفلاةِ جميعِها. ثم سال منها نهرٌ من نار، وأخذ في وادي أحيلين وسدَّ الطريقَ، ثم طلع إلى بحرةِ الحاجِّ، وهو بحرُ نارٍ يجري وفوقه حرة تسير إلى أن قطعت وادي الشظاه، وما عاد يجيء في الوادي سيل قط لأنها حرة، تجيء قامتين وثلاث علوها. والله يا أخي إن عيشتنا اليوم مكدرة، والمدينة قد تاب أهلُها ولا بقي يسمع فيها رباب ولا دف ولا شرب، وتمت النار تسير إلى أن سدت بعض طريق الحاج، وكان في الوادي إلينا منها قتير، وخفنا أن تجيئنا، واجتمع الناس وباتوا عند النبي صلى الله عليه وسلم وقد طفئ قتيرها الذي يلينا بقدرة الله عز وجل، وإلى الساعة ما نقصت بل ترمي مثل الجبال حجارة من نار ولها دوي، ما تدعنا نرقد ولا نأكل ولا نشرب، وما أقدر أصف لك عظمها ولا ما فيها من الأهوال.

قلت: أمرُ هذهِ النارِ متواترٌ، وهي مما أخبر به المصطفى صلى الله عليه وسلم حيث يقول: (لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضيء لها أعناق الإبل ببُصْرى). وقد حكى غير واحد ممن كان ببُصرى في الليل ورأى أعناق الإبل في ضوئها.انتهى كلامُ الذهبي

قلتُ: سبحان الله، فها هي عند حرمِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم ومتواترةٌ والعجيبُ أنّها كانت نارًا لا حرَّ لها، فهي أَوْلَى أن ينتشرَ خبرُها في الآفاقِ، وفيها معجزةٌ للنبيِّ صلى الله عليه وسلم، ولم يبادرْ أحدٌ إلى تكذيبها مِن أهلِ الطبقةِ التي تلَتْها، وهذا الذهبي حافظٌ ولم يغِبْ عنه ما ادّعيتَه، فهلاَّ جهَّلتَهُ أيضًا واعتبرتَها مكذوبةً.

والعجيبُ أنّ هذه النارَ العظيمةَ شرطُها كشرطِ كرامةِ السيِّدِ أحمدَ بل أعظمُ بكثيرٍ لأنّها بقيَت شهرا ورَءَاها مئاتُ ألوفِ الحجاجِ بالضرورةِ حتى أضاءت بُصرَى فاقتضى ذلك أن يتناقلَها أكثرُ مِن ألفِ ألفٍ ولا تكادُ تجدُها إلا في كتابينِ أو ثلاثةٍ، أمّا أن يدَّعيَ شيخُنا أنها لم تتواترْ في ذلك

العصرِ فهذا ما لا يُقبَلُ ولا سبيلَ إلى إنكارِه أصلاً بعد هذه القرونِ.

مثالٌ ءاخَرُ: جاء في تاريخِ الذهبيِّ ما يلي:

(سنة تسع وتسعين وخمسمائة) أنبأنا ابن البُزوري قال: في سَلْخِ المحَرَّمِ ماجت النجومُ وتطايرَتْ كتطايُرِ الجَرَادِ، ودام ذلك إلى الفجر، وانزعج الخلق، وخافوا وضجُّوا بالدعاءِ إلى الله تعالى، ولم يعهد ذلك إلا عند ظهورِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم.انتهى

وقال ابنُ الجزريِّ في تاريخِه وهو مأخوذٌ مِن تاريخِ الذهبيِّ وهو مخطوطٌ غيرُ تاريخِه الشمسِ الجزري في نفسِ الحوادِث هذه السنةِ ما نصُّه وبحروفِه: وَرَّخَ ذلك النسّابَةُ وسبطُ ابنِ الجوزيِّ وغيرُ واحدٍ، فأنبَأَنا الثقاتُ عن محفوظِ بنِ البُزُوريِّ في تاريخِه قال: في سلخِ المحرَّمِ ماجَتِ النجومُ وتطايَرَتْ كتطايُرِ الجرادِ .... إلى ءاخرِ القصةِ.

قلتُ: أنْ تسقطَ نجومُ السماءِ أمرٌ مِن أعجبِ العجَبِ لا يكادُ يُصدِّقُه السامعِ مِن غرابَتِه، فأينَ هي نصوصُ العلماءِ والأئمةِ على تواتُرِها، وأنتَ كما ترى لم يُكَذِّبْها أحدٌ.

فظهر أنّ شيخَنا ألزَمَ غيرَه والتزمَ شروطًا لا يعرفُها أهلُ العلمِ لينكرَ هذه الكرامةَ العظيمةَ والحمدُ للهِ لم يُصِبْ لأنّ العلمَ أدلّتُه وقواعدُه واضحةٌ وصريحةٌ.

فصلٌ في القولِ بتواترِ المعجزاتِ

قال الكتانيُّ في نظمِ المتناثرِ ما نصُّه:

(قصة نبع الماء من أصابعه)

قصةُ نبعِ الماءِ مِن أصابِعِه صلى الله عليه وسلم، نقلَ الشهابُ في شرحِ الشفا عن النوويِّ - يعني في شرح مسلم - أنها متواترةٌ، وقال القرطبيُّ: تكرَّرَت منه صلى الله عليه وسلم في عدةِ مواطنَ في مشاهدَ عظيمةٍ ووردَت مِن طرقٍ كثيرةٍ **يفيدُ مجموعُها** العلمَ القطعيَّ المستفادَ مِن التواترِ

المعنويّ، وقال عياضٌ في الشفا: قصةُ نبعِ الماءِ وتكثيرِ الطعامِ رواها الثقاتُ والعددُ الكثيرُ عنِ الجمِّ الغفيرِ عن العددِ الكثيرِ مِن الصحابةِ، ومنها ما رواه الكافّةُ عن الكافّةِ متصلاً عمَّن حدَّثَ بها مِن جملةِ الصحابةِ، وإخبارُهُم أنَّ ذلك كان في مواطنِ اجتماعِ الكثيرِ منهم يومَ الخندقِ وفي غزوةِ بُواطٍ وعمرةِ الحديبيةِ وغزوةِ تبوكَ وأمثالِها من محافلِ المسلمينَ ومجتمعِ العساكرِ ولم يُؤثَرْ عن أحدٍ من الصحابةِ مخالفةٌ للراوي فيما حكاه ولا إنكارُه لما ذُكِرَ عنهم أنهم رأَوْه كما رءاه، إلى أن قال: فهذا النوعُ كلُّه ملحَقٌ بالقطعيّ مِن معجزاتِه كما بيَّـنّاه.اهـــ، وراجعِ المواهبَ وشرحَها.

(تكثيرُ القليلِ ببركتِه) صلى الله عليه وسلم، ذكر الأُبّيُّ في كتابِ الصلاةِ من شرحِ مسلمٍ قبيلَ شرحِ حديثِ مَن نامَ عن صلاةٍ أو نَسيَها أنها متواترةٌ.

(تكثيرُ الطعامِ ببركتِه) وردَت مِن روايةِ جماعةٍ من الصحابةِ حتى قال بعضُهم إنها متواترةٌ تواترًا معنويًا، وأشار لتواترِها أيضًا عياضٌ فيما تقدَّمَ قريبًا عنه، بل أشار إلى أنَّ القصصَ

المشهورةَ عنه صلى الله عليه وسلم في هذا المعنى كلها معلومةٌ على القطعِ، ثم قال بعدَ كلامٍ في الاستدلال على ذلك وهذا حقٌّ لا غطاءَ عليه، وقد قالَ به مِن أئمتِنا القاضي أي أبو بكرٍ الباقلانيُّ والأستاذُ أبو بكرٍ أي ابنُ فُورَكَ وغيرُهما، وما عندي أوجبَ قولَ القائلِ: إن هذه القصصَ المشهورةَ مِن بابِ خبرِ الواحدِ إلا قلّةُ مطالعتِه للأخبارِ وروايَتِها وشغلُه بغيرِ ذلك مِن المعارفِ، وإلاّ فمَن اعتنى بطرقِ النقلِ وطالَع الأحاديثَ والسِّيَرَ لم يَرْتَبْ في صحةِ هذه القصصِ المشهورةِ على الوجهِ الذي ذكرناه.اهـــ.

وقال أيضًا في فصلِ تكثيرِ الطعامِ ببركتِه ودعائِه بعدَما أَوردَ فيه أحاديثَ وقضايا: وقد اجتمعَ على معنى هذا الفصلِ بضعةُ عشرَ مِن الصحابةِ ورواه عنهم أضعافُهم مِن التابعينَ ثمَّ مَن لا يُعَدُّ بعدَهم، وأكثرُها في قصصٍ مشهورةٍ ومجامعَ مشهودةٍ لا يمكنُ التحدُّثُ عنها إلا بالحقّ ولا يَسكتُ الحاضرُ لها على ما أنكرَه.اهـــ.انتهى كلامُ الكتانيّ.

قلتُ: سيأتي مزيدُ تفصيلٍ، وعبارةُ القاضي في الشفا:
والقسم الثاني: ما لم يبلغ مبلغَ الضرورةِ والقطعِ وهو على نوعين: نوعٌ مشتهرٌ منتشرٌ رواه العدَدُ وشاع الخبرُ به عند المحدِّثين والرواةِ ونقلةِ أهلِ السِّيَرِ والأخبارِ، كنبعِ الماءِ مِن بينِ الأصابعِ وتكثيرِ الطعامِ.انتهى

وأنتَ ترى أنّ المعجزاتِ ما تواترَت كلُّها تواترًا لفظيًّا، وأنّ نبعَ الماءِ مِن بينِ أصابعِه صلى الله عليه وسلّم لم يَرِدْ عندَنا بكثرةِ التواترِ، إنّما التواترُ حاصلٌ بمجموعِ الوقائعِ في زيادةِ الماءِ ببركَتِه صلى الله عليه وسلم.

أمّا مقصودُنا فإنك إذا نظرتَ إلى معجزةِ نبعِ الماءِ يومَ الحُدَيبِيَةِ مِن بينِ أصابعِه - والإعجازُ فيها مختلِفٌ - لأنّه نابعٌ مِن بينِ الأصابعِ فهما معجزتانِ لا واحدةٌ، فما هو العددُ الذي رواها وكم كانَ عددُهم.

رواهُ البخاريُّ عن جابرٍ وقال: (لو كنا مائةَ ألفٍ لَكَفَانا، كنّا خمسَ عشرةَ مائةً)، ورواها ءاحادٌ غيرُه.

أي كنّا ألفًا وخمسَمائةٍ فكم واحدًا رواها مِن الصحابة.

وقد توفَّرَت الدواعي إلى نقلِها في هذا المشهَدِ العظيمِ والعددِ الجمّ.

فهذه المعجزةُ على قاعدةِ شيخِنا باطلةٌ، لأنّ الدواعيَ توفَّرَت إلى نقلِها بكثرةٍ ولم تُدوَّن في الكتبِ تدوينَ تواترٍ ولا بلغَتْنا بلوغَ تواترٍ، فلا حولَ ولا قوةَ إلا بالله، وأنا أبرأُ إلى الله مِن هذا الكلامِ، ويكفي أنّها تواترَت بينَ الصحابةِ، فلا تغترَّ بكلامِ شيخِنا على هذا النحوِ فكلامُه غيرُ صحيحٍ، وما هو إلاّ وهمٌ حصلَ له لا يضرُّ بجلالةِ مرتبتِه.

ذِكْرُ بعضِ مَن ذكَرَ أو نصَّ على تواتُرِ كرامةِ الإمامِ أحمدَ الرفاعيّ

هذا الفصلُ فيهِ إثباتُ قِلَّةِ اطِّلاعِ أو عدمِ كفايةِ اطلاعِ شيخِنا على مَن روى أو نصَّ على تواترِ هذه الكرامةِ العظيمةِ وهم كثيرونَ منهمُ الإمامُ الرافعيُّ شيخُ المذهبِ الشافعيّ ومُحَرِّرُهُ وهو أشهرُ مِن نارٍ على علَمٍ وقد كانَ فقيهًا جليلَ القدرِ جدًّا حافظًا للحديثِ ثقةً عدْلاً تقيًّا نقيًّا صالحًا أَنْعِم بهِ إمامًا وقُدوَةً وحُجَّةً.

تنبيهٌ: طعنَ بعضُ الطاعنينَ بنسبةِ هذه الكتبِ إلى مؤلِّفيها، وهذا باطلٌ غيرُ صحيحٍ، ومَن أرادَ التأكُّدَ فليرجعْ إلى كتاب (جناية الشايع) للسيّدِ السامرّائي، وبقيَ أشياءُ سأستدركُها في ءاخرِ هذا الكتابِ إن شاء اللهُ، فالكتبُ صحيحةُ النسبةِ إلى مؤلِّفيها، ولا عبرةَ بمَن شكَّكَ بغيرِ حجةٍ ولم يأتِ ببرهانٍ شرعيٍّ واحدٍ، وأبو الهدى الصيادي رضي الله عنه قد شهدَ له أهلُ عصرِه برسوخِ قدمِه في التواريخِ المتقدمةِ والمتأخرةِ.

وصنَّفَ في هذهِ الكرامةِ كتابَ (سَوَادِ الْعَيْنَينِ في مَنَاقِبِ الغَوْثِ أبي الْعَلَمَينِ) رضي الله عنه وقال فيها:

قال لي شيخُنا سَنَدُ المُحَدِّثِينَ ابنُ عبدِ السميعِ الهاشميُّ الواسِطِيُّ(٥) ببغدادَ وقد جرى ذِكْرُ السيِّدِ أحمدَ بنِ الرفاعيّ: كنتُ معَ الزوَّارِ في الحرمِ النبويّ عامَ حَجّهِ الذي مُدَّتْ لهُ فيهِ يدُ النبيّ صلّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ وشاهدتُ اليدَ النبويَّةَ ببركتِهِ رضي الله عنهُ، وكانَ فيمَنْ حضرَ الشيخُ عليٌّ الهِيتِيُّ الذي هو الآنَ بينَ أظهُرِنا، والشيخُ عَدِيُّ بنُ مسافرٍ،

---

(٥) قال الذهبيُّ في سِيَرِ أعلامِ النُّبلاءِ: ابنُ عبدِ السميعِ الإمامُ العدلُ المأمونُ المقرئُ المجوِّدُ المحدِّثُ شيخُ واسطَ أبو طالبٍ عبدُ الرحمنِ بنُ محمدِ ابنِ عبدِ السميعِ بْنِ أبي تمامٍ عبدِ اللهِ بنِ عبدِ السميعِ القرشيُّ الهاشميُّ الواسطيُّ المعدَّلُ، ولد سنة ثمانٍ وثلاثينَ (٥٣٨)، وتلا على أبي السعاداتِ أحمدَ بنِ عليّ، وأبي حميدٍ عبدِ العزيزِ بنِ عليٍّ السُّمَاتِيّ، وسمع من جدِّهِ، ومِن محمدِ بنِ محمدِ بنِ أبي زَنْبَقَةَ، وخلقٍ بواسِطَ، وهبةِ اللهِ بنِ أحمدَ الشبليّ، وابنِ البَطِّيّ وابنِ تاجِ القرَّاءِ والشيخ عبدِ القادرِ وعِدَّةٍ.
وكتبَ وجمعَ وصنَّفَ وروى الكثيرَ، وكان صدرًا نبيلاً عالِمًا ثقةً حسنَ النقلِ. انتهى

والشيخُ عبدُ القادرِ الجيلِيُّ، والشيخُ الزعفرانيُّ، والشيخُ عزازٌ وغيرُ رجلٍ.

وأخبرني شيخُنا الإمامُ الحُجَّةُ القُدوَةُ أبو الفرجِ عمرُ الفارُوثيُّ الواسِطِيُّ قال: حجَّ سيِّدُنا وشيخُنا السيِّدُ أحمدُ الرفاعيُّ عامَ خمسٍ وخمسينَ وخمسمِائةٍ فلمّا وصلَ المدينةَ وتشرَّفَ بزيارةِ جدِّهِ عليهِ الصلاةُ والسلامُ وقفَ تُجاهَ حُجْرةِ النبيِّ صلّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ووقفْنا خلفَ ظهرِهِ فقال: السلامُ عليكَ يا جَدِّي، فقالَ لهُ عليهِ أفضلُ صلواتِ اللهِ: وعليكَ السلامُ يا ولدي، فتَواجَدَ لهذِهِ النَّغمةِ وقالَ مُنشِدًا:

في حالةِ البُعْدِ رُوحِي كنْتُ أُرسِلُها
تُقَبِّلُ الأرضَ عنِّي وهْيَ نائِبَتِي
وهذِهِ دَولَةُ الأشباحِ قَدْ حَضَرَتْ
فامْدُدْ يَمِينَكَ كَيْ تَحظَى بِهَا شَفَتِي

فمَدَّ لهُ رسولُ اللهِ صلّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يدَهُ الشريفةَ مِن قبرِهِ الكريمِ فقبَّلَها في مَلإٍ يقرُبُ مِن تِسعينَ ألفَ رجلٍ والنَّاسُ

ينظرُونَ يدَ النبيِّ صلّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ويسمعونَ كلامَهُ، وكانَ فيمَنْ حضَرَ الشيخُ حياةُ بنُ قيسٍ الحرَّانيُّ، والشيخُ عبدُ القادِرِ الجيلِيُّ، والشيخُ عَدِيُّ الشاميُّ وشاهَدُوا ذلكَ هُم وغيرُهُم. انتهى كلامُ الإمامِ الرافعيِّ رضيَ اللهُ عنهُ

قلتُ: لو رأى شيخُنا كلامَ الإمامِ الكبيرِ العظيمِ الرافعيِّ الحُجَّةِ الثقةِ الصالحِ لخجلَ مِن قولِهِ: ونجزمُ بأنَّ مُفتَعِلَها تحمَّلَ وِزْرًا كبيرًا يتبوَّأُ به مقعدًا في نارِ جهنمَ. انتهى

فإنَّ الإمامَ الرافعيَّ فمَنْ فوقَهُ مِمَّن رأى هذه الكرامةَ مشهورٌ بالولايةِ والعلمِ والأمانةِ والتقوى والعدالةِ ومَن كانَ كذلكَ لا يُقبَلُ فيهِ طعنُ شيخِنا وكلٌّ واحدٍ منهم أعلى منزلةً وأجلُّ قدرًا من شيخِنا، بل كلامُه فيهم مردودٌ، ولا نُحابي في دينِ اللهِ أحدًا وإنْ قَلانا كلُّ قالٍ.

وقال الإمامُ الحوتُ في أسنى المطالبِ في الصفحةِ الأخيرةِ:

فمَثَلَت له اليدُ الشريفةُ وقبَّلَها، والخبرُ المذكورُ مشهورٌ مِن قِبَلِ الإمامِ المذكورِ. انتهى بحروفه، وسيأتي في موضعٍ ءاخَرَ.

وقال العلاّمةُ محمدُ بنُ عبدِ الواحدِ الكبيرُ الكتّانيُّ الحسينيُّ في خبيئةِ الأكوانِ ص١٥٧ ما نصُّه:

مع أنّ هذا الخطابَ مِن القبرِ الجليلِ **لَمْ يُنقَلْ نقلاً شائعًا أنّهُ واقعٌ إلاّ لأفرادٍ قلائلَ**، فهذا أبو العباسِ سيّدي أحمدُ الرفاعيُّ وقفَ تجاهَ القبرِ المعظَّمِ ومعه الآلافُ مِن الناسِ وأنشدَ:

في حالةِ البُعدِ روحي كنتُ أُرسِلُها
تُقبّـــلُ الأرضَ عني وهي نائبتي
وهذه نَوبَةُ الأشباحِ قد حضرَتْ
فامدُدْ يمينَكَ كي تحظَى بها شفتي

فخرجت له اليدُ الشريفةُ مِن القبرِ فقبَّلَها والآلافُ مِن الناسِ تنظرُ.انتهى بحروفِه

قلتُ: فهذا نصٌّ مِمَّن لا يخفى حالُهم عندَ شيخِنا، وهم الشهرةُ الكبرى في بلادِ المغربِ العربيِّ في الإسنادِ والفقهِ المالكيِّ والأصولِ وهم مِن مشايخِ الغُماريين.

فما معنى هذا الشيوعِ بينَ المسلمينَ الذي يتكلَّمُ عنه، والشهرةِ التي يتكلمُ عنها الإمامُ العلاّمةُ الحوت.

تنبيهٌ: أهلُ الحديثِ إذا قالوا عن حديثٍ (هذا حديثٌ مشهورٌ) فالمقصودُ به الشهرةُ العلميةُ لا الشهرةُ على ألسنةِ العوامِّ كالتي أُلِّفَت في بيانِها كتبُ القوم، فتنبَّه.

وهذا يُمكِنُ أنْ يقالَ بإفادتِه العلمَ النظريَّ على قواعدِ المصطلَحِ فإنّه خبرٌ احتفت به القرائنُ كجلالةِ الرواةِ، وقد قال شيخُ الإسلامِ الحافظُ ابنُ حجرٍ في شرحِ النخبةِ: ومنها (المسلسلُ) بالأئمةِ الحفاظِ المتقِنينَ حيث لا يكون غريبًا كالحديث الذي يرويه أحمدُ بنُ حنبلٍ مثلاً ويشاركه فيه غيرُه عنِ الشافعيِّ ويشاركُه فيه غيرُه عن مالكِ بنِ أنسٍ فإنّه يفيدُ العلمَ عندَ سامعِه بالاستدلالِ مِن جهةِ جلالةِ رواتِه، وأنّ فيهم منَ الصفاتِ اللائقةِ الموجبةِ للقَبولِ ما يقومُ مقامَ العددِ الكثيرِ مِن غيرِهم.انتهى

قلتُ: وهذا واللهِ عينُ ما نحنُ فيه، وجلالةُ رواتِها تغني القاعدَ عن القيامِ للسؤالِ فيطمئنُّ مكانَه ويطمئنُّ قلبُه.

وقال شيخُ الإسلامِ الحافظُ السيّدُ أبو العباسِ أحمدُ عزُّ الدينِ الفاروثيُّ في كتابِ إرشادِ المسلمينَ ص٣٤ ما نصُّه: أخبرني أبي الحافظُ محيي الدينِ أبو إسحاقَ عن أبيهِ الشيخ عمرَ...فذكر القصّةَ.

أمّا رجالُ السندِ على سبيلِ الاختصارِ، فقد قال الحافظُ الإمامُ شمسُ الدينِ الجزريُّ في غايةِ النهاية وهو مَن هو:

إبراهيمُ بنُ عمرَ بنِ الفرَجِ بن أحمد بن سابور بن علي بن غُنَيمة أبو إسحاق الفاروثي **إمامٌ عالِمٌ**، قرأ بمضمن الإرشاد علي الأسعد بن سلطان عن أبي العز، **قرأ عليه ابنه الإمام أبو العباس أحمد**.انتهى

ثم قال: **الإمام العلاّمةُ الصالح** أبو العباس الفاروثي الواسطي المصطفوي الشافعيُّ **أحدُ الأعلامِ** خطيب دمشق.انتهى

وقال الذهبيُّ في تذكرةِ الحفاظِ:

وفيها توفي **الإمامُ الكبيرُ** عز الدين أحمد بن إبراهيم بن عمر المصطفويُّ الفاروثيُّ بواسطَ.انتهى، وفي سير أعلامِه يقولُ: قدم عز الدين الفاروثي، عالم العراق.انتهى، وفي كتابه المعين في طبقاتِ المحدِّثين يقول: الشيخ القدوة عز الدين أبو العباس أحمد بن إبراهيم بن عمر الفاروثي الواسطي الواعظ المقرئ.انتهى

وقال ابنُ العمادِ في شذراتِه: الإمامُ عزُّ الدينِ أبو العباس أحمد بن إبراهيم بن عمر الواسطي الشافعيُّ المقرئُ الصوفيُّ شيخُ العراقِ ولد بواسط في ذي القعدة سنة أربع عشرة وستمائة وقرأ القراءاتِ على أصحابِ ابنِ الباقلانيّ وسمع من عمر بن كرم وطبقتِه وكان إمامًا عالِمًا متفنّنًا متضلّعًا من العلوم والآدابِ رحّالا حريصًا على العلمِ ونشرِهِ.انتهى

أمِثْلُ هؤلاءِ الأئمةُ الحفّاظُ الأجلاّءُ يتحمّلونَ وزرَ وضعِها ويتبوَّءُونَ مقعدَهم من النار، فإنّا للهِ وإنّا إليه راجعوان.

بل إنّ العجيبَ أنْ يقولَ الحافظُ ابنُ ناصرِ الدينِ الدمشقيُّ صاحبُ كتابِ (الردّ الوافر) عنه بعدَ قولِ الذهبيِّ إنه مشهورٌ: (العلاَّمةُ عزُّ الدينِ أحمدُ بنُ إبراهيمَ المصطفوي مشهورٌ). قلتُ: هو **الإمامُ الزاهدُ** أبو العباسِ أحمدُ بن إبراهيمَ بنِ عمرَ بن الفرجِ بن أحمد بن سابور بن علي بن غُنيمةَ الفاروثي. رَوَينا لُبْسَ خرقةِ التصوّفِ **مِن طريقِه عن أبيه عن جدِّه عن الشيخِ أحمدَ بنِ عليٍّ الرفاعيِّ**.انتهى

واللهِ يا شيخَنا لا أدري ما أقولُ وأنتَ عندي عظيمٌ أسألُ اللهَ لي ولكَ الصَّفحَ والسلامةَ في الآخرةِ ءامين.

وفي خلاصةِ الإكسيرِ ص٣٩ للإمامِ الجليلِ المجمَعِ على إمامتِه أبي الحسنِ عليِّ بنِ الحسنِ الواسطيِّ: قال لي الشريفُ ابنُ نُمَيلةَ الحسينيُّ القاضي وهو ثقةٌ أنه سمعَ كلامَ النبيِّ صلى الله عليه وسلم للسيِّدِ أحمدَ حينَ كانت يدُه الكريمةُ بيدِه.انتهى

قلتُ: وأبو الحسنِ الواسطي الإمامُ رضي الله عنه، قال عنه ابنُ حجرٍ في الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة:

عليُّ بنُ الحسنِ بنِ أحمدَ الشافعيُّ أبو الحسنِ الواسطيُّ ذكر أنه كان في واقعة هلاكو ببغدادَ رضيعًا ثم صحبَ الشيخَ عزَّ الدينِ الفاروثيَّ وسمع من أمين الدينِ بن عساكرَ وقرأ القراءاتِ ونظر في الفقهِ وكان منجمعا متزهِّدًا له كرامات وأحوالٌ، حج ستين حجَّةً وجاور، **قال الذهبيُّ**: **كان كبير الشأن منقطعَ القرينِ** منجمعًا عنِ الناسِ ذا حظٍّ مِن تهجُّدٍ وتلاوةٍ وصيامٍ وله **كشفٌ وحالٌ** وهو **كلمةٌ وفاقٍ** وله محبون يتغالَون في تعظيمِه وكان على طريقة السلفِ في العقيدةِ، مات محرمًا ببدرٍ سنة ثلاثٍ وثلاثينَ وسبعِمائةٍ.انتهى

أمّا نصُّ الذهبيِّ من كتابِه العِبَر: ومات ببدر محرمًا **الإمامُ القدوةُ الوليُّ** الشيخ علي بن الحسن الواسطي الشافعي عن ثمانين سنة. وكان من أعبد البشر، واعتمر أزيد من ألف

مرة، وتلا أزيد من أربعة ءالاف ختمة، وطاف مراتٍ في الليل سبعين أسبوعًا. رحمه الله تعالى. انتهى

فالرجلُ محلُّ إجماعٍ رضي الله عنه، أما قولُه إنّ له محبينَ يتغالون في تعظيمِه فلا شيءَ فيها، فقد قال في العبر عن الإمامِ الحسن بن مسلم: كان الحافظُ أبو الفرجِ بن الجوزيِّ يبالغُ في وصفِه وتعظيمِه. انتهى

وقال الإمامُ الفقيهُ القُدوَةُ العلاّمةُ عبدُ العزيز بنُ أحمدَ الدِّيريني الشافعي في كتابِه (غايةُ التحرير) وليس كتابًا كبيرَ الحجم ما نصُّه: أخبرنا شيخُنا إمامُ العارفينَ الشيخُ أبو الفتح ابنُ أبي الغنائمِ رضي الله عنه أنّه سمع والدَه الشيخَ العارفَ أبا الغنائمِ يقولُ: كنتُ مع سيِّدِنا السيّدِ أحمدَ الرفاعيِّ رضي الله عنه عامَ حجِّهِ الأولِ سنةَ خمسٍ وخمسينَ وخمسمائةٍ ... القصّةَ بتمامِها.

وأخبرنا كلٌّ مِن ١- الشيخ ضرغامٍ المسيري، ٢- والشيخِ جامعِ الفضلينِ الدَّنُّوشَري، ٣- والشيخِ أبي الحسنِ الدقّاقِ

أنهم سمعوا جميعًا بمكةَ من الشيخِ عديِّ بنِ مسافرٍ الأمويِّ الشاميِّ ثم الهَكّارِيِّ قدَّسَ اللهُ سرَّهُ قصةَ مدِّ يدِ النبيِّ للسيّدِ أحمدَ الرفاعيِّ رضي الله عنه وجوابِه له عليه الصلاةُ والسلامُ ونصُّها: (يا ولدي) وعلى الكيفيةِ التي تقدَّمَ ذِكرُها عن أبي الغنائم.

حدَّثَنا شيخُنا شيخُ الإسلامِ القدوةُ العُمْدَةُ عبدُ السلامِ القَلِيبيُّ قدّسَ اللهُ روحَه عن الشريفِ محمدٍ البياضي عن الشريفِ الجليلِ الأميرِ عليٍّ ابنِ الأميرِ أبي بكرٍ ابنِ الإمامِ المسترشدِ رحمهم اللهُ تعالى أنه قال: حججتُ سنةَ خمسٍ وخمسينَ وخمسمِائةٍ مع جماعةٍ من كبراءِ بني هاشمٍ ووصلنا بعدَ الحجِّ مدينةَ النبيِّ صلى الله عليه وسلم وقد دخلَها شيخُ الطريقِ السيّدُ أحمدُ الرفاعي فوقفَ تجاهَ القبرِ الشريفِ وقال: السلام عليك يا جدي، فقال له المصطفى صلى الله عليه وسلم: وعليك السلام يا ولدي..... وذكرَ القصةَ بتمامِها.

حدّثنا السيّدُ الشريفُ أبو محمدٍ ركنُ الدينِ بنُ زحيك الحسينيُّ عن العلاّمةِ قاضي القضاةِ بالديار المصريةِ القاضي الكاملِ أسعدَ طيّبَ اللهُ روحه أنه قال: **مَدُّ يدِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم للسيّدِ أحمدَ بنِ الرفاعيِّ رضي الله عنه حقٌّ وخبرُ القصةِ متواترٌ** ووقوع ذلك ممكنٌ.

أخبرَنا الشيخُ الصالحُ القدوةُ العالمُ العاملُ أحمدُ بنُ محمدٍ ويعرَفُ بابنِ قُدامةَ الحنبليِّ في المدينةِ المنورةِ أنه سمع الشيخَ القطبَ أرسلانَ الدمشقيَّ قدّسَ اللهُ روحَه ونفعَنا به يقول على كرسيِّهِ بدارِه في دمشقَ وهو يتكلمُ على أصحابِه: خدمتُ سيّدَنا إمامَ القومِ السيّدَ أحمدَ الرفاعيَّ رضي الله عنه ثلاثَ عشرةَ سنةً وكنتُ في خدمتِه عام حجّهِ سنةَ خمسٍ وخمسينَ وخمسِمائةٍ فوقفَ تِجَاهَ قبرِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم وأنشدَ: في حالةِ البُعدِ ... إلى ءاخرِ البيتينِ فمَدَّ له جدُّه عليه الصلاةُ والسلامُ يدَه الشريفةَ....

حدّثنا الشيخُ المربّي الكاملُ العارفُ باللهِ عمر شهابُ الدينِ ابن محمدِ بنِ عبدِ اللهِ بنِ محمدِ بن عمويه السهروردي ثم البغدادي قدّسَ اللهُ روحَه قال: سمعتُ عمّي الشيخَ الجليلَ ضياءَ الدينِ عبدَ القاهرِ المكنّى بأبي النجيبِ الصدّيقيَّ السهرورديَّ طيّبَ اللهُ مرقدَه يقولُ: هنيئًا للسيّدِ أحمدَ بنِ الرفاعيِّ رضي الله عنه فإنّه قبّلَ في المدينةِ يدَ جدِّه رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم، هنيئًا له، ثمّ هنيئًا له، ثم هنيئًا له.

وحدّثنا أيضًا أنه سمعَ شيخَه سيّدي العارفَ بربّه محمدَ بنَ عبدٍ البصريَّ رضي الله عنه يقولُ بشأنِ السيّدِ أحمدَ الرفاعيَّ رضي الله عنه: هذا محبوبُ جدِّه المصطفى صلى الله عليه وسلم ولاثِمُ يدِه جهارًا بينَ ألوفٍ منَ الزائرينَ ... إلى ءاخر كلامِه، ثم قالَ الإمامُ الدِّيرينيُّ رضي الله عنه:

فمِن هذه الرواياتِ الصحيحةِ المتظافرةِ ومثلِها من الأسانيدِ المسلسلةِ والنقول المتواترةِ الثابتةِ.... إلى ءاخر كلامِه.

وقال العلاّمةُ الوتري في روضة الناظرين إنها متواترة وعلَتْ أسانيدُها وصحَّ ذكرُها، وغيرُ واحدٍ كالعلاّمةِ الكردي صاحبِ تنويرِ القلوب في معاملةِ علاّمِ الغيوبِ، وقد أحصى منهم ما استطاع كثرةً السيّد أبو الهدى الصيادي في كتابه (الكنزُ المطلسَم) وذكرَ المراجعَ التي استطاعَ حصرَها.

مسئلةٌ: اعتمَد شيخُنا وأطنبَ في الاستدلالِ على كذبِ القصةِ بشيءٍ عجيبٍ وهو أنّ الشيخَ عديَّ بنَ مسافرٍ ذكرَها بلفظِ أنّ الإمامَ الرفاعيَّ رضي الله عنه تكلّمَ بكلماتٍ لم يضبِطْها.
وهذا استدلالٌ عجيبٌ قد ردَّهُ هو بقولِه: ويجوزُ أنْ .... .
قلتُ: أما مسئلةُ التواترِ واختلافُهم في لفظِها فمِن أعجبِ العجبِ ويكفي في الردِّ عليه بما هو أعلمُ مني به وهو ما قالهُ الزركشي أيضا في البحرِ المحيط: (سادسُها: أنْ يَتَّفِقُوا عَلَى الخَبَرِ مِن حيثُ المعنى، وإن اختلفوا في العبارة، فإن اختلفوا

في المعنى بَطَلَ تَوَاتُرُهُم).انتهى، وهذا لا يخفى على شيخنا فعجبًا ثم عجبا.

وإن كان الراوي نفسُه الإمامُ شيخُ الإسلامِ عزُّ الدينِ الفاروثيُّ قد حكاها عنه فهو ضابطٌ لها، وقد رواها عنه الإمامُ الدِّيريني عن ثلاثةٍ عنهُ باللفظِ الموافقِ، وقد نفَى ضبطَهُ لِبَيْتَي الشعرِ فقطْ، فتكذيبُ شيخِنا لهذه القصةِ اعتمادًا على أنّ أحدَ الرواةِ لم يحفظْ بيتينِ من الشعرِ عجيبٌ غريبٌ.

قالَ العلاّمةُ النّسّابةُ محمدُ سراجُ الدينِ بنُ عبدِ الله المخزوميُّ في صحاحِ الأخبارِ ص٧٨: قلتُ: وقد ثبتَ نسبُ السيّدِ أحمدَ بحياتِه بالتواترِ المرعيّ بحرمِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلمَ كما صرَّحَ بهِ ابنُ ميمونٍ وغيرُ واحدٍ بلا دفاعٍ.انتهى
قلتُ: وهذا يستلزمُ التصريحَ بتواترِ هذه الكرامةِ.

ثم قالَ في ذاتِ الصحيفةِ: قد ذكرَ جماعةٌ من الأكابرِ المحقّقينَ منهم الحافظُ عبدُ المنعمِ بنِ عبدِ المحسنِ بنِ عبدِ

المنعمِ الواسطيُّ الشافعيُّ، والشريفُ الحسينُ السمرقنديُّ وشرفُ الدينِ أبو طالبٍ ابنُ أحمدَ الحسينيُّ المشهَدِيُّ والشيخُ إبراهيمُ الصِّدِّيقيُّ الكازَرُونيُّ أنّ الشريفَ الكبيرَ حسنًا ابنَ الشريفِ محمدٍ ابنِ الشريفِ عليٍّ ابنِ الشريفِ حسنٍ أميرِ المدينةِ ابنِ الشريفِ محمدٍ أميرِ المدينةِ ... وساقَ نسبَه الشريفَ قالَ راويًا عن أبيهِ الشريفِ أبي الحسنِ عليّ أميرِ المدينةِ رحمه اللهُ ما نصُّه[٦]: ظهرَ في أمِّ عَبيدةَ بواسطَ العراقِ رجلٌ من العربِ يتحدثُ الناسُ بكراماتِه وأقوالِه في الشريعةِ والحقيقةِ واشتُهِرَ بالكراماتِ والعناياتِ والبركاتِ وأقرّت له بالولايةِ جهابذةُ الساداتِ... إلى أن قال: فكتبتُ إليه كتابًا وشوّقتُه به لزيارةِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم وكانَ القصدُ الاطّلاعَ على حقيقةِ أمرِه، فلما وصلَ إليهِ الكتابُ كتبَ أنّه في عامهِ القابلِ عازمٌ إن شاء الله على أداءِ فريضةِ الحجِّ وزيارةِ سيّدِ المخلوقينَ صلى الله عليه وسلم، وكان

[٦] في مقدِّمةِ كتابِه (البهجةُ الصغرى) وكذا حكاها بتمامِها الإمامُ الواسطي في خلاصةِ الإكسير.

ذلكَ، فإنه في العامِ خمسٍ وخمسينَ وخمسمائةٍ .... فلما وصلَ الحرمَ الشريفَ النبويَّ وقفَ تجاهَ حجرةِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم وقد امتلأ الحرمُ المباركُ بالزائرينَ وأكابرُ الرجالِ وراءَ ظهرِهِ صفوفًا وكانَ أقربَهم لديهِ مِن أتباعِه الشيخُ يعقوبُ بنُ كرّازٍ العبيدويُّ رضي الله عنه والإمامُ الفقيهُ أبو الفَرَجِ الفاروثيُّ الواسطيُّ والشيخُ عبدُ السميعِ الهاشميُّ العبّاسيُّ وكانَ ذلك بُعَيدَ صلاةِ العصرِ يومَ الخميسِ فأطرقَ رضي الله عنه وقال على رءوسِ الأشهادِ: السلامُ عليكَ يا جدّي فقال له عليه الصلاةُ والسلامُ من قبرِه المباركِ: وعليكَ السلامُ يا ولدي... إلى ءاخرِ قصةِ مدِّ اليدِ الشريفةِ.

وفي هذا الفصلِ كفايةٌ لبيانِ أنّ شيخَنا رحمه الله جانبَه الحقُّ في هذه المسئلةِ.

فصلٌ

واستدلَّ شيخُنا على تكذيبِ القصةِ بأمورٍ، منها:

أنّ السيّدَ الرفاعيَّ منسوبٌ إلى بني رفاعةَ قبيلةٍ في المغرب.

قلتُ: هذا الكلامُ، شيخُنا مؤاخذٌ به شرعًا، فإنه تلاعُبٌ بالأنسابِ رجمًا بالغيبِ والعياذُ باللهِ، وهذا الكلامُ لا يستحقُّ الردَّ عليهِ لأنّ نسبَ السيّدِ الرفاعيِّ الشريفَ يُجمَعُ في مجلّداتٍ، وسأختصرُ بذكرِ شيءٍ من النقولِ، منها:

سلطانُ العلماءِ العزُّ بنُ عبدِ السلامِ الإمامُ المجتهدُ، قال الإمامُ الدِّيرينيُّ في خلاصةِ الإكسيرِ: **حدَّثنا شيخُنا سلطانُ العلماءِ أبو محمدٍ عزُّ الدينِ الشيخُ عبدُ العزيزِ بنُ عبدِ السلامِ** السُّلَمِيُّ الدمشقيُّ ثم القاهريُّ الشافعيُّ قدَّسَ اللهُ سرَّهُ قال:

رأيتُ الشيخَ ابا المحامدِ عليًّا البغداديَّ الصوفيَّ ببغدادَ وكنتُ أحُطُّ على الصوفيةِ، وكانَ أبو المحامدِ من أصحابِ السيّدِ أحمدَ بنِ الرفاعيِّ رضي الله عنه، فداخلَني من هيبتِه وحالِه شيءٌ أصلحَ سرّي وحسّنَ نيّتي بشأنِ القومِ، **والحقُّ أنّ**

سيّدي أحمدَ بنَ الرفاعيَّ على قدمِ جدِّهِ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم.انتهى بحروفه

وأظنُّ شيخَنا لو رءاهُ لخجلَ من نفسِه واستغفرَ مِن طعنِه بنَسبِ حفيدِ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم.

أمّا سلوكُ سلطانِ العلماءِ بعد ذلك فمشهورٌ أنه شاذليٌّ وكان يحضرُ مجالسَ سيّدي أبي الحسنِ الشاذلي قدّسَ اللهُ سرَّهُ العظيم.

وقال جمعٌ كبيرٌ من العلماءِ منهم الإمامُ البرزنجيُّ في إجابةِ الداعي: قال الفاروثيُّ في النفحة المسكية، والإمامُ أحمدُ بنُ جلالٍ في جلاءِ الصدا، والإمامُ القدوةُ الكازَرُوني في الترياقِ وغيرُهم: إنّ رفاعةَ هذا اسمُه الحسنُ ولقبُه رفاعةُ، هاجرَ من مكّةَ إلى المغربِ سنةَ سبعٍ وعشرٍ وثلاثِمائةٍ وهي السنةُ التي قتلَ فيها القرامطةُ لعنهم اللهُ أميرَ مكةَ ابنَ محاربٍ وأصحابَه، وفعلوا ما فعلوا في بيتِ اللهِ من الهدمِ والنهبِ والقتلِ،

والتحقَ رفاعةُ رضي الله عنه بقبيلةٍ من قبائلِ العربِ بالقربِ من إشبيلية، وعظّمَه ملوكُ المغربِ وانقادَ إليهِ أعيانُها، وبقي نسلُه في المغربِ إلى عهدِ السيّدِ يحيى جدِّ سيّدِنا السيّدِ أحمدَ، قال في التِرياق: ولهم بقيةٌ في المغربِ وإلى رفاعةَ هذا ينتمي بطنُ بني رفاعةَ هؤلاء.

ورفاعةُ الحسنُ المكيُّ هذا ابنُ المهديّ بنِ أبي القاسمِ محمدِ بنِ الحسنِ بنِ الحسينِ أحمدَ بنِ موسى الثاني بنِ إبراهيمَ المرتضى ابنِ سيّدِنا الإمامِ موسى الكاظمِ ابنِ سيّدِنا الإمامِ جعفرِ الصادقِ ابنِ سيّدِنا الإمامِ محمدٍ الباقرِ ابنِ سيّدِنا الإمامِ زينِ العابدينَ عليٍّ الأصغرِ ابنِ الإمامِ المظلومِ الشهيدِ السعيدِ سيّدِنا الحسينِ السبطِ ابنِ سيّدِنا ومولانا الإمامِ الغالبِ عليِّ بنِ أبي طالبٍ كرّمَ اللهُ وجهَهُ رزقه من زوجتِه الطاهرةِ سيّدةِ النساءِ فاطمةَ بنتِ سيّدِنا ونبيّنا وشفيعنا الرسولِ المصطفى صلى الله عليه وعلى ءالِه وصحبه الطيبين. ولْنرجع لذِكرِ السيّدِ أحمدَ فنقولُ: قدمَ أبوه مِن

بلادِ المغربِ فسكنَ البطائحَ بقريةٍ يقالُ لها (أمّ عَبيدة)... إلى ءاخِرِ كلامِه.

التواترُ النسبيُّ وهو ناقضٌ لأصولِ شيخِنا

شيخُنا يعلمُ ومِن أمثالِه استفدنا أنّ التواترَ قد يتخلّفُ عن البعضِ لمانعٍ، وقد يتواترُ أمرٌ عند قومٍ دونَ قومٍ.

وأخصُّ الناسِ بنقلِ هذه الكرامةِ هم الرفاعيةُ ثم الصوفيةُ بعدَهم عمومًا.

أمّا عندنا نحن الرفاعيةَ فهي متواترةٌ بحمدِ الله عصرًا بعدَ عصرٍ، نتناقلُها ونتغنّى بمعجزةِ نبيّنا صلى الله عليه وسلم وكرامةِ شيخِنا وسيّدِنا سلطانِ العارفينَ أحمدَ الرفاعيَّ ولا نتناقلُها فخرًا بل حمدًا وشكرًا لله.

فإذا لم تتواترْ عند أهلِ الفقهِ أو أهلِ القرءانِ فلا ضررَ، فإنّهم ليسوا مكلّفِينَ ولا يُعنونَ بمثلِ هذا والعكسُ كذا.

وهذا نصٌّ على صدقِ كلامِي حتى ترى رحِمَكَ اللهُ بعينِ الإنصافِ - ولا أطلبُ منكَ سوى أن تطبّقَ كلامَ الذهبيِّ

على شيخِنا رحمه الله -، قال الذهبيُّ في سِيَرِ أعلامِ النبلاءِ في ترجمةِ الإمامِ يعقوبَ الحضرميِّ والردِّ على مَن أنكرَ تواترَ قراءتِه ما نصُّه:

حتى نشأ طائفةٌ متأخرون لم يألفُوها ولا عرفوها **فأنكرُوها، ومَن جَهِل شيئًا عاداه**، قالوا: لم تتصِلْ بنا متواترةً، قلنا: اتصلت بخلقٍ كثيرٍ متواترةً، وليس مِن شرطِ التواترِ أن يصلَ إلى كلِّ الأمةِ، فعندَ القرّاءِ أشياءُ متواترةٌ دونَ غيرِهم، وعند الفقهاءِ مسائلُ متواترةٌ عن أئمتِهم لا يدريها القرّاءُ، وعند المحدّثينَ أحاديثُ متواترةٌ قد لا يكون سمِعَها الفقهاءُ، أو أفادَتْهُم ظنًّا فقط، وعندَ النحاةِ مسائلُ قطعيةٌ، وكذلك اللغويونَ، وليس مَن جَهِلَ عِلْمًا حجةً على مَن عَلِمَه، وإنما يقال للجاهلِ: تَعَلَّمْ، وسَلْ أهلَ العلمِ إن كنتَ لا تعلمُ، ولا يقالُ للعالمِ: اجْهَلْ ما تعلَمْ، رزقَنا اللهُ وإياكم الإنصافَ.انتهى بحروفِه.

وهذا ردٌّ من الذهبيِّ مفحِمٌ وقد قدَّمتُ هذا الكلامَ قبلاً على تواترِ القراءاتِ وعدمِها عند بعضٍ والحمدُ للهِ على توفيقِه، وإنّه من المحزنِ حقًّا أنْ أقفَ رادًّا على أحدِ أعظمِ مشايخِ العصرِ وأحفظِهم لحديثِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم وأُضطَرَّ إلى الردِّ عليهِ بما هو أعلمُ به مني.

ولا أظنُّ ولا أرى على ما قدّمتُ مزيدًا في إثباتِ عدمِ موافقةِ قوعدِه لما نحنُ فيه، والكمالُ واجبٌ للهِ تعالى وحدَه.

تنبيهٌ مهم: إثباتُ هذه الكرامةِ العظيمةِ هو ذاتُ السبيلِ إلى إثباتِ تواترِ القراءاتِ العشرِ وكثيرٍ من معجزاتِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم، فما قالَه الصفوريُّ في نزهةِ المجالسِ إنّ (إنكارَها قد يؤدي إلى سوءِ الخاتمةِ) غيرُ بعيدٍ فحقّقْ ودقّقْ، فإنّه يتكلّمُ عن المآلِ لا عنِ الحالِ.

فصلٌ في التشكيكِ في الأنسابِ

طعنَ شيخُنا في نسبِ الإمامِ أحمدَ الرفاعيِّ رضي الله عنه، وهذا خطيرٌ، وليس عندَهُ دليلُ النفيِ فكانَ الواجبُ عليهِ شرعًا أنْ يسألَ أو لا يخوضَ، وهذه حجةٌ عليهِ من مشجَّراتِ الأنسابِ مِن كتابِ بحرِ الأنسابِ المسمّى (المُشَجَّرُ الكشّاف لأصولِ السادةِ الأشراف) لابنِ عميدِ الدين الحسيني بتحريرِ الإمامِ مرتضى الزَّبيديِّ رضي الله عنه وكفى به توثيقًا ص٢٩٤ فانظُره:

كان جماعة في صقع بعيد عنا يتعسر تحقيق حالهم قالوا هم في نسب القطع يريدون انه يتعسر تحقيق حالهم وزعم السيد ابو الطمس انه كناية عن عدم صحة النسب وهو خلاف اجماع النسابين

فانظُرْ إلى قولِه: (وهو خلافُ إجماعِ النسّابينَ).

ولا أدري كيفَ أجازَ شيخُنا لنفسه أن يطعنَ في نسبِ الغوثِ الكبيرِ الرفاعيِّ وينفيَه إنْ كانَ غيرَ متيقِّنٍ.

وظنّي لو أنّ شيخَنا النيفرَ اطّلعَ على كلامِه في الطعنِ بنسبِ السيِّدِ أحمدَ الرفاعيِّ قُدِّسَ سرُّه لتأذّى أذًى شديدًا، لأنّ شيخَنا النفيرَ رفاعيٌّ النسبِ ثابتُه لا شكَّ ولا مِرْيَةَ فيه، وما كنتُ أظنُّه يسكتُ لو ثبتَ اطِّلاعُه عليهِ، فإنّه طعنٌ في أصلِ ءابائِه بلا حجةٍ شرعيةٍ، واللهُ المستعان.

وهذا العلّامةُ الفيروزءاباديُّ قال في القاموس:

وأمُّ عَبِيدةَ كسَفِينَةَ: قرية قربَ واسطَ بها قبرُ السيِّدِ أحمدَ الرفاعيِّ.انتهى

وقال الشريفُ العلّامةُ مرتضى الزبيدي في تاجِ العروس شارحًا: وأمُّ عَبِيدةَ كسفينةٍ: قربَ واسطَ العراقِ بها قبرُ أحدِ الأقطابِ الأربعةِ صاحبِ الكراماتِ الظاهرةِ السيِّدِ الكبيرِ أبي العباسِ أحمدَ بنِ عليِّ بنِ أحمدَ بن يَحيَى بنِ حازمِ بنِ عليِ بنِ رفاعةَ الرفاعيِّ نسبةً إلى جدِّه رفاعةَ وهو ابنُ أختِ السيِّدِ منصورٍ البطائحيِّ الملقَّبِ بالبازِ الأشهبِ رضي الله عنهم ونفعَنا بهم.انتهى

وفي مادةِ رفع قال: والقطبُ أبو العباسِ أحمدُ بنُ عليّ بنِ أحمدَ بنِ يحيى بنِ حازمِ بنِ عليّ بنِ رفاعة الرفاعيُّ المغربيُّ الحسينيُّ كذا نسبَه ابنُ عَرّاف.انتهى

والزبيديُّ عارفٌ عالمٌ بالأنسابِ خصوصًا الأشرافَ، وله تعليقاتٌ وحواشي على بحرِ الأنسابِ، ممّا زادَ ذلك الكتابَ صحةً وشأنًا عند المتأخرين، فهذه شهادةُ اثنين من العلماء.

وكيفَ غابَ عنه قولُ الإمامِ الجليلِ ابنِ الملقّنِ في طبقاتِه مع خطإٍ في ترتيبِ النَّسَبِ: أبو العباس أحمد بن أبي الحسن علي الرفاعي نسبةً ابنِ يحيى بنِ حازم بنِ عليٍ بنِ ثابتِ بنِ علي بنِ الحسنِ الأصغرِ بنِ المهدي بنِ محمدِ بنِ الحسنِ بنِ يحيى بنِ إبرهيمَ بنِ الإمامِ موسى الكاظمِ بنِ الإمامِ جعفرٍ الصادقِ ابنِ الإمامِ محمدٍ الباقرِ بنِ الإمامِ عليّ زينِ العابدينَ ابنِ الإمامِ الشهيدِ الحسين ابنِ الإمامِ عليّ بنِ أبي طالبٍ كرم الله وجهه.

وهذه واحدةٌ قاصمةٌ لأحد المؤرّخينَ المعروفين المشهورينَ مفتي دمشقَ وهو المراديُّ صاحبُ سلكِ الدُّررِ في أعيانِ القرنِ الثاني عشر، قال فيه في فصل (عبد القادر) ما نصُّه: **السيّدُ عبدُ القادرِ بنُ شاهينَ الشريفُ لأمّه الحلبيُّ الشيخُ التقيُّ الورِعُ الزاهدُ، كان والدُه جنديًا ووالدتُه من ذُرّيّةِ الوليّ الكبيرِ أحمدَ الرفاعيّ الشهيرِ مِن بيتِ الصيادِ المشهورينَ**.انتهى

فها هو رحمه الله أثبتَ الشرفَ والسيادةَ لآلِ الصيادِ ذريةِ السيدِ أحمدَ عزّ الدينِ الصيادِ ابنِ السيّدةِ زينبَ بنتِ السيّد أحمدَ الرفاعيّ رضي الله عنه، وللإمامِ أحمدَ الرفاعيِّ رضي الله عنه، والمراديُّ كان قبلَ السيّدِ أبي الهدى، وقد فرغ من تحرير كتابه سنةَ ١٢١١، أيْ قبلَ ولادةِ أبي الهدى فهيهاتَ، وسيأتي المزيدُ من الإثباتاتِ المصوَّرةِ.

والقاصمةُ القاضيةُ هي قولُ شيخِ الإسلامِ الدّيريني عبدِ العزيزِ المجمَعِ على جلالتِه ووِلايتِه وهو تلميذُ سلطانِ العلماءِ

العزِّ بن عبدِ السلامِ، وهو تلميذُ شيخِ الإسلامِ أبي الفتحِ الواسطيِّ تلميذِ الغوثِ الإمامِ أحمدَ الرفاعيِّ، فليس بينهما إلا واسطةُ أبي الفتح فقط، وقد نقلَ عنه الإمامُ الجليلُ ابنُ الملقِّنِ أرجوزَتَه في التصوُّفِ في طبقاتِ الأولياءِ في فصلِ الأرجوزةِ الوجيزةِ للديريني ص٥٢٤ وفيها:

وقدْ تعلَّقْتُ بقُطْبِ العصرِ ... منهم، فنحنُ في سَناهُ نَسْرِي

شيخِ الأنامِ أحمدُ الرِّفَاعي ... حيـــنَ أتانا مِن حِماهُ داعي

فنحنُ بينَ أحمدٍ وأحمدِ ... وشيخِنا القُطْبِ الشريفِ أحمدِ

﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾

ألا يخافُ اللهَ رجلٌ في الطعنِ في الأنسابِ، وإنه لَمُحزنٌ أن يقعَ أحدٌ في الطعنِ بنسبِ أحدِ أكابرِ أهلِ البيتِ، يقولُ لله ماذا حينَ يلقاه، والنبيُّ صلى الله عليه وسلم يقولُ: (كلُّ نسَبٍ وسبَبٍ ينقطِعُ يومَ القيامةِ إلاَّ نسَبِي وسبَبِي). رواهُ البزَّارُ بهذا اللفظِ، ولأحمدَ والحاكمِ والطبرانيِّ نحوُه.

فائدةٌ: السيّدُ أحمدُ عزُّ الدينِ الصيّادُ، إنّما سُمِّي صيادًا، لأنّه كان يصيدُ القلوبَ، ولم يكنْ يحترفُ الصيدَ، وهذا مجرَّبٌ.

فصلٌ

ثمَّ قالَ شيخُنا كلامًا مزخرَفًا قاسَ بهِ الشريفَ على غيرِه، فقال ما نصُّه:

(الوجه الرابع ولو كان الشيخ الرفاعيُّ حسينيًّا، فإنه لا يقول تلك الكلمة لأسباب:

أحدها: أن الأدبَ المطلوبَ في الزيارة النبوية أن يقف الزائر في المواجهة الشريفة بخشوع، يقول: السلام عليك يا نبي الله، السلام عليك يا رسول الله، أشهد أنك بلغت الرسالة، وأديت الأمانة، ونصحت الأمة، وجاهدت في الله حق جهاده، إلى ءاخر ما هو مدوّنٌ في كتب الفقه، والشيخ الرفاعي ما كان يجهل هذا الأدب، وما كان ليدعه، لأنه من كُمَّلِ الأولياء الحريصين على اتباع ءاداب الشريعة.

ثانيها: أن الشيخ الرفاعي كان متواضعا شديد التواضع،

يحب الخمولَ وعدمَ الظهورِ وطريقةُ مبني على التواضع، فكيف يقول على رءوس الأشهادِ: السلام عليك يا جدي؟ وهل هذا إلا تفاخرٌ بالنسب؟ وما كان التفاخر من خلق الرفاعي، ولا حبُّ الظهور في طبعه.

ثالثها: أن الأدب المراعَى بين الأولياء بعضِهم مع بعضٍ إذا اجتمعوا: ألاَّ يتقدَّمَ صغيرٌ منهم على كبيرٍ، لقولِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم (كَبِّرْ كَبِّرْ)، أي قدِّمِ الكبيرَ، وإذا كان الأمرُ كذلك فكيف تقدَّمَ الشيخُ الرفاعيُّ بتلك الكلم مع وجود السيدِ عبدِ القادرِ الجيلي وهو أكبرُ منه سنًّا وأجلُّ مقامًا، وأكثر علمًا وإنتاجًا، هذا إلى أن الجيلي حسني، والرفاعي حسيني، والعارف الشعراني يقول عن تواضعه وفرطِ أدبه: ما تصدَّرَ قطُّ مجلسًا، ولا جلسَ على سجادةٍ تواضعًا.انتهى

وأيضا: فإن الله تعالى يقول ﴿لا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُم كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا﴾، أي لا تنادوه، كما ينادي بعضكم بعضًا باسْمِه أو لقَبه : يا فلانُ أو يا أبا فلانٍ، ولكنْ عظِّمُوه ونادوه: يا نبيَّ اللهِ يا رسولَ اللهِ، ونحوَ ذلك مِن ألقابِ

التعظيمِ، وكلمةُ (يا جَدِّي) أو (يا أبي) لا تعظيمَ فيها، بل من الآدابِ العامّةِ أنّ الشخصَ إذا كان أبوه خليفةً أو مَلِكًا، فإنه يخاطبُه أمامَ الناسِ بلقَبِ التعظيمِ نحوِ يا أميرَ المؤمنينَ، يا أيها الملكُ، ولا يقول : يا أبي.

وأيضا: فإنَّ الواقفَ أمامَ الحجرةِ الشريفةِ يعتَريه مِن هيبةِ المكانِ وجلالِ الموقِفِ ما يُنْسيه نفسَه وشرفَه وعِلْمَه، فلا يُمكِنُه أنْ يقولَ: يا جدي، أو يا أبي، وإنما يهتِفُ بشوقٍ يا رسولَ اللهِ، يا شفيعَ المذنبين، يا نبيَّ الرحمةِ، يا حبيبَ ربِّ العالمينَ، جئتُ أطلبُ شفاعتَكَ، وأرجو رِفْدَكَ.انتهى

قلتُ: هذا كلامٌ مزخرَفٌ، يشبهُ الحجّةَ الشعريّةَ، وكلامُ حقٍّ أريدَ في غيرِ محلِّهِ، وقد تكرَّرَتْ مواقفُ شيخِنا المخجلَةِ، فلا حولَ ولا قوّةَ إلا باللهِ، وكلُّ ما قاله يبطُلُ بهذا: روى الخطيبُ البغداديُّ في تاريخِه حديثًا حسنًا عند ذِكرِ السيِّدِ الشريفِ موسى بنِ جعفرِ عليه السلامُ وهو موسى الكاظمُ: أنبأنا أبو العلاء الواسطيُّ حدثنا عمرُ بنُ

شاهينَ حدثنا الحسينُ بنُ القاسمِ حدثني أحمدُ بنُ وهبٍ أخبرني عبدُ الرحمنِ بنُ صالحٍ الأزدي قال: حجَّ الرشيدُ وحولَه قريشٌ وأفياءُ القبائلِ فأتى قبرَ النبيّ صلّى الله عليه وسلَّمَ ومعه موسى بنُ جعفرٍ فقال: السلامُ عليكَ يا رسولَ الله يا ابنَ عَمّ، افتخارًا على مَن حولَهُ.

(فَدَنا موسى وقالَ: السلامُ عليكَ يا أَبَتِ).

فتغيَّر وجهُ هارونَ وقال: (هذا الفخرُ يا أبا الحسَنِ حَقًّا).

ورواهُ المزّيُّ من طريقِه في تهذيب الكمالِ وذكرَه الذهبيُّ في سِيَرِه وفي تاريخِ الإسلامِ واليافعيُّ في مرءاةِ الجَنانِ وابنُ خلِّكانَ في وَفَيَاتِ الأعيانِ وابنُ الجوزيّ في المنتظم في ترجمة الإمامِ موسى الكاظمِ عليه السلامُ، وذكرَ الذهبيُّ في تاريخِه وابنُ الأثيرِ كاملِه في أحداثِ سنةِ ثلاثٍ وثمانينَ ومائةٍ أنّ سببَ حبسه هي هذه الكلمة.

فموسى الكاظمُ الإمامُ القدوةُ العظيمُ الصدِّيقُ الشريفُ سيّدُ أهلِ البيتِ فعلَ هذا، وهو شمسُ الأخلاق والأدب والامتثال للشرعِ والسننِ، فظهرَ تزييفُ شيخِنا، وأظنُّه لو علمَ بهذه

القصةِ مع سيّدِ أهلِ البيتِ حفيدِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم لخجلَ مِن كلامِه واستغفرَ، لأنّه أساءَ إلى سيّدي موسى الكاظمِ على جدِّه وعليهِ وعلى ءابائِه أفضلُ الصلاةِ والسلامِ.

ولو سلَّمنا أنّ القصةَ غيرُ صحيحةٍ، فما ذكرَها أحدٌ من الأئمةِ والإخباريينَ إلا على وجهِ الاستحسانِ والمدحِ، وبعيدٌ جدًّا أنْ لا يحصلَ الأدبُ إلا لشيخِنا، ومَن ذكرَها أوسعُ منه علمًا وأعلى كعبًا في فنونِ العلومِ، وهذا كما فعلَ ابنُ هشامٍ في المدخلِ إلى تقويمِ اللسانِ بعدَ استشهادِه ببيتِ شعرٍ لأحدِ المتأخرينَ عن العصرِ الأولِ عصرِ الفصاحةِ ثم قال ما معناه: ولسنا نحتجُّ بهذا الشاهدِ إنما نحتجُّ باحتجاجِ الأئمة به، ولو كان فيه لحنٌ لبيَّنوه.

وفي إسنادِ هذه الروايةِ عمرُ بنُ شاهينَ وهو الحافظُ عمرُ بنُ أحمدَ الواعظِ وهو من الحفاظِ المشهورينَ بالوعظِ.

وروى مسدَّدٌ في مسندِه عن ابنِ عمرَ رضي الله عنهما: أنه كان إذا قدم من سفر صلى ركعتين في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم ثم أتى القبر فقال: السلامُ عليك يا رسولَ **اللهِ، السلامُ عليك يا أبا بكرٍ، السلامُ عليك يا أبة)**

قال الحافظُ البوصيري في إتحافِ الخِيَرَةِ المهَرَة: رواه مسدد ومحمد بن يحيى بن أبي عمر والبيهقي موقوفًا بسند صحيح.

وروى الحافظُ ابنُ أبي الفوارسِ في فوائدِه المنتَقاةِ: حدثنا حدثنا يحيى بن محمد بن صاعد، ثنا علي بن الحسين، ثنا أبو قتيبة عن أبي عامر يعني الخزاز عن نافع قال: كان ابن عمر إذا قدم من سفر أتى المسجد يصلي ركعتين ثم أتى القبر فقال: (السلامُ عليك يا نبيَّ اللهِ، **السلامُ عليكَ يا أبا بكرٍ، السلامُ عليكَ يا أبتِ)**.

فعلى هذا فالصحابيُّ الجليلُ ابنُ عمرَ رضي الله عنهما عندَهُ خالفَ الأدبَ لأنّه لم يقلْ لأبي بكرٍ رضي الله عنه: يا خليفةَ

رسولِ الله، ولم يقل كذلك لسيّدِنا عمرَ رضي الله عنه بل قال: يا أبتِ.

فأيُّ ورطةٍ أوقعَ شيخُنا نفسَه فيها، إنّا لله وإنّا إليهِ راجعون.

وإلى هنا اجتمعت قواعدُ أصوليةٌ خالفَها شيخُنا عامدًا وهي: (عدمُ الوجدانِ لا يستلزمُ عدمَ الوجودِ) وكأني به خالف قاعدة (الجرحُ المفسَّر مقدّمٌ على التعديل بالإجماع) وهي قاعدةٌ أصوليةٌ حديثيةٌ ووجهُ الاستدلال فيها أن الحجةَ هي بالاطلاع الذي لم يوفّق شيخُنا إليه، وقاعدة (إن كنتَ مُدّعيًا فالصحةَ أو ناقلاً فالدليل) وشيخُنا ادّعى من غيرِ مستنَدٍ ولا نقلَ لديه إنما أتى بالشُّبَه دونَ الدليلِ، والله المستعان.

وهذا تمامُ الكلامِ على ردِّ تكذيبِه قصةَ تقبيلِ اليدِ والحمدُ للهِ أولاً وءاخرا.

فصلٌ في كتابِ الشرفِ المحتَّم

أما قولُ شيخِنا بأنّ الإمامَ السيوطيَّ لم يذكر هذا الكتاب ضمنَ مؤلفاتِه عندما جمَعها في (حُسن المحاضرة) فالجوابُ: أن ابنَ العمادِ صاحبِ شذرات الذهب نقل عن الداوُدي تلميذ السيوطي ما نصه: استقصى أيضا مؤلفاتِه الحافلةَ الكثيرةَ الكاملةَ الجامعةَ النافعةَ المتقنةَ المحررةَ المعتمدةَ المعتبرةَ **فنافت عدتُّها على خمسِمائةِ مؤلَّفٍ.**انتهى

فإذا كانت المحررةُ تزيدُ على خمسمائةٍ فما بالُكَ بغيرِ المحررةِ منها، وقد أوصلَها بعضُ الباحثينَ إلى ستِّمِائةٍ وخمسةٍ وعشرينَ مصنَّفا، فليَجعلْها شيخُنا في المائةِ وخمسينَ غيرِ المحرَّرةِ.

وأينَ مَن نصَّ على أسمائِها كلِّها، فاستدلالُ شيخِنا بهذا باطلٌ جملةً وتفصيلا، هذا مع اعترافِه بسَعَةِ اطِّلاعِ السيِّدِ الإمامِ أبي الهدى الصيادي رضي الله عنه، وإنّ إنكارَ كتابٍ للسيوطي بهذه الطريقةِ مَعيبٌ لا يقولُه أهلُ العلم، وعلى

هذه القاعدةِ فكلُّ كتابٍ لم يذكره السيوطيُّ فهو مكذوبٌ عليهِ، فيخرجُ أكثرُ من نصفِ كتبِه إلى قسمِ الموضوعاتِ، وهذا حرامٌ لا يجوزُ، فلا حولَ ولا قوةَ إلا بالله.

وفي كلامِ الداودي نكتةٌ مهمّةٌ وهي أنّه أحصى كتبَ السيوطيّ (المحرَّرةَ) فزادت على الخمسِمِائةٍ، فما أقربَه إلى الصوابِ أنْ يكونَ (الشرفُ المحتَّم) مِن غيرِ مؤلفاتِه المحررة.

وفي تنويرِ الحَلَك للإمامِ السيوطي نفسِه وهو ضمن الحاوي للفتاوِي ما نصُّه:

وفي بعضِ المجاميعِ حجَّ سيِّدي أحمدُ الرفاعيُّ فلمّا وقفَ تجاه الحجرةِ الشريفةِ أنشدَ:

في حالةِ البُعْدِ روحي كنتُ أرسِلُها
تُقَــبِّلُ الأرضَ عني فهي نائبتي
وهذه نَوبةُ الأشباحِ قد حضرَتْ
فامدُدْ يمينَكَ كي تحظَى بها شفتي

فخرجَت اليدُ الشريفةُ منَ القبرِ الشريفِ فقبَّلَها.

وفي معجَمِ الشيخِ برهانِ الدينِ البقاعيِّ: حدثني الإمام أبو الفضل ابنُ أبي الفضلِ النُّوَيري أن السيّد نورَ الدينِ الإيجيَّ والدَ الشريفِ عفيفِ الدينِ لما ورد إلى الروضةِ الشريفةِ وقال: (السلامُ عليك أيها النبيُّ ورحمةُ اللهِ وبركاتُه وسمع مَن كان بحضرتِه قائلاً مِن القبرِ يقولُ: وعليك السلام يا ولدي.

وقال الحافظُ محبُّ الدينِ بنُ النجّارِ في تاريخِه: أخبرني أبو أحمدَ داودُ بنُ عليّ بنِ هبةِ اللهِ بن مسلمةَ أنا أبو الفرجِ المباركُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ محمدِ بنِ النَّقُورِ قال: حكى شيخُنا أبو نصرٍ عبدُ الواحدِ بنُ عبدِ الملكِ بنِ محمدِ بنِ أبي سعدٍ الصوفيُّ الكرخيُّ قال: حجَجْتُ وزرتُ النبيَّ صلى الله عليه وسلم فبينَا أنا جالسٌ عندَ الحجرةِ إذ دخلَ الشيخُ أبو بكرٍ الديار بكري ووقف بإزاءِ وجهِ النبيّ صلى الله عليه وسلم وقال: السلامُ عليك يا رسولَ اللهِ، فسمعتُ صوتًا مِن داخلِ الحجرةِ: (وعليك السلامُ يا أبا بكر) وسَمِعه مَن حضر.

وفي كتاب مصباح الظلام في المستغيثين بخير الأنام للإمام شمس الدين محمد بن موسى بن النعمان قال سمعت يوسف بن علي الزناني يحكي عن امرأة هاشمية كانت مجاورة بالمدينة وكان بعض الخدام يؤذيها قالت فاستغثت بالنبي صلى الله عليه وسلم فسمعت قائلا من الروضة يقول أما لك فيّ أسوة فاصبري كما صبرت أو نحو هذا قالت فزال عني ما كنت فيه ومات الخدام الثلاثة الذين كانوا يؤذونني... إلى ءاخرِ كلامِ الإمامِ السيوطي، وهذا فيه أشياءُ:

الأولُ: ليس في كرامةِ السيّدِ أحمدَ الرفاعيِّ زيادةٌ غيرَ مدِّ اليدِ الشريفةِ، أمّا الكلامُ معه صلى الله عليه وسلم فحاصلٌ متكرِّرٌ، والحجرةُ الشريفةُ لا تخلو مِن الناسِ ليلَ نهارَ، ولهذا ترى الذين ذكروها إنما تفاخروا بتقبيلِ اليدِ وتفرُّدِ السيّدِ أحمدَ عنهم، وقد وقع لغيرِه أيضًا كما سيأتي بإذن الله.

الثاني: أنّ الإمامَ السيوطيَّ قد ذكرَها في هذا الكتابِ وهو حافظٌ لا تخفى شهرتُه، ولم يكنْ سخيفَ العقلِ حتى يستدلَّ بما يُقطَعُ بكذِبه.

الثالثُ: ما رءاه السيوطيُّ يُثبت وجودَ مَن كتبَ في هذه الكرامةِ، وقولُه (بعض المجاميع) لا يقتصرُ بالضرورةِ على واحدٍ، والصفوريُّ في نزهةِ المجالسِ وهما قبلَ أبي الهدى بقرونٍ، والشلبنجي كذلك في نور الأبصار وذكرها أيضًا لأحد أحفادِه وقال: ولقائلٍ أن يقولَ إنه لا مانع من وقوعِها لكليهما، وذكرَها الجمل في حاشيتِه والحمزاوي العدوي في كنزِ المطالبِ والخفاجيُّ في شرحِ الشفا وشهرتُه لا تخفَى، والعلاّمةُ المناويُّ في الكواكبِ الدراريِّ قال: فقبَّلَها والناسُ ينظرون، وهؤلاء العلماءُ كلُّهم قبلَ السيّدِ أبي الهدى.

وكذلك ذكرها الإمامُ الحوتُ في أسنى المطالبِ وهو كتابٌ يُعنَى بالموضوعاتِ وغيرِها وكان مِن حقّهِ أنْ يُبيِّنَ أنها

مكذوبةٌ ولم يفعلْ، وفيه يقول: ومِن ذلك ما وقع لسيِّدِنا الرفاعيِّ رضي الله عنه حين زار النبيَّ صلى الله عليه وسلم وأنشد عند الحجرةِ الشريفةِ البيتينِ المشهورَينِ، وهما:

في حالة البعد روحي كنت أرسلها
تقبِّــلُ الأرض عني وهي نائبتي
وهذه دولة الأشباح قد حضرت
فامدد يمينك كي تحظى بها شفتي

فمَثَلَت له اليدُ الشريفةُ وقبَّلَها، والخبرُ المذكورُ مشهورٌ مِن قِبَلِ الإمامِ المذكورِ.انتهى بحروفه

تنبيهٌ: قد علم شيخُنا أنّ الشلبنجيَّ نقلَها في نور الأبصارِ وذكرَها، لكنّه غضَّ طرفَه عن ذكرِ الشلبنجيِ سيّدَنا الرفاعيَّ في الأشرافِ في نفسِ الفصلِ، فسبحانَ الله.

عجيبةٌ: ذكرَ شيخُنا عن الشلبنجيِ أنّ المشهورَ بهذه الكرامةِ هو حفيدُه أبو الشبّاكِ.

والعجيبُ أنّ شيخَنا لم يطعَنْ فيها، بل استغَلَّها بكرامةِ السيّدِ أحمدَ، مع أنّ العلّةَ الجامعةَ واحدةٌ، وهذا ظلمٌ.

الرابعُ: بما أنّ السيوطيَّ ثبتَ عنه ذِكرُ الكرامةِ على سبيلِ الاحتجاجِ، وكانَ الكثيرُ من العلماءِ يُعاديه، فجائزٌ أنْ يكونَ اعترضَ عليهِ أحدُهم بقولِه (في بعضِ المجاميعِ) وأنّها كلمةٌ لا يثبتُ بها خبرٌ أو ما شابَه، فردَّ عليهِ بإثباتِها، وهذه عادةُ الإمامِ السيوطيِّ رضي الله عنه فإنّه سريعُ التأليفِ، وشيخُنا يعرفُ هذا يقينًا.

وهنا أستوقِفُ شيخَنا على (قياسِ العكسِ) وهو معترفٌ به لكونِه أصوليًّا مالكيًّا بَحتًا وهي مِن أصولِ الإمامِ مالكٍ رضي الله عنه فأقولُ:

بما أنّ شيخَنا اتّهم السيّدَ أبا الهدى بنسبةِ الكتبِ إلى مؤلِّفيها - إنْ سلّمْنا أنّه حصلَ - فالكتبُ شديدةُ الإتقانِ جدًّا بحيثُ يجزمُ المطّلِعُ عليها بأنّه يصعُبُ على الواحدِ منّا أنْ يخترعَ مِن بناتِ أفكارِه مثلَ هذه الاتصالاتِ المتينةِ بينَ

الكتبِ ذاتِها، فكيفَ يقعُ السيّدُ أبو الهدى في مثلِ هذا السهوِ الذي حصلَ مِن الإمامِ السيوطيِّ فينسُبُ الحديثَ إلى إبراهيمَ في الحليةِ، وإلى السخاويِّ والفرّاءِ في مسئلةٍ حديثيّةٍ. هذا بعيدٌ جدًّا، وخصوصًا أنّ الكتابَ طُبِع في حياتِه والمدقّقونَ والمحقّقونَ كثيرٌ، فكيفَ لا يصحّحُ أو يُعيدُ نشرَهُ أو يُرفقُ في ءاخِرِه أو بعدَه كعادتِهم تصويبًا.

فهذا قد يُقلَبُ على شيخِنا، فيدلُّ على الأمانةِ وأنّه لم يتعمّد تبديلَ حرفٍ واحدٍ، والعلماءُ في هذا على مذهبينِ: مذهبِ الروايةِ كما سُمِعَت ولو مع اللّحنِ، ومذهبُ الروايةِ بالمعنى وإصلاحِ اللحنِ.

وكيفَ يجزمُ بأنّه ليس من تحريفِ ناسخٍ وما أكثرَ ما يقعُ هذا، وقد عانيتُ معاناةً شديدةً في تحقيقِ كتابِ (درج المعالي) لشيخِ الإسلامِ العزِّ بنِ جماعةَ، فالناسخُ في أحسنِ المخطوطاتِ كانَ غيرَ مبالٍ بما يكتبُ ولولا النسخُ الأُخرى لما عرفتُ صحيحَها مِن سقيمِها، وفيها حرّفَ الناسخُ قولَه:

(كنسبةِ الخردلَةِ إلى الجبلِ العظيمِ) إلى (كالكنزِ إلى الجليلِ العظيم)، وقولُ العلماءِ مشهورٌ: (ءافَةُ الكُتُبِ نُسّاخُها).

وقد رأيتُ ناسخًا كتبَ منذ نحو مائتي سنةٍ: (تدريب الوادي) يقصدُ تدريبَ الراوي، والدليلُ على تحريفِ الناسخ هو ائتلافِ كلمتَيْ (ابراهيم) و(ابونعيم) وإنْ شئتَ بهذا الخطِ: (**ابراهيم**) و(**ابونعيم**) ألا ترى التشابُهَ بينَ الهاء والنونِ مع الميم، وهذا لا يخفى على مَن طالَعَ واشتغَلَ بكثرةٍ بالمخطوطاتَ لا سيّما القديمةَ، وكذلكَ يسهُلُ تصحيفُ (الطحاوي) إلى (السخاوي)، وإنْ كانَ هذا غريبًا فليس أغربَ مِن قولِ الإمامِ التّاجِ السبكيِّ في مُعيدِ النّعم ومُبيدِ النّقَم ص٢٤ عند ذكرِ عقابِ سابِّ النبيِّ صلى الله عليه وسلم إذا تكرَّر منه بما لا يدلُّ على توبتِه: فأرى أنّه لا تُقبَلُ له توبةٌ، ويُسفَكُ دمُه، وهو **رأيُ الشيخِ الإمامِ الوالدِ تغمَّدَه اللهُ تعالى برحمتِه، والشيخِ العلاّمةِ تقيِّ الدينِ بنِ تيميةَ**.انتهى

فهل هذا من الأسبابِ الداعيةِ إلى تكذيبِ نسبةِ الكلامِ إلى التاجِ السبكيِّ رضي الله عنه، ما أعجبَ ما أرى.

وقد فصَّلتُ فيها في كتابي (القولُ الفصلُ المسدّد في صحّةِ حديثِ يا محمّد) يسّرَ اللهُ لي إعادةَ تحريرِه، فقد حصل فيه سهوٌ وسيأتي التنبيهُ عليه ءاخرَ الكتابِ، وفيه ذكرتُ الوهمَ الذي حصلَ لبعضِ الحفاظِ ومنهم السخاويُّ حيثُ صحّفَ أو كانت مصحَّفَةً في نسختِه (أبو شعبه) إلى (أبو سعيد).

فعجبًا لشيخِنا كيفَ يفوتُه هذا، والأدهى أنْ يتعمَّدَ تجاهُلَها، فإبراهيم تلك هي أبو نعيم مصحَّفَةٌ، فإنّا للهِ وإنّا إليه راجعون.

بُرهانٌ على خطإِ شيخِنا

الإمامُ السيوطيُّ له كتابُ اسمُه (الطرثوث في فوائدِ البرغوث)

وقد أثبتَه له حاجي خليفة في كشفِ الظنونِ وهو قبلَ أبي الهدى رضي الله عنه.

ويوجدُ منه الكثيرُ من النسخِ المخطوطةِ، وفي جامعةِ أمّ القرى ورقمُها: ٢٤-١١٤٧٨، قسم: الأدب.

وهذا لم يذكرْهُ السيوطيُّ في حسنِ المحاضرةِ، ولازمُ قولِ شيخِنا إنه موضوعٌ عليه، وخطأُ شيخِنا واضحٌ جدًا.

وكذلك شدّدَ شيخُنا على أنّ السيوطيَّ ينسُبُ حديثًا إلى الحليةِ وهو في صحيحِ مسلمٍ، والجوابُ:

قد ذكر شيخُنا في تعليقِه على كتابِ الإمامِ السيوطيّ تأييد الحقيقة في أوّلِ الكتابِ خطأَ الإمامِ السيوطيِّ في عزوِ حديثٍ إلى البخاريِّ مِن روايةِ عمرَ رضي الله عنه وما هو مِن روايةِ عمرَ، إنّما هو مِن روايةِ أبي هريرةَ.

فلأيِّ شيءٍ يجعلُ هذا مِن أسبابِ الطعنِ في هذا الكتابِ وهو حاصلٌ للإمامِ السيوطيِّ في غيرِه.

قد ألّفَ أخوهُ الحافظُ أحمدُ كتابَ (المداوي) وذكرَ فيه أوهامَ السيوطيِّ وأوهامَ المناويِّ رضي اللهُ عنه، مع قولِه عن المناويِّ إنه بليدٌ والعياذُ باللهِ.

وفي كتابِ المغير للحافظِ أحمدَ نفسه يذكرُ الموضوعاتِ التي احتجّ بها الإمامُ السيوطيُّ رضي الله عنه ولم يُبيِّنْ حكمَها، فأيُّهما أشنَعُ الاحتجاجُ بالموضوعِ أم عزوُ الحديثِ إلى مُخرِّجِه مع الغفلةِ عن عزوِه إلى مَن هو أَوْلَى.

فلأيِّ شيءٍ يجعلُ هذا مِن أسبابِ الطعنِ في الكتابِ وهو حاصلٌ للإمامِ السيوطيِّ في غيرِه.

وقد ذكرَ شيخُنا في القولِ المقنع في الردِّ على الألبانيِّ المبتدع أنّه سها وقال عن حديثٍ ضعيفٍ: سندُه جيّدٌ.

وقال أيضًا إنّ الحافظَ العراقيَّ كانَ يخطيءُ في تخريجِ أحاديثِ الإحياءِ لصغرِ سنّه أو نحوَ ذلك، وقد عزا حديثًا لكذا وهو عند ابنِ ماجهْ، فإينَ الضررُ في هذا، هذا إذا قلنا إنّ النسخةَ غيرُ محرَّفةٍ، فليست هذه حجةً، وفي كلِّ حالٍ فلا ينبغي لعالمٍ أصوليٍّ أنْ يجزمَ بالاحتمالاتِ، وقد قال الإمامُ ابنُ الملقِّنِ رضي الله عنه في محاسنِ الاصطلاح: إنّ الانتهاضَ، لمجردِ الاعتراضِ، مِن الأمراضِ.

وإنّ استدلالَ شيخِنا بهذا، كاستدلالِ الذينَ انتقدُوا الإمامَ مسلمًا رضي الله عنه على تخريجِه أحاديثَ أُناسٍ وغيرُهم أوثقُ منهم، وقد علَّلَ ذلك الإمامُ مسلمٌ بما رءاهُ مناسبًا.

- وبالَغَ شيخُنا وادّعى أنّ الفرّاءَ هو اللغويُّ مع علمِه بأنّ الفراءَ الحنبليَّ كانَ حافظًا للحديثِ ورحلَ فيه.

هذا والأعجبُ مِن شيخِنا أنّه حقّقَ تدريبَ الراوي للسيوطيِّ نفسِه ويقولُ فيه السيوطيُّ في فصلِ الإجازةِ بمجهولٍ أو لمجهولٍ وذكرَ المذاهبَ فيه وقال: وصحّحه ابن الفَرَّاءِ الحَنْبلي.انتهى

فهل رأى شيخُنا أنّه أيضًا اللغويُّ، أم هل أنكرَ على السيوطيِّ استدلالَه به في علمِ الحديثِ في تدريبِ الراوي.

وقال السيوطيُّ في التدريبِ أيضًا: (وصحّحه) أيْ هذا الضَّربَ مِن الإجازةِ أبو يَعْلى ابن الفَرَّاء الحنبلي.انتهى

فلماذا ينكرُ عليهِ شيخُنا استدلالَه به في الشرفِ المحتَّم.

ونقلَ في التدريبِ أيضًا ما نصُّه: قال الخطيب: وسمعتُ ابنَ الفرَّاءِ يحتجُّ لذلكَ بقولِه صلى الله عليه وسلم .... الخ

وقد قالَ الحافظُ العراقيُّ في ألفيَّته:

كذا أبو نصرٍ وجازَ مطلقًا - عندَ الخطيبِ وبهِ قد سُبِقَـا

مِن ابنِ عمروسٍ مع الفرَّاء - وقد رأى الحكم على استواءِ

ويقالُ الفراءُ وابنُ الفراء، وكذلكَ ابنُ الفراء والفراءُ الإمامُ البغويُّ، فلأيِّ شيءٍ يُشنِّعُ ويقولُها مستخِفًّا بأنّ هذا مِن علاماتِ الكذبِ في ذلك الكتابِ، سبحانَ اللهِ الواجبِ له الكمالُ.

فلا شيءَ مِمّا احتجَّ بهِ معتبَرٌ عندَ أهلِ الحديثِ والأصولِ، بل كلُّه يشهَدُ بخلافِ ما ادَّعاهُ، ومَن استزادَ زدتُه.

تنبيهٌ: مِمّا يُنكَرُ على شيخِنا ذاتُ إنكارِه، لأنّ الحكمَ على شخصٍ أنّه صحابيٌّ وثبوتَ الصحبةِ في الأصلِ مِن مباحثِ أصولِ الفقهِ كالمتواترِ، وقد يقالُ بأنّه مشترَكٌ بينهما وهذا واقعٌ، فشيخُنا خالفَ الحقّ.

وكما قلتُ فكتابُ الشرفِ المحتّم لا يؤثِّرُ على ذاتِ الكرامةِ وجودًا وعدمًا، وليس هذا موضعَ بحثي في هذا الكتاب، لكنّه تسجيلٌ للمخالفاتِ التي صدرت من شيخِنا ولا يليقُ صدورُها من مثلِه.

أمثلةٌ فيها البرهانُ على مخالفةِ شيخِنا الحقَّ في قولِه

مُوَشَّحٌ في النحوِ كُتبَ سنةَ ٩٧٥ هجريةً مِن وقفِ وليّ الدين بك وعليه تملُّكٌ سنةَ ١٠١٠ وعليه تملُّكاتٌ ونظَرٌ، وهذه صورةُ الصفحتينِ الأولى والأخيرةِ مع سنةِ تملُّكِ المجموعةِ كلِّها:

لابن زيدون ومجموع لطائف
وإنشاد هزل وجد وخطب
ومفاخرة سماه بالمرور بين العلمين
إلى مفاخرة الحرمين وتقريظ ورد
على المفاخرة المذكورة وأسماء الله
وشرحها الرسالة القلمية لمولانا
علي جلبي رسالة في التصرف

من شرح النحو للشيخ العلامة الإمام جلال الدين السيوطي

الحمد لله الانام من نحلا   افضاله كل امل املا ارغب

ثم اصلي على الذي شرفا
ذاتا ووصفا وعنصرا وافا
والآل مع صحابه الشرفا

والنحو خير ما تحصلا   ومن يحصله حاز تاج علا مذهب

فهاك نظما له موشحه
ارجاؤها ابدعته موشحه
للمبتدي صعابها موضحه

ملخصا ما تحصل المثلا   الطالب النحو لا تصدوا لا تحجب

والله ارجو ملتجا
وعصمة مما نعا لكل ما عرا
ومن هنا البدو في الذي قصد

تحدثنا الكلام قد نقلا   قول مفيد بالقصد قد شملا كاشرب

والقول ان مفردا اتى كلمه
لاسم وفعل والحرف منقسمه
فالجر للاسم والندا سمه

والتا للفعل ثم حرف لا   تقبل شيا وهل والا ترغب

والفعل ماض بالتا انقضى

و

والحمد لله جل اذ كملا انتظمي   وصلى الاله ما اقبلا كوكب

على نبي الانام ذي الشيم
وآله المرتقين في الكرم
وصحبه الخيرة الامم

فاتبع طريقهم قد انتحلا   ولا تمار امرا ابدا جهلا لا تتعب

كتب الموشح المبارك لمحمد بن الشيخ جلال الدين السيوطي
عفا الله عنا وعنه وعلى المسلمين ببركاته امين وكان الفراغ
بيوم صباح ... ربيع عشر من جمادى الآخر

٩٧٥



وهذه أخرى أهزوجةٌ في النحوِ بنفس تاريخِ التملُّكِ:

بسم الله الرحمن الرحيم هذه قصيدة في النحو غير العروج
مسماة بالشهد نظم الشيخ العلامة جلال الدين السيوطي عفى الله عنه

يقول ابن السيوطي عقيب الشكر والحمد وتسليمه على الهادي لدين واضح الرشد
نظمنا بذي نحوًا وقد سميت بالشهد وقد جاءتك مزهرة تفوق الدر في العقد
لها أنفع إذا شاء الإله الواهب المبدي لمنشيها وقاريها وفي عمري ومن بعدي

وقولًا جا بالتقييد كلامٌ صح بالقصد من اسم ثم فعل ثم حرف جا لمعتدي
فميز اسمًا بإسناد لذا كالعالم المهدي وميز بالتا وقد فعلًا كقد قامت
وميز حرفًا بتجريد كهل في لم

لمبتدأ ولأخبار نم الرفع على القصد كزيدٌ قائم عمروٌ بداري جاء ... عندي
بكان ارفع سمي وانصب ككان المرتضى مجدي وظل الليل ... بدا النجم ...
وإنّ ذا انصب لكن علّ وليت بالضد كأن ... إن الله ... منجز الوعد

بلا انصب كقام القوم الأصحاب وبلو النفي واستفهام ابدله ... يجري
وغير الجر وانصب في خلا واجر ...
ونصب الحال محتوم أتانا الابن ... وباتي ... وعدد ... الفرد
وذا التمييز فانصبه وقد ... ... عندي
وبعد

وهذا المسلَكُ الذي سلكَهُ شيخُنا مُخجِلٌ - إن صحَّ عنه - لأنّه يفتحُ البابَ للجهالِ لإنكارِ مؤلفاتِ مَن شاءوا متى شاءوا إنْ لم تكنْ متواترةً عنه أو لم يَنُصَّ أحدٌ ممّن ترجَمَ له على أنّه كتابُه، وهذا مسلكٌ فاسدٌ مردودٌ والواقعُ ينقُضُه واللهُ ربُّنا أعلم.

فصلٌ في السيّدِ محمّد بهاءِ الدينِ الروّاس رضي الله عنه

شكّكَ شيخُنا في السيّدِ الروّاسَ رضي الله عنه وهو محمد بهاءُ الدينِ الصيّاديُّ قدّسَ اللهُ سرَّه وهذا إنكارٌ منكرٌ لأمورٍ:

الأول: أهلُ مكةَ أدرى بشِعَابها، وكما قال الحافظُ العراقيُّ في التقييدِ والإيضاحِ: وأهلُ كلِّ فنٍّ أدرى بفنّهِم، فكان حقًّا عليهِ أن يتحقّقَ من الرفاعيينَ أنفسِهم، فأقولُ:

- أروي عن السيّدِ الشريفِ المعمَّرِ محمد هايل رحمه الله عن والدِه السيّدِ خالدٍ عن والدِهِ السيّدِ الوليِّ الكبيرِ الشيخِ رجبٍ عن الرواسِ رضي الله عنهم أجمعين.

والسيّدُ محمد هايل رحمه اللهُ زرتُه ثلاثًا في كفر سجنة (سَجْناء) في الريفِ بينَ حماةَ وحلبَ، وكانَ غايةً في التواضعِ، وهو رجلٌ شديدُ الفقرِ رحمه الله وكلُّهم مدفونونَ هناكَ.

وقد أدركَ السيّدُ محمد هايل جدَّه السيّدَ رجبًا، لكنّني أروي عن والدِه عن جدِّهِ، والسيّدُ رجبٌ هو الذي يقولُ عنه السيّدُ الرواسُ في كتابه (بوارق الحقائق) : زرتُه في كفرِ سَجناء وكان شديدَ التواضعِ يقولُ أنا مسكينٌ أنا لا شيءَ.

فكيفَ يكونُ هذا، إلاّ إذا ادّعى أحدُهُم أنّ أبا الهدى كان يعلَمُ الغيبَ، أو يقولُ شخصٌ إنّه كانَ مكاشَفًا، فيكونُ شهدَ له بالصلاحِ، ونورُ اللهِ لا يُهدَى لعاصٍ، فلا يصحُّ ادِّعاءُ الكذبِ عليهِ.

- وأروي أيضًا بإسنادٍ متصلٍ صيغةَ التهليلِ (لا إلهَ إلا الله) ١٢١ مرةً عن أخي وقريني في عدَّةٍ مِن رحلاتِ طلبِ العلمِ

إلى دمشقَ وحماةَ وحلبَ حماها اللهُ وغيرِها الشيخِ أبي حسّانَ محمّد عُبيد مِن أهلِ طرابلسَ الشامِ عن الشيخِ أبي رشيدٍ الحريريّ عن والدِه **مفتي حورانَ السيّد محمد رشيد الحريري عن الإمامِ الرواسِ مباشرةً.**

وأبو رشيدٍ زرتُه في سفحِ قاسيونَ وتكلّمنا في مسائلَ وهو مِن المعمَّرينَ، وقد أجازني بوِرْدٍ واحدٍ، ولا أروي عنه غيرَه.

- وممَّن أخذ عنه العبدَلِيُّ وقال فيه:

شيخُنا الروّاسُ مَهْدِي   كنزُ عِرفانٍ وزُهدِ
هو أستاذي ومَجدي   في المعاريجِ العَلِيَّة

هو في ءالِ البَـتولِ   مقتَدَى بيتِ الرسولِ
هو موثـوقُ النُّقُولِ   ذو البراهـينِ السَّنِيَّة

واحدُ الأقطابِ ذُخرِي   نوُر عيني رُكْنُ ظَهْري
وهو بين القَومِ فخري   ولـقَدْ أُلبِسْـتُ زيَّه

وهو مخطوطٌ مِن جمعِ محمد مصطفى الرجب الحموي موجودٌ في مكتبةِ الملك سعود برقم (٦ر٨١١).

وهذا صريحٌ في أنّه لبس خرقةَ التصوُّفِ من الرواسِ، والعبدليُّ عراقيٌّ ذكرَهُ اللاريُّ الآتي ذِكرُ كتابِه المخطوطِ القديمِ، وفي سلكِ الدررِ للمراديِّ: العبدلي نسبة إلى عبدِ الله حيٍّ من عرب العراق.انتهى، وهو متقدمٌ على مادِحِ السيِّدِ الرواسِ، ولا أعلمُ إن كانَ جدَّه أم لا.

وفي لُبِّ اللبابِ في تحريرِ الأنسابِ: (العبدلي) لعبد الله حي من عرب العراق.انتهى

وأصرحُ منهما ما جاءَ في الأنساب للسمعاني:

العبدلي: بفتح العينِ المهملة، وسكون الباء الموحدة، وفتح الدال المهملة، وفي ءاخرِها اللام، هذه النسبة إلى رجلين وموضع، أحدُهما: إلى (بني عبدِ الله) وهو بطنٌ مِن خَولان.

والثاني: جماعةٌ مِن أصحابِ (أبي عبدِ اللهِ بن كرَّامٍ) انتحلوا مذهبَه فنُسبُوا إليه.

وجماعةٌ إلى قرية (عبد الله) وهي قرية كبيرة بأسفل أرض واسط العراق.انتهى

- وأروي عَن سيِّدي الشيخِ الفاضلِ ناصر مرعوش عن شيخِ مشايخِ الرفاعيةِ في العراقِ السيِّدِ أمجدَ البوغُلام الرفاعي عن عمِّه الشيخِ شاكرٍ عن الشيخِ إبراهيمَ الراويِّ عن أبيهِ عن السيِّدِ الرواس.

- وأروي أيضًا عن الشيخِ ناصر مرعوش عن السيّد عبد المجيد الشيخ عيسى عن جدِّه السيِّدِ إبراهيمَ المشهورِ بالطمّاسِ عن الإمامِ الروّاسِ عندما زارَه الأخيرُ، وكانَ السيِّدُ الطمّاسُ قد أوصى أحدَ مُريدِيه أنْ يُنشِدَ إذا رأى الرواسَ: (للهِ قومٌ إذا حَلُّوا بمنزِلَةٍ ....) ففعلَ... إلى ءاخرِ القصة.

وحدَّثني بها أخي الشيخُ محمد عبيد عن حفيدِ الطمّاسِ السيِّدِ عبدِ الغفورِ بلفظِ: حدثني السيِّدُ عبدُ الغفورِ ابن الشيخِ عبدِ اللهِ الشيخ عيسى أنّ الإمامَ الروّاسَ زار جدَّهم ... إلى ءاخرِ القصةِ المذكورةِ.

– وأروي أيضًا عن الشيخِ ناصر مرعوش حفظه اللهُ تعالى عن الشيخِ المعَمَّرِ فوقَ المئةِ حسين أبو الجدايل الحلبي عن أبيه الشيخ أحمد أبو الجدايل عن أبيه أنّه اجتمع بالسيِّدِ الروّاسِ في حلبَ الشهباءِ .... .

– ولسيِّدي الكاملِ الفردِ الشريفِ عبدِ الرحمنِ السبسبي رضي الله عنه روايةٌ عن السيِّدِ الرواسِ لا أذكرُ سندَها.

فقد اجتمعَ هنا عدَّةُ رواةٍ عن الإمامِ الرواسِ إلى الآنَ وهذا فوقَ حدِّ الشهرةِ وهو حدُّ الاستفاضةِ عندَ أهلِ الأصلين الفقهِ والحديثِ، فصدَقَ السيِّدُ أبو الهدى وكذَبَ مَن كذَّبَه، فهناك مَن أثبتَ لقاءَ الإمامِ الرواسِ غيرُ السيِّدِ أبي الهدى، وأمرُه في تلك المنطقةِ معروفٌ مستفيضٌ، فحقِّقْ ودقِّق.

وبهذا يكونُ قد ثبتَ باستفاضةٍ وجودُ الإمامِ الرواسِ رضي الله عنه على ما تقتضيه قواعدُ الشريعةِ، وبه تثبتُ كتبُه الفريدةُ التي لا يقدِرُ عليها غيرُه.

وءالُ الراوي شهرَتُهم عاليةٌ عشيرةٌ كبيرةٌ في العراقِ وسوريا، ومستفيضٌ بينهم أنّ جدَّهم السيِّدَ عبدَ اللهِ الراويَّ أجازَ للسيِّدِ الرواس، وغيرُ هذا كثيرٌ.

وعلى كلِّ حالٍ فمَن أرادَ الاستزادةَ فليرجع إلى كتابِ (جناية الشايع على أبي الهدى الصيّادي) للسيّد محمود السيّد فاضل السامرّائي، ففيه ما يكفي وصاحبه نسّابةٌ مُجازٌ، وقد اطّلعتُ عليه بعدَ سنتينِ مِن تأليفِ هذا الكتابِ واستفدتُ منه أشياءَ فأضفتُها للفائدةِ وللتاريخِ، فإنّ الأيامَ دُوَلٌ، جزاهُ اللهُ خيرًا وجمَعَنا على خيرٍ.

وإنّي أدعو له بخيرٍ على ما خفَّفَ عني مِن عناءِ البحثِ، حفظَه اللهُ ورضي عنه وأكثرَ مِن أمثالِه، وإنّي أعرفُ معرفةً تامّةً كم لاقى مِن المشقّاتِ وكم جافاهُ الكرى حتى يُتِمَّ هذا العملَ العظيمَ، وللهِ دَرُّهُ، وأرجو اللهَ القديرَ تعالى أنْ يجعلَهُ في ميزانِ حسناتِه وأنْ يكونَ له نورًا وبرهانًا يومَ المحشرِ.

وفضيلةُ الشيخِ عبدُ الحكيمِ بنُ سليم عبدِ الباسط وهو مشهورٌ قد حكى عن مشقّةِ حصولِه على النسخةِ الأصليةِ من بوراقِ الحقائقِ التي هي بخطِّ الإمامِ الرواسِ في المسجدِ الكبيرِ في الفلوجة، وهي نُسخةٌ متوارَثةٌ محفوظةٌ فيه.

والإمامُ الروّاسُ مدفونٌ في العراقِ في بغدادَ في شارعِ الرشيدِ الآنَ بعدَ نقلِه من قبرِه الأولِ في بغدادَ (دكاكين الحبوب) أيضًا، وكان ذلك اليومُ مشهودًا حضرَتْهُ وزارةُ الأوقافِ والفقهاءُ ومشايخُ الطرُقِ الأعلامُ، ومَن أرادَ معرفةَ المزيدِ عن السيّدِ الرواسِ مِن أهلِ الشامِ وغيرِها فعليهِ بفضيلةِ الشيخِ ناصر مرعوش في طرابلسَ لبنانَ، فقد رحلَ إلى العراقِ وأقامَ زمَنًا واجتمع بأمّةٍ كبيرةٍ هناك، وعنه أروي أورادَ الطريقةِ الرفاعيةِ العليّةِ عن شيخِ مشايخِ الرفاعيةِ في العراقِ السيّدِ أمجدَ الرفاعيِّ رحمه الله وطيَّبَ ثراه.

فكيفَ سكتَ أكابرُ أهلِ العلمِ والقادريةُ والرفاعيةُ وغيرُهم عن كونِ المدفونِ ليس الرواسَ أو هو شخصٌ لا يعرفُونَه مع

جلالةِ الموقفِ وحضورِ الأكابرِ من الأشرافِ ومشايخِ الطرقِ وأصحابِ الجاهِ، ومَن لم يعرفِ الحالَ في العراقِ كيفَ يكونُ فهو حقًّا جاهلٌ، فالعراقُ بلدُ العشائرِ ومِن العظائمِ عندَهم إدخالُ مَن ليس منهم فيهم، وهذا قد يؤدّي إلى نشوبِ حربٍ لا يعلمُ منتهاها إلا خالقُها، فافهم، ومِن الحماقةِ ادِّعاءُ دفنِ رجلٍ مجهولٍ أو لا وجودَ له عند سيّدي علي سلطان والدِ سيّدي أحمدَ الرفاعيِّ، فرفاعيةُ العراقِ لن يسمحوا لا لأبي الهدى رضي الله عنه ولا لغيرِه، وكما منعوا قافلةَ الألوسيِّ مِن المرورِ، فالرفاعيةُ كانوا أقدرَ على منعِ مثلِ هذا ولو أدّى إلى حربٍ، أو كانَ في أقلِّ التقديراتِ ذكرَ واحدٌ منهم أنّه كذا وكذا، فلا تكن أعمى.

وكيفَ يَرثيهِ مفتي العراقِ محمد فيضي الزهاوي وقتَها ويخاطبُه بقولِه (شيخي) في شعرٍ له:

أَأَسلو السيّدَ الرواسَ شيخي ... إذًا أنا لا أُراعي حقَّ وُدِّ
إمامٌ (كـانَ يُرشِدُني) لخيرٍ ... وشيخٌ كانَ يَهديني لِرُشْدِ
لقد تابَـعتُ مَنهجَهُ مُنيبًا ... متـابَعَةَ المُنيبِ المستمِدِّ

وأثبتَ نقلَ جُثمانه وزارةُ الأوقافِ وسجّلَته لديها، أفكلُّ هؤلاءِ حمقى ومغفَّلونَ، كلُّ هذا بداعي العصبيةِ.

أمّا كونُ الإمامِ الرواسِ خفيًّا، فله بأويسٍ القَرَنيِّ أسوةٌ حسنةٌ، ولولا أنّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم أخبر عنه لَمَا عرفَه أحدٌ، فأينَ الغرابةُ في هذا، فلا حولَ ولا قوةَ إلا بالله.
وليسَ أوّلَ رفاعيٍّ ولا أوّلَ عابدٍ عارفٍ باللهِ خفيٍّ لا يعرفُه أحدٌ.

وقد ذكر شيخُنا كلامًا عن أنّ كونَه مجتهدًا في العلمِ مُلزِمٌ لظهورِه، وهذا شرطٌ غيرُ لازمٍ، وعجبًا له كيف يشترطُ هذا وهو عالمٌ أصوليٌّ.
ولعلَّه غابَ عن بالِ شيخِنا أنَّ الإمامَ أبا إسحاقَ الشيرازيَّ قال في كتابه اللُّمَع في أصولِ الفقه ما نصُّه:
(ويُعتَبَرُ في صحةِ الإجماعِ اتِّفاقُ كلِّ مَن كانَ مِن أهلِ الاجتهادِ، سواءٌ كان مدرّسًا مشهورًا أو خاملاً مستورًا).

وقال الإمامُ الخطيبُ البغداديُّ في (الفقيهِ والمتفقّه) في بحثِ الإجماعِ: (ويعتبر في صحةِ الإجماعِ اتفاقُ كلِّ مَن كان مِن أهلِ الاجتهادِ سواءٌ كان مدرّسًا مشهورًا أو خاملاً، ولا فرق بين أن يكون المجتهدُ من أهلِ عصرِهم أو لحقَ بهم من أهلِ العصرِ الذي بعدَهم، وصار مِن أهلِ الاجتهادِ عندَ الحادثةِ كالتابعِ).

ونصَّ عليهِ غيرُهما، فكأنّني بشخصٍ ءاخرَ غيرِ شيخِنا يتكلّمُ في أصولِ الفقه، فلا حولَ ولا قوةَ إلا بالله.

هذا ولم يقل أحدٌ إنّه كانَ مجتهدًا صاحبَ مذهبٍ أو وجهٍ في المذهبِ حتّى يُلزَمَ بالظهورِ إنْ قلنا على قاعدةِ شيخِنا الغماريِّ.
وقد نقلَ النووي عن الإسفراييني في تهذيبِ الأسماءِ واللغاتِ في ترجمةِ الإمامِ الرافعيِّ أنهُ: (مجتهد زمانه في مذهب

الشافعي) مع أنّه كانَ مِن أهلِ الترجيحِ وهذا لا يخفى، وكذا قال عنه السيوطيُّ في طبقاتِ المفسّرين وغيرُهما.

فائدةٌ استطراديّة: إنْ قلتَ كيفَ يكونُ مجتهدًا خاملاً مستورًا.

قلتُ: بفرضِ العقلِ ممكنٌ والعبرةُ بالظاهرِ، كما أنّه قد يكونُ مِن فقهاءِ الجنِّ المجتهدينَ مَن يُخالفُنا ولا يُعتبَرُ بهِ في الإجماعِ والاجتهادِ، ونحنُ مأمورونَ أنْ نحكمَ بالظاهرِ، فإنْ ظهرَ وخالفَ فلا إجماعَ عندها، فإن انقرضَ العصرُ ولم يُعلَمْ مخالفٌ للمسئلةِ فالإجماعُ منعقدٌ.

كما لو أنّ مجتهدًا وافقَ المجتهدينَ ثم رجعَ عن اجتهادِه، فإنْ عُلِمَ فلا إجماعَ، وإنْ لم يُعلَمْ فالإجماعُ مستقرٌّ وينقرضُ العصرُ على عدمِ الخلافِ، والله تعالى أعلمُ وأحكم.

تفصيلٌ مهمٌّ

إنّ المُثبتَ مقدَّمٌ على النافي، وهذه قاعدةٌ ليست بالتشهّي والهوى، وبهذا الشكِّ المتقدمِ يُفتحُ بابٌ للطعنِ في الشريعةِ وفي ألوفِ الأحاديثِ التي لم يُعرفْ لراويها إلا واحدٌ روى عنه، الأحاديثُ المتونُ الصحيحةُ نحوُ خمسةٍ وعشرينَ ألفًا، والصحيحةُ كذلكَ، أمّا الأسانيدُ فمئاتُ الألوفِ.

فأبو إسحاقَ السَّبيعيُّ رضي الله عنه كانَ له مئاتُ المشايخِ الذينَ لا يعرفُهم غيرُه، ومَن شاءَ فليَلُذْ بكتبِ التراجمِ، فكيفَ بمَن ثبتَتْ روايةُ أكثرَ مِن ثلاثةٍ عنه معَ قرائنَ تدلُّ على تأكيدِ وجودِه، فليتّقِ اللهَ الخائضونَ بغيرِ علمٍ والذينَ يحكمُهم الهوى، أم ظنُّوا أنَّ الرفاعيةَ ليسوا مِن أهلِ العلمِ، بل واللهِ إنّهم على قدمِ شيخِهم وإمامِهم لا يُقِرُّونَ بغيرِ الشرعِ حكَمًا وميزانًا وفاصلاً بينَ الحقِ والباطلِ.

وارجع إلى كتابٍ جليلٍ وهو حِليةُ الأولياءِ للإمامِ الحافظِ أبي نُعَيمٍ الأصبهانيِّ، ومختصرِه صفةِ الصَّفْوَةِ للإمامِ الحافظِ

ابنِ الجوزيّ الحنبليّ تجدْ أمّةً مِن الأولياءِ الأخفياء وهم أهلُ علمٍ، لا يريدونَ الناسَ ولا يعرِفُهم أحدٌ، مثالُ ذلكَ قولُ ابنِ الجوزيّ فيه: (ذِكْرُ الْمُصْطَفَيْنَ مِن عُبّادِ جبلِ اللكّامِ: وهم قسمانِ مَن يُعرَفُ اسمُه ومَن لا يُعرَفُ)، وأمثالُ هذا كثيرةٌ.

أفأنتَ مُنكِرٌ أمّةً من أولياءِ اللهِ الصالحينَ والعلماءِ لأنّهم اعتزلوا الدنيا واشتغلوا بالعبادةِ.

فائدةٌ: جبلُ اللكّامِ واللُكَامِ قريبٌ من حماةَ بمحاذاةِ شيزر وأفامية وينتهي قربَ أنطاكية.

مثالٌ: قال ابنُ الجوزيِّ في صفةِ الصفوةِ:

(عابدٌ)، أبو سليمان الدارانيُّ قال: مررتُ في جبلِ اللكامِ في جوفِ الليلِ فسمعتُ رجلاً يقولُ في دعائِه: (يا سيّدي وأمَلي ومُؤمَّلي ومَن به تمَّ عملي، أعوذُ بك مِن بدنٍ لا ينتصِبُ بين يديكَ، وأعوذُ بك من قلبٍ لا يشتاقُ إليك وأعوذُ بك مِن دعاءٍ لا يصلُ إليكَ، وأعوذُ بك مِن عينٍ لا تبكي عليكَ، فعلِمْتُ أنه عارفٌ فقلتُ له يا فتى: إنَّ

للعارفينَ مقاماتٍ وللمشتاقينَ علاماتٍ، قال: وما هي، قلتُ: (كتمانُ المصيباتِ وصياناتُ الكراماتِ، فقال لي: عِظْني، فقلتُ: اذهَبْ ولا تُرِدْ غيرَه، ولا تَرُدَّ خيرَه، ولا تبخَلْ بشيئه عنه، قال زِدْني، قلت: اذهبْ فلا تُرِدِ الدنيا واتَّخِذِ الفقرَ غنًى والبلاءَ مِن اللهِ عز وجلَّ شفاءً والتوكلَ معاشًا والجوعَ حِرْفةً، واتخِذِ اللهَ لكلِّ شدةٍ عُدَّةً)، فَصُعِقَ صعقةً فتركتُه.انتهى، وأمثالُ هذا كثيرةٌ.

ولو عرفتَ مقامَ أبا سليمانَ الدارانيَّ لأعرضْتَ عن كلامِ شيخِنا وغيرِه مِن المشكّكِينَ بلا حجّةٍ، وها أنا أُفِيدُكَها:

أبو سليمانَ الدارانيُّ، شيخُ الإسلامِ وليُّ اللهِ العلَمُ الشامخُ والجبلُ الراسخُ، له كلامٌ إذا قرأتَه تعرفُ أنّه مستمَدٌّ مِن كلامِ النبوَّةِ، هو أحدُ أئمةِ العلماءِ العاملينَ، سمعَ الحديثَ مِن سفيانَ الثوريِّ وأبي الأشهبِ العطارديِّ وغيرِهما رضي اللهُ عنه ونفعَنا ببركاتِه ءامين.

فهذا الإمامُ الدارانيُّ على جلالتِه هو الذي شهدَ لذلك المجهولِ بأنّه (عارفٌ بالله)، فلِمَ لم يُكذِّبْ بوجودِهم شيخُنا ويكونُ قد ءاذَنَه اللهُ بالحربِ، فلا حولَ ولا قوةَ إلا بالله.

وقد حدَّثني الشيخُ الثقةُ جامعُ القراءاتِ العشرِ وغيرِها من العلومِ محمودُ بنُ منصور قَرطام عن اجتماعِه بأحدِ فقهاءِ المالكيةِ في المغربِ يعيشُ في غارٍ في أعالي الجبالِ ولا يَصلُ إليه إلا القِلّةُ، وطلبَ منّي أن نرحلَ إليهِ بعدُ، يسَّرَ اللهُ لي وله ءامين.

ولو كانَ مِن مشايخِ شيخِنا الغماريِّ فهل كانَ يرضى أنْ نكذِّبَ بوجودِه ونتّهمَه بأنه افتراه لأنّ كونَه فقيهًا يوجبُ ظهورَه، ولشقيقِه الحافظِ أحمدَ بنِ الصدِّيقِ مِن المشايخِ أمثالٌ وأمثالٌ، وكلُّنا مصدِّقٌ وعنهم نروي.

فاعلم رحمك اللهُ تعالى أنّ ما أتى به شيخُنا منكَرٌ عندَ أهلِ العلمِ، لا يتماشى مع قواعدِ الشريعةِ بمختلِفِ علومِها.

فصلٌ

مِن مكاشَفاتِ الإمامِ الرواسِ رضي الله عنه التي تجعلُكَ تقطَعُ بوجودِه وولايتِه قولُه في ديوانه معراجِ القلوب:

إني أرى شَيْخونَ في الشَّهْباءِ .. مثلَ الهلالِ يُرَى ببطنِ الماءِ

قلتُ: أبو الهدى هو المولودُ في خانِ شيخونَ كما تقدَّمَ، وهذا قد طُبِعَ في حياةِ أبي الهدى، وكان أبو الهدى في الأستانةِ إلى ءاخرِ عمرِه، وكان الظنُّ الغالبُ أنْ يُدفَنَ فيها، ودفِنَ هناك ثم في سنةِ ١٩٣٧ نُقِلَ جُثمانُه إلى حلبَ.

بل إنّ هذا مِن عجائبِ الإمامِ الرواسِ لأنّ أبا الهدى رضي الله عنه بسقوطِ الخلافةِ العليَّةِ هُجِّرَ واغترَبَ ثم كانَ دفنُه كما قالَ الإمامُ الرواسُ في حلبَ الشهباء، وأبو الهدى كغيرِه داخلٌ في الآيةِ: ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾، فكانَ كما قالَ الإمامُ الرواسُ مِن بابِ المكاشفةِ رضي الله عنه.

فهذه مِن كراماتِ الرواسِ العجيبةِ، وفيها مِنَ البلاغةِ ما لا يراهُ إلاّ العارفُ بهذا العلمِ، فقد شبَّهه بأنه رءاهُ ببطنِ الماءِ لا على سطحِ الماءِ، ولو أرادَ غيرَ الدفنِ لقال مثلاً:

(كالبدرِ يسطعُ فوقَ سطحِ الماءِ)

لكنّه خصَّ بطنَ الماءِ في هذا البيتَ بالذكرِ، وشبَّه أبا الهدى بالهلالِ لاتصالِ نورِه بالقاصي والداني، والنورُ تأويلُه العلمُ كما هو مشهورٌ مِن قصّةِ سيِّدِنا ابنِ عباسٍ وأبي جعفرٍ الإمامِ القارئِ وغيرِهما مِمَّن يصعُبُ حصرُه.

وهذا مثلُ قولِ أحدِهم في رثاءِ ممدوحِه:

ما كنتُ أحسَبُ قبلَ دفنِكَ في الثرَى
أنَّ الكــواكبَ في الترابِ تَغُورُ

وأظنُّ أنَّ شيخَنا لو قرأ هذا البيتَ وحدَه لتراجَعَ فورًا عن إنكارِ وجودِ السيّدِ الرواسِ، وقد أحسنَ وأجادَ الشيخُ الجندي مفتي معرةِ النعمانِ في تراجعِه عن إنكارِ وجودِه.

فصلٌ

زيادةً على ما تقدَّمَ فإنّ المطالِعَ لكتبِ الإمامِ الروّاسِ يجزمُ بأنّه فردٌ لا يأتي بهِ غيرُه، وقد طالعتُ كتبَهُ كثيرًا، ويزدادُ تعجّبي من بلاغتِه الفريدةِ التي لا يقوى عليها لا السيّدُ أبو الهدى ولا غيرُه، وإني أعلمُ أنّ حاسدِيه موقِنُونَ أنّ طريقةَ الإمامِ الرواسِ وطريقةَ السيّدِ أبي الهدى لا تشابُهَ بينهُما، بل إنّ شعرَ الرواسِ فيه مِن إعجازِ البلاغةِ الكثيرُ الكثيرُ، ومِن ذلكَ الشعرِ البديعِ الراقي قولُه رضي الله عنه:

ما هفهفَتْني نسمةُ الربيعِ .. إلاَّ أذابَتْ في الهَوَى جميعي

وقولُه رضي الله عنه:

لَمّا حضرتُ على بساطِ شهودي
أدركتُ ذوقًا كيفَ غابَ وجودي
وفهِمْتُ مِن طَوْرِ الحضورِ تحقُّقِي
في مشْهَـدِي بِعِبَـادَةِ الْمَـعبودِ
فهَجَرْتُ ذرَّاتِ الوُجُودِ لأنّـها
تَفْنَى، وطِبْتُ بحَضْرَةِ الْمَوْجُودِ

فيا هداكَ اللهُ، ويا رعاكَ اللهُ، إنّ هذا الكلامَ الذي بلغَ الغايةَ لم يأتِ بهِ أبو الهدى ولا ألفٌ غيرُه، رضي الله تعالى عنهم أجمعينَ، فافهَمْ هُدِيتَ، فإنك بعدَ الاطّلاعِ في سنينَ متطاولةٍ على كثيرٍ من جواهرِ الأدبِ وكلامِ الحكماءِ أئمةِ الدينِ والزهدِ والعارفينَ، تتيَقّنُ أنّ هذا الكلامَ لا يصدُرُ إلا مِن عارفٍ باللهِ فَنِيَ في حُبِّهِ فأنطقَهُ الحقُّ بصدقِ المحبّةِ التي بلغَتْ حالةَ الفناءِ عن الوجودِ في حبِّ الواحدِ الموجودِ، والأحدِ المعبودِ، (الله) ووالله لا شيءَ سوى (الله).

ومِن ذلك قولُه في وصفِ الأولياءِ وتقصيرِه عن اللحاقِ بهم:

فـــازُوا بِقُرْبِ مَلِيكِهِمْ .. وَرِكَـــابُهُم لَمْ تَنْثَنِ
طَــبَــعُوا على الذِّكْرِ القُلُو- بَ وناطِقَاتِ الأَلْسُنِ
وسَرَوْا لِحَضْرَةِ أُنْسِهِم .. وَتَوَسَّطُوا الرَّحْبَ السَّنِي
(وَأَنَا أَقُولُ وَرَكْبُهُم يَسْرِي بِهِم: يَــــا لَيتَنِي)

اللهَ اللهُ، وللهِ درُّهُ إمامًا وشاعرًا مُحِبًّا صادقًا، وفي هذا المقامِ كفايةٌ، ولو لم يكُنِ الغرضُ إلاّ الدفاعَ لزدتُ مِن دُرَرِ

كلامِه ما يُتَعجَّبُ منه، فقد كانَ حقًّا كما سُمِّيَ غريبَ الغرباء، فانيًا في حبِّ مولاهُ خالقِ الأرضِ والسماء، رحمه اللهُ تعالى، إنّ الزمانَ بمثلِه لبخيلُ.

فصلٌ

أحدُ مطاعنِ شيخِنا هي أنّ الكاذبَ بزعمِه لم يُتقِنِ الكذبَ فقال: أحمدُ الرفاعيُّ الكبيرُ، وقال إنّ هذا لم يُعرَفْ قبلَ أبي الشبّاكِ أحمدَ الرفاعيِّ الصغيرِ، وبعدَه كان اسمُه أحمدَ فقط.

وهذا كلامٌ مخترَعٌ، فإنّ المؤرِّخَ ابنَ تغري بردي قال في النجوم الزاهرة: وأصحابُه يركبونَ السباعَ ويلعبونَ **بالحيّاتِ، ويَتَعَلّقُ أحدُهم في أَطْوَلِ النَّخلِ ثم يُلْقِي نفْسَه إلى الأرضِ ولا** يتألّمُ، وكان يجتمع عنده كل سنة في المواسم خلقٌ عظيمٌ، وعِلْمُ الشيخِ أحمدَ بنِ الرفاعيِّ وفضْلُه وَوَرَعُهُ أشهَرُ مِن أنْ يُذْكَرَ، وهو أكثرُ الفُقَراءِ أَتْباعًا شرقًا وغَرْبًا، والأعاجمُ يُسَمُّونَه: سَيِّدِي أحمدُ الكبيرُ.انتهى

قلتُ: وهذا صحيحٌ، لأنّي رأيتُ كتابًا لمحمد علي أوخان موجودٌ في (الكلية الإسلامية الكبرى) في تركيا في ترجمةِ السيّدِ أحمدَ الرفاعيّ واسمُه باللغةِ التركيةِ (بُويُوك متصوّفْ سيّد أحمد رفاعي)، وكلمةُ بويوك عندهم تعني الكبير.

وتقدَّم قولُ العلاّمةِ مرتضى الزبيديّ: السيّدُ الكبيرُ.

فهذا وصفٌ قديمٌ بسيادته الكبرى مِن بابِ المدحِ لا بسببِ حفيدِه أبي الشبّاكِ رضي الله عنه.

وقد يُسَمّى بعضُ أحفادِه مِمّن اسمُه أحمد بالصغير، وليس مِن بابِ المقابَلةِ، كما نقولُ عن الرمليّ الشافعيُّ الصغيرُ وليس في مقابلةِ قولِنا عن إمامِ المذهبِ الشافعيُّ الكبيرُ.

ولا واللهِ لا أدري لماذا يأتي شيخُنا بهذه الأشياءِ قياسًا مِن عندِه دونَ بيّنةٍ شرعيةٍ، فلا حول ولا قوة إلا بالله.

وهذا الأمرُ ليس جديدًا، بل هو قديمٌ كما قال المقري في أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض في المقدمةِ:

على أنَّ ابنَ خلكانَ وغيرَه مِن المشارقةِ ربما يقعُ لهم الغلطُ في تاريخِ أهلِ المغربِ لِبُعْدِ الديارِ ولغيرِ ذلكَ مما لا يخفى على ممارسِ علمِ التاريخِ، كما أنَّ كثيرًا مِن المغاربةِ لا يُحَرِّرُون تاريخَ المشارقةِ لِمَا ذكَرناه، ولذا قالَ شيخُ الإسلامِ ابنُ حجرٍ في تأليفِه المسمى: (إنباءُ الغُمْر بأنباءِ العُمْر) حين عرَّفَ بشيخِه وليّ الدينِ بنِ خلدونٍ الحضرميّ المغربيِّ قاضي القضاةِ المالكيةِ بالديارِ المصريةِ: وهو صاحبُ التاريخِ الكبيرِ المشهورِ الموسومِ (ديوانُ العِبَر، وكتابُ المبتدإِ والخبرِ، في تاريخِ العربِ والعجمِ والبربرِ، ومَن عاصَرَهم مِن ذوي السلطانِ الأكبر) ما نصُّه: وصنَّفَ التاريخَ الكبيرَ في سبعِ مجلداتٍ ضخمةٍ ظهرَت فيه فضائلُه، وأَبَانَ فيه عن براعتِه، ولم يكن مطَّلِعًا على الأخبارِ على جُلَّتِها، ولا سيَّما أخبارَ المشرقِ، وهذا بَيِّنٌ لِمَن نظر في كلامِه.انتهى كلامُه

وإذا عُرِف السببُ بَطَلَ العَجَبُ، لكنْ لا يليقُ بِمَن شأنُه التحقيقُ أنْ يأخذَ بقيلَ وقالَ ويرويَ كلَّ غثٍّ وسمينٍ.

فصلٌ

وصرّح شيخُنا بأفضليةِ السيّدِ الباز الأشهب عبدِ القادرِ الجيلانيِّ قدّسَ اللهُ سرّه العظيمَ.

وهذا كلامٌ مِن أحلى الكلامِ، لكنْ ليس له حقٌّ فيهِ، ولا أحدَ يخوضُ في هذه المسائلِ، واللهُ أعلمُ بالحالِ، وكلُّهم ساداتُنا ومِن مَعِينهم ننهَلُ.

وكلُّ واحدٍ رأى مِن شيخِه ما لم يرَهُ مِن غيرِه، سواءٌ في الفقهِ أو الطريقةِ، وهذا حالُ المسلمينَ إلى أيامِنا هذه و(ليس الخبرُ كالمعايَنةِ) رواهُ أحمدُ، لكنْ ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ بَلِ اللهُ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ﴾.

وإنَّ القولَ بأفضليّةِ السيّدِ عبدِ القادرِ الجيلانيِّ بحرِ البركاتِ وشمسِ الهداياتِ المتتالياتِ المتواتراتِ لَشرَفٌ، وقولُ حقٍّ ما فيهِ صَلَفٌ، فنِعْمَ المفضَّلُ والإمامُ والقدوةُ هو رضي اللهُ عنه، فهنيئًا ثم هنيئًا لِمَن مَنَّ اللهُ عليهِ بنفحةٍ قادريةٍ.

مُلحَقٌ ببعضِ شهاداتِ نُقَباءِ الأشرافِ شرقًا وغربًا

الأولى ختمُ نقيب أشرافِ تونسَ السيدِ إدريسَ بنِ السيدِ سليمانَ الإدريسيِّ الحسنيِّ، ولاحظ كيفَ يكتبونَ حرفَ الفاءِ يُعجِمونَه بنقطةٍ تحتَ الحرفِ، وإن كانت فوقَه النقطةُ فهي قاف.

الثانية ختمُ السيّد محمد أمين العجلاني نقيب أشراف دمشق.

الثالثة نسبُ أحدِ الرفاعيينَ وثّقَه نقيبُ أشرافِ نابلسَ في فلسطينَ طهَّرَها اللهُ ءامين السيد عبد الله قراجا الرفاعي.

وهذه لأحدِ مشايخي في حلبَ الشهباءَ طهَّرَها اللهُ تعالى وهو السيِّدُ الشريفُ علي أبو المهدي السبسبي الرفاعي، وقد لقَّنَني وِردَ الصلاةِ على النبيِّ صلى الله عليه وسلم عن جدِّهِ شيخِ مشايخِ الرفاعيةِ السيّدِ عبدِ الرحمنِ السبسبي قُدِّسَ سرُّه العظيمُ وقال: الصلاةُ على النبيِّ صلى الله عليه وسلم شفاءٌ مِن كلِّ همٍّ وغمٍّ، ومَخْرَجٌ مِن كلِّ سوءٍ.

صلى عليكَ اللهُ يا أحَبَّ أحبابِ اللهِ زِنَةَ العرشِ ومِلْءَ الأكوانِ وكما يُحِبُّ ربُّنا ويرضى وكما يليقُ بجلالِ محبوبه الأعظم وسلَّمَ مثلَه تسليما وعلى ءالِه وخُلفائِه وصحبِه، وهذه صورةُ نسبِه الشريفِ:

هذه موثَّقةٌ مِن الدارِ العالميةِ لنشرِ وتحقيقِ وتوثيقِ الأنسابِ، وعليها أختامُ جماعةٍ كبيرةٍ مِن النسَّابينَ أهلِ المعرفةِ، وكفَى بها بيِّنَةً ساطعةً لا رَيبَ ولا شكَّ فيها، ومَن أرادَ التكبُّرَ أو المكابرَةَ فلقاؤنا يومَ تبيَضُّ وجوهٌ وتسوَدُّ وجوه، ثمَّ:

الدار العالمية
لنشر وتحقيق وتوثيق الأنساب

الرقم: ٣
التاريخ: ٢٠٠٩/٧/٢٢
الزمن: حلب والرقة
البيان: عزاز

الحمد لله وكفى والصلاة والسلام على جد السادة الأشراف الرسول المعظم السيد المصطفى وعلى آله السادة الأخيار الشرفاء ورضي الله تعالى عن صحابة رسول الله أهل الود والوفاء.

أما بعد: فقد وقعت الأمانة العامة للسادة الهاشميين واللجنة العلمية لتحقيق وتوثيق الأنساب كتاب بتاريخ ٢٠٠٨/٦/٢٨م. حول عدة مواضيع عن تزوير بعض الأنساب منها:

(آل النجرس وآل الفراوتي وغيرهم) والمقصود بآل الفروائي غير السادة الأشراف آل الحموي الفروائي الحسيني في حلب الشهباء والرقة والمصادق عليه من قبلنا ومن إعداد وتحقيق:

السيد الشريف النسابة المحقق صطوف الحسين الأصيل المنداوي الصيادي الرفاعي الحُسيني

والسيد الشريف النسابة المحقق علي حمزة السبسبي الرفاعي الحُسيني). والصادر لهم شهادات وبطاقة نسب عن طريق السيد الشريف محمد رمضان الحموي الفروائي الحسيني والسيد الشريف علي حمزة السبسبي الرفاعي الحُسيني وهذا المشجر والبطاقات والشهادات المذكورة صحيحة.

وقد تم تعيين السيد الشريف محمد رمضان الحموي الفروائي الحسيني أمين نسب السادة الأشراف آل الحموي الفروائي الحسيني في حلب.

وكل شخص غير مذكور في هذا المشجر المنظم من قبل السيد صطوف الحسين والسيد علي السبسبي والسيد محمد رمضان الحموي الفروائي الحسيني، من آل الفروائي ولم يتم الإقرار به من قبل أمين النسب السيد محمد رمضان الحموي الفروائي الحسيني، يعتبر نسباً مزوراً حتى يثبت عكس ذلك.

وبناءً على سوء الفهم الذي حصل وإدخال أسرة الفروائي الغير ثابتة مع أسرة صحيحة النسب لذلك اقتضى التنويه.

وبناءً على ما تقدم نجري قلم التصديق ومن الله تعالى العون والتوفيق.

نسخ إلى:

١- أمين وحامل النسب السيد الشريف محمد رمضان الحموي الفروائي الحُسيني.
٢- السيد الشريف صطوف الحسين الأصيل المنداوي الصيادي الرفاعي الحُسيني.
٣- السيد الشريف علي حمزة السبسبي الرفاعي الحُسيني.

كتبه خادم أنساب العترة النبوية بدمشق الشام
النسابة المحقق المؤرخ الدكتور الشريف
محمد منير الشويكي الحُسيني
الأمين العام لأنساب السادة الهاشميين
ورئيس اللجنة العلمية لتوثيق الأنساب
في الجمهورية العربية السورية

وهذه أُخرى كما تراها ناوَلَنيها أحدُ مشايخي الرفاعية في حلبَ الشهباءِ طهّرَها الله ءامين.

وفيها إثباتُ شرفِ النَّسَبِ لآلِ الصيادي الرفاعيةِ الحسينيةِ، ولَدَيَّ الكثيرُ من هذا بحمدِ اللهِ، وفي هذا كفايةٌ، وكما قلتُ لك، هذا الذي صدرَ من شيخِنا يؤاخذُ عليهِ شرعًا، فلا يجوزُ قطعُ نسَبِ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم، هذه لا مفرَّ منها والله المستعان.

أَلَمْ يخطرْ بباله أنّ رسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قد يتأذّى مِن فعلِه لو كانَ حيًّا، أو ما هو موقِفه يومَ القيامةِ وهم ءالُه، فهؤلاءِ أحفادُه وذُرّيّته الطاهرةُ، فيا رحمنُ سلِّمْ.

وعدمُ معرفةِ شيخِنا بالسيّدِ أبي الهدى دفعَه إلى الطعنِ في نسبِه الشريفِ، ولا يعلم شيخُنا أنّه كانَ نقيبَ الأشرافِ في مدينةِ حلبَ، وهذه لا ينالُها إلا مَن كانَ نسبُه واضحًا كالشمسِ في وسطِ السماءِ الصافيةِ.

فصلٌ في ردِّ القولِ الباطلِ إنَّ السيّدَ أحمدَ الرفاعيَّ لم يُعْقِب

هذا القولُ إنما قالَه ابتداءً ابنُ خلّكانَ ثمَّ تبعَه القومُ بعدَه مقلِّدِينَ له تقليدًا محضًا لا غيرُ وما أكثرَهُ وأقبحَه في كتبِ التاريخِ، حتى قال الحافظُ ابنُ حجرٍ عن تاريخ العينيّ إنه أخذَهُ مِن مؤرِّخٍ قبلَه وتبِعَه في أوهامِه حتى في الأشياءِ التي يرويها أنّه رءاها بنفسِه فيرويها عن نفسِه، فلا يَغُرَّنَّكَ هذا.

والعارفُ بهذا الأمرِ يجدُ أنّه وهمٌ كبيرٌ، لأنَّ الواقعَ يشهدُ بخلافِه، فالسيّدُ أحمدُ تزوّجَ وأعقبَ ذكورًا وإناثًا، وإنكارُه قولٌ ناشئٌ عن قلّةِ معرفةٍ، والحجةُ مُلزِمةٌ قائمةٌ على الجاهلِ لأنَّ المثبتَ مقدَّمٌ على النافي، وقد تقدَّمَ في الأنسابِ الموثّقةِ اتّصالُهم، وقد أفحَشَ الشايعُ وافترى على السيّدِ أبي الهدى أنّه اخترعَ زينبَ بنتَ السيّدِ أحمدَ رضي الله عنه، وهذه وثائقُ ونقولٌ خارجةٌ عن كتبِ الأنسابِ التي نشرَها السيّدُ أبو الهدى تُثبِتُ بوضوحٍ أن الشايعَ امرؤٌ مفترٍ لا هو أمينٌ ولا صاحبُ علمٍ هداهُ اللهُ وتابَ عليهِ ءامين.

قد مرَّ عن الجلالِ اللاريِّ في جلاءِ الصدا أنّ السيّدَ أحمدَ عزَّ الدينِ الصيادَ هو ابنُ زينبَ بنتِ السيّدِ أحمدَ.

وأزيدُه ترجمةَ السيّدةِ زينبَ رضي الله عنها، وهذه صورتُه من الكتاب:

الخفر وتوفيت ولم تخلف غيرهما وتزوج بعدها

نفيسة بنت سيدي محمد من القاسمية الذي يعرف بابي بن

خلف فاولدت له سيد اسماعيل وسيد عثمان وستي عا

يشة وستي زينب وستي خديجه وستي فاطمه ذكورهم اثنان

والاناث اربع وتزوج سيد عبد الرحيم بن عثمان بستي

زينب فاولدت سيد شمس الدين محمد وسيد قطب الد

ين ابا الحسن علي وسيد عز الدين احمد وسيد ابا القاسم

طاعتك على الفقراء واجبة بكت بين يدي السيد احمد مرة

وقالت كيف حالي بعدك ابقى انا وحيدة ويغلق باب

المسرة والابتهاج في وجهي فقال رضي الله تعالى عنه اهل

المملكة يخدمونك وقولك مسموع والنعمة عليك باقية

فانقاد اهل البيت لها مدة حيوتها وكانت تنفق على ضريح

زوجها وتظهر وتسمع الجواب منه وما اكرم احد بعد وفاة

زوجها بالولاية الاوهي كانت عارفة به سالت ربها في

خلافة سيد محمد الموت فتوفيت ليلة الجمعة نصف الليل

العاشر من شوال سنة ثلث عشر وستماية ودفنت في

القبة المباركة ومنهم الست الصابرة والخاشعة الذاكرة

والولية الكاملة والصفية العارفة والورعة الفائقة والسائقة

الواجدة والمتقدمة على كبار الرجال بخصايص المعالي وجلا

يل الاحوال صاحبة اعالي الرتب ام الرجال ستي زينب نور

الله تعالى ضريحها ويغشى بفضله صحيفها لبست الخشن

من الثياب وتركت الطيب من الطعام والشراب وكانت

قد ارخت الحجاب وتخلت لعبادة الملك الوهاب وقنعت

بدون العيش مع القدرة ولزمت حنين ابيها وتبعت اثر

طريقتها المذلة والانكسار وعادتها المسكنة والافتقار

كان السيد احمد رضي الله عنه يقول انا خلفت رجالا

والناس يظنون اني خلفت امراة وقال السيد عمر الفاروثي

كنت ذات يوم عند السيد احمد فاطلعني على كثير من اسراره ثم

اخذ بيدي ودخل بيته على ستي زينب فقال لي سلم عليها

واسالها ان تدعو لك فاردت ستي زينب فقبل راسها ثم قال

لي اي عمر سلم عليها واخدمها واسالها ان تدعو لك وفي ربك

ففعلت ذلك ثم قلت في نفسي الاولى انه كان يامرني بالخدمة

والتعظيم لستي رابعة فانها اكبر سنا فالتفت الي السيد

احمد رضي الله تعالى عنه وقال اي عمر ليس الامر كما خطر

لك اي عمر ان الله تعالى وعدني ان يحيي بها الاثار و

يعمر بها الديار وقال فقالت ستي زينب اي سيدي

تعيش انت وتعيش سيد صالح ويجعل الله تعالى وتبقى

هذه واحدةٌ، وهي مأخوذةٌ مِن الكتبِ المتقدِّمةِ الذكرِ مِن شفاءِ السقامِ للكازَرونيِّ وغيرِه.

أمّا الثانيةُ فهي مِن سلسلةِ أئمةٍ أجلاّءَ وهي سندُ الخرقةِ الرفاعيةِ كما وردَ في كتابِ ابتغاء القُربة باللباسِ والصحبة لابنِ عطيةَ العوفي مِن تلاميذ ابنِ الجزريِّ، وهذه صورتُه:


بسم الله الرحمن الرحيم
الجزء الأول من ابتغا القربه باللباس
والصحبه

يقولُ: ولَبِسها والدي رحمه اللهُ والشيخُ محمدُ بنُ مخلصٍ مِن يدِ شيخِهما علاءِ الدينِ مُغُلطاي بنِ قليج وهو لبسها مِن يدِ شيخِه عزِّ الدينِ عبدِ العزيزِ المنوفي وهو لبسَها مِن يدِ شيخِه أبي الفتحِ بنِ أبي الغنائمِ الواسطيِّ نزيلِ الإسكندريةِ وهو لبسَها مِن يدِ شيخِه أحمدَ الرفاعيِّ.

ولبسها علاءُ الدينِ مغلطاي أيضًا مِن يدِ شيخِه نورِ الدين أبي الحسنِ عليِّ (بنِ) جابرٍ الهاشميِّ وهو لبسَها مِن يدِ شيخِه شمسِ الدينِ أبي العباسِ أحمدَ المستعجلِ وهو لبسها من يدِ جَدِّه لأمِّه أحمدَ الرفاعي، ولبستها مِن يدِ والدي..انتهى

وعبدُ العزيزِ المنوفي هو شيخُ الإسلامِ الديريني، وهذا يُثبتُ أنّ الإمامَ علاءَ الدينِ مغلطاي الحافظَ المشهورَ رفاعيُّ المشربِ.

فهذا حفيدانِ للسيّدِ أحمدَ الرفاعيِّ قُدِّسَ سرُّه، وهذا الإسنادُ مسلسلٌ بالأئمةِ ويكفي فيه الإمامُ مغلطاي رضي الله عنه، فماذا ينفعُ قولُ ابنِ خلكانَ بعدَ هذا.

مسئلةٌ: حتى تعرفَ ما عاناهُ أبو الهدى مع هؤلاءِ القومِ، فإني قد بيّنتُ لكَ أنّ الإمامَ مغلطاي رفاعيُّ المشرَبِ، ولو لم أُبيِّنْه موثّقًا، لبادرَ البعضُ إلى اتهامي كما اتُّهم أبو الهدى.

وقد رأى الإمامُ الفقيهُ الرحّالةُ ابنُ بطوطةَ حفيدَ السيّدِ أحمدَ بعينيه فقال في رحلتِه عند ذكرِ البصرة: وصادفْنا به قدومَ الشيخِ أحمد كوجك حفيدِ وليِّ اللهِ أبي العباسِ الرفاعيِّ الذي قصدْنا زيارتَه. وقد قدم من موضع سكناه من بلاد الروم برسم زيارته قبر جده.انتهى

وقال: ويقرُبُ منها بلدةُ سُونُسَى وضبط اسمها بضم السين المهمل وواو مد ونون مضموم وسين مهمل مفتوح، وهي لصاحب العراق أيضًا، وبها سُكْنَى أولادِ ولي الله تعالى أبي العباس أحمد الرفاعي، منهم الشيخُ عزُّ الدينِ وهو الآن شيخُ الرواقِ وصاحبُ سجادةِ الرفاعي.انتهى

وأهلُ مكّةَ أدرى بشعابِها وليس الخبرُ كالمعاينةِ، والقولُ بأنه لم يُعقِب قولٌ مخالفٌ للصوابِ لا يُلقَى له بالٌ.

أمّا قولُ ابنِ عنبةَ إنّ الإمامَ الرفاعيَّ لم يدَّعِ النسبَ فالمقصودُ بهِ ترجمةٌ معيّنةٌ كما هو مذكورٌ في كتابه.

وأمّا ما يروى عن ابنِ ناصرِ الدينِ أنّه لم يُعقِب فقد مرّ الجوابُ عنه، وأمّا ما قيلَ عنهُ (وإنّما الذي وصل إلينا وساقه الحفاظُ وصحّ لدينا أنه أبو العباسِ..... بن رفاعةَ المغربيُّ الأصل...)

فالجوابُ عنه: (إنْ صحَّ عنه) فمَن حفظَ حجةٌ على مَن لم يحفَظْ، وأهلُ المعاينةِ والمشاهدةِ أثبتوا وهم ثقاتٌ علماءُ،

فالذي صحّ لديه غيرُ صحيحٍ بالمرةِ، ولو رأى كلامَ هؤلاءِ لما قال (صح لدينا)، وليست المسئلةُ مِن بابِ صحيحٍ وأصحَّ، بل مِن بابِ صحيحٍ وباطلٍ، وما صحَّ لديهِ باطلٌ لعدَمِ صحّةِ الأصلِ، إنما قاله مَن لا خبرةَ له بالإمامِ أحمدَ قُدِّسَ سرُّه.

هذا يُذكِّرُني بقولِ شيخِنا الغماريّ عن الحافظِ ابنِ ناصرِ الدينِ إنّه لو اطَّلَع على حقيقةِ عقيدةِ ابنِ تيميةَ لما أَلَّفَ الردَّ الوافرَ، ولا عبرةَ بالتعديلِ مقابلَ الجرحِ المفسَّرِ بالإجماعِ.

والحافظُ عبدُ اللهِ بنُ الصدّيقِ شيخُنا وملاذُنا ومَن عرفه مِن كتابه الردّ المحكم المتين عرفَ أنّه جهبذٌ وفخرُ المحدّثينَ وأنَّ مثلَ هذا لا يؤثّرُ على مقامِه العالي الرفيعِ ويكفي في فضلِه نصرُ السنّةِ وقمعُ البدعةِ بالأدلةِ الدامغةِ، وهذا الذي خالفَنا فيه إنما هو فرعٌ خالفَ فيهِ بتأويلٍ فاقتضى البيانَ بالحقّ.

تمّت هذه العجالةُ والحمدُ للهِ أوّلاً وءاخرًا سبحانَه وتعالى

سلسلةُ إحياءِ علومِ الدين (٣)

ردُّ مَن اعتدى على السيّدِ الصيّاديّ أبي الهدى

مؤسسة الكتب الثقافية

بسم الله الرحمن الرحيم

ردُّ مَن اعتدى على السيّدِ الصيّاديّ أبي الهدى

بسم اللهِ الرحمنِ الرحيم

الحمدُ لله والصلاةُ والسلامُ على سيّدي رسولِ الله وبعدُ:

فإنّ السيّدَ أبا الهدى الصيّاديَّ الحسينيَّ الرفاعيَّ رضي اللهُ عنه ليس امرأً كغيرِه مِن المشايخِ، إنّه شيخُ مشايخِ الإسلامِ في عصرِ الخلافةِ وامتدَّ تولّيهِ المناصبَ من زمنِ الخليفةِ عبدِ العزيز خان رحمه اللهُ إلى ءاخرِ عهدِ الخليفةِ عبدِ الحميدِ الثاني قُدّسَ سرُّه.

والمتأمّلُ للتاريخِ يعرفُ أنَّ كلمةَ (قاضي القضاةِ) قديمًا كانت عظيمةً وهي أعلى المراتبِ، فكيفَ بمَن امتدَّت مشيَختُه على جميعِ بلادِ الخلافةِ في أنحاءِ الأرضِ.

وتركيا كانت مُجتمَعَ الفقهاءِ وهم معروفونَ بتشدُّدِهم، ويدقّقونَ كثيرًا، ومنهم مَن يتطاولُ على الشافعيةِ وغيرِهم في شيءٍ صغيرٍ مِن هيئاتِ الصلاةِ كما في الشرحِ الثاني

المطبوعِ بهامش بريقة محمودية ص١٢٢ فقد جاءَ فيه عبارة (كما يفعلُه الجهّالُ مِن الشافعية) سبحانَ الله، بل قرأتُ في أحدِ كتبِهم عن مسئلةٍ للإمامِ مالكٍ فقال: (هذا قولٌ سخيفٌ)، وءاخَرُ قالَ عندما جرى الكلامُ في مسئلةٍ لغويّةٍ وهو عجميٌّ ليس عربيًّا، فردَّ على الإمامِ الشافعيِّ رضي الله عنه أفقهِ الأمةِ في اللغةِ بلا مدافعٍ قائلاً: هذا جهلٌ باللغةِ، فانظر إلى جرأتِه، سبحان الله.

ومَن كان يُحصي الفقهاءَ في حدودِ الخلافةِ الإسلاميةِ كثرةً، فهذا الإمامُ كانَ أعظمَ الشخصياتِ رضي الله عنه ولم يبلغْ سنَّ الثلاثينَ بعدُ.

وكانَ عربيًّا بَحْتًا مِمّا أثارَ ضغينةَ الكثيرينَ مِن مشايخِ الأتراكِ، وكانَ ملاذَ العربِ ويقضي حاجاتِهم بتواضعٍ شديدٍ، وأنْ يكونَ رئيسَ مجلسِ مشايخِ الخلافةِ أو شيخَ الإسلامِ في زمنِ الخلافةِ مع توفُّرِ أُمّةٍ مِن الفقهاءِ يعني أنّه على قدرٍ عالٍ جدًّا مِن الثقةِ والعلمِ في مختلفِ العلومِ،

وهكذا كان، وكانَ في أوّلِ أمرِهِ في العشريناتِ تولّى القضاءَ في خان شَيخون ثم نقابةَ الأشرافِ فيها، وهذا يلزَمُ عليهِ كونُه شريفَ النسَبِ مع القطعِ بهذا الأمرِ، ثم نقيبَ أشرافِ حلبَ وهو دونَ الثلاثينَ ثم ألزمَه الخليفةُ السكنَ في الأستانةِ.

إنّ وجودَه قُربَ السلطانِ كان شوكةً في حلقِ أدعياءِ العلمانيةِ، فأثاروا عليهِ الكلَّ مِن غيرِ العربِ حولَه، والعربَ مِمّن قدَرُوا على استمالتِه كالطباخِ، واللهُ المستعانُ.

وهو عدلٌ على ما تقتضيه القاعدةُ الشرعيةُ، ومَن اشتُهِرَ بعدالتِه وعلمِه وتطابقَ عليهِ الناسُ، لا يُقبَلُ فيه جرحُ جارحٍ إلاّ ببيِّنةٍ شرعيّةٍ معتبرَةٍ، ولم يأتِ أحدٌ مِمّن حاول غمزَه مِن العربِ إلا بقيلَ ويُقالُ وما شابَه مِمّا لا يُلتفَتُ إليه.

وانظُرْ رحمَكَ اللهُ، فقد ذهبوا وذهبَتْ بركةُ عملِهم معهم، فقليلاً ما تجدُ أحدَهم يُذكَرُ، أمّا أبو الهدى السيّدُ العَلَمُ فمذكورٌ بيننا بالخيرِ كيفمَا تقلّبْنا.

هو صاحبُ اليدِ البيضاءِ التي لأجلِها اتُّهِمَ بأنّه يُحاولُ أنْ يُعيدَ الخلافةَ إلى العربِ، لكنَّ السلطانَ عبدَ الحميدِ رضي الله عنه كانَ رجلاً صالحًا، أدرى بمَن وثِقَ، والسيّدُ أبو الهدى بقي معه ينافِحُ عن الإسلامِ ويُناضلُ حتى كانت مشيئةُ اللهِ، وشتّانَ بينَه وبينَ ابنِ العلقميِّ الذي بسببِه ذلّتِ الخلافةُ العباسيّةُ، واللهُ المستعان.

أمّا الكتبُ التي انتشرت أيامَه واتُّهمه بافتعالِها بعضُ مَن ليس لديه صائبُ نظرٍ واللهُ حسيبُهم، فقولٌ لا وزنَ له ولا يُلقَى له بالٌ أنْ ينتقِدَ السيّدُ أبو الهدى على حرصِه على نشرِ كتبِ الطريقةِ الرفاعيةِ، وأيُّ غرابةٍ في هذا والكلُّ يفعلُه ويحاولُ أنْ يُبرزَ مكنونَ المسائلِ فيما يعتقدُه، وأبو الهدى رضي الله عنه كانَ له ما لم يكن لغيرِه مِن جاهٍ ونفوذٍ مِمّا

سهّلَ له الحصولَ على ما لم يستطِعْهُ غيرُه، إنّما المُخجلُ هو المبادرةُ إلى التشنيعِ وإطلاقِ التهمِ الزائفةِ مِمّن لم يأتِ بدليلٍ واحدٍ على صحةِ دعواهُ، وحسابُهم عندَ اللهِ فما فعلوا شيئًا يدلُّ على صدقِهم ونزاهتِهم، وجاءوا بجرحٍ مبهَمٍ في مقابلةِ تعديلٍ غايةٍ في التفسيرِ، وما فعلوا شيئًا إلا أنْ ضيّعوا أوقاتَنا وشغلونا بالنظرِ والجمعِ والردِّ على افتراءاتِهم، فإنّا للهِ وإنّا إليهِ راجعون، هؤلاءِ هم أهلُ القيلِ والقالِ وطالبو الشهرةِ على مبدأ خالِفْ تُعرَفْ.

ولا أعني به شيخَنا ابنَ الصدِّيقِ، فهو مِن الذينَ لا يُنكَرُ فضلُهم وعلمُهم ومكانتُهم، إنّما أعني أمثالَ الطباخِ الذي لم يُحسِنْ طبخَ طعنِه وعندَ اللهِ الملتَقَى والمحشَرُ:

حسدوا الفتى إذ لم ينالوا سعيَهُ .. فالقومُ أعداءٌ له وخصومُ

وللإمامِ الدِّيرينيِّ رضي الله عنه قصيدةٌ تناسبُ في شرحِ حالِهم وهي:

إنْ شئتَ تُدْعَى فقيهَ قَــومٍ ... فَــطَوِّلِ الكُــمَّ ثــمَّ عَمِّمْ
واجعَلْ على الرأسِ طيلسانًا ... واعقِدْ على المنكبينِ واختِمْ
واجلِسْ معَ القومِ في صياحٍ ... لا بالبــخاريْ ولا بمسلِمْ
إلاَّ زعيــقٍ ونَفْضِ كُــمٍّ ... ولا وَلَمْ لا ولا أُسَــلِّمْ
وإنْ رَأَوا الوقفَ يأكُلُــوهُ ... وقد نَسُــوا العِلْمَ والمُعلِّمْ
ثــيابَهُم بَيَّــضُوا رِيَــاءً ... وقلبُــهُم بالسَّــوَادِ مظلِمْ
فإنْ ترَىْ في الوَرَى فقيــهًا ... فَصِحْ وقُلْ: يا سلامُ سَلِّمْ

وقد حاولَ السيّدُ السامرّائي استيعابَ ما تيسّرَ له في كتابه (جنايةُ الشايع)، وهو جزءٌ كبيرٌ من الكتبِ، وقد بقيَ أشياءُ، منها:

- الوتري صاحبُ (روضةِ الناظرينَ) الإمامُ الصالحُ، ولعلَّ وجودَه نفيًا وإثباتًا هو الذي حرَّكَ طعنَ الطاعنينَ في السيّدِ أبي الهدى، وليسوا معذورينَ بقِلّةِ مواردِهم، لأنّهم حاولوا إثباتَ وجودِهِ ولم يُقدَّر لهم أنْ يجدوا شخصًا اسمُه الوتري، فوجدوه مطعنًا في السيّدِ أبي الهدى، فأقولُ:

في كتابِ تحفةِ الأبرارِ وهو (جامعُ الأنوار في مناقبِ الأخيار) لحسين مرتضى أفندي نظمي زاده المتوفى سنةَ ١١٣٦ هجرية، باللغةِ التركيّةِ وهو مخطوطٌ سترى صورتَه ألّفَه بناءً على طلبِ حاكمِ بغدادَ في ج٣ص٥ ويقولُ فيه باللغةِ التركيةِ القديمةِ: (ذكرُ الشيخِ محمدٍ الوتريِّ عليه الرحمةُ) كشّاف الحقايق حلاّل الدقايق رئيس وقتى الشيخ محمد الوتري عليه الرحمة أكثر أوقات بربركاتلرين مدح نبيّ أمين عليه صلوات رب العالمين طرف ايدوب زهد وتَقْوَا

وعلوم شتّا ايله مشهور اولدوقلرندن غيري بين الناس معروف وأنواع بركات ايله موصوف اولان قصيدة وتريّة عزيز مشار إليه حضرتلرينك تأليفي اولوب حالا أرباب طريقة وسلوك قصيدة مذكورة قرائن جالب الخيرات وباعث الحسنات عدا يدوب عين جمع ايله قراءت وتكراينه مداومت ايدرلر عزيز مشار اليهك مزادير انوارلري بغداد ده سوق سرّاجانده شيخ محمد قدوري ايله واقع اولوب حالا زيارتكاه جنّت اشتباهدر. انتهى بحروفه، وقد يُفهَمُ المقصودُ منه.

قلتُ: هذا والدُ السيّدِ أحمدَ صاحبِ روضةِ الناظرين، والمؤلّفُ في هذا المخطوطِ لم يذكُرْ سوى السيّدِ محمدٍ رضي الله عنه، ولم يذكرْ السيّدَ أحمدَ الرفاعيَّ قُدِّسَ سرُّه ولا السيّدَ أحمدَ الوتريَّ ولدَه لأنّ الكتابَ مختَصٌّ بذكرِ المدفونينَ في بغدادَ وما جاورَها دونَ غيرِها، والسيّدُ محمدٌ الوتريُّ رفاعيٌّ وسيأتي تفصيلُه.

ذكرجوانمرد قصّاب عليه الرحمه الزاهد التواب والمرشد الاواب جوانمرد قصّاب عليه الرحمه محبوب القلوب برمرد مرغوب اولوب حالا اهل صنايعك اكثري عزيز مشار اليه حضرتلرينه مريدا ولوب كرامات فاخره واشارات ظاهره سن نقل ايدرلر مزادير انوارلري بغدادده باب سفينه قريب واقع اولوب حالا زيارتكاه جنّت اشتباهدر ذكر الشيخ محمد الوتري عليه الرحمه كشاف الحقايق حلاّل الدقايق رئيس وقته الشيخ محمد الوتري عليه الرحمه

ثمَّ جاءَ معرَّبًا في جامع الأنوار في مناقبِ الأخيار ص٦١٢ للعلاّمةِ عيسى صفاءِ الدين البندنيجي وهو تعريبُ الكتابِ التركي مع استدراكاتٍ يقولُ فيه:

(الشيخُ محمدٌ الوتريُّ) ومنهم الشيخُ محمدٌ الوتريُّ عليهِ الرحمةُ، قال المؤلفُ ما معناه: إنه مِن المشهورينَ بالزهدِ والورعِ والتقوى، وكانَ يصرفُ أكثرَ أوقاتِه في مدائحِ سيّدِ المرسلينَ صلى الله عليه وسلم، ومِن نظمِه القصائدُ المشهورةُ بالوتريّاتِ المرتّبَةِ على حروفِ الهجاءِ في مديحِ سيّدِ الأنبياءِ.

وتلقّته أربابُ الطريقةِ بالقَبول، واتّخذوها جالبةَ الخيراتِ والمنى والسؤالِ ولم يزالوا يُداومونَ على قراءتِها ويُلازمونَ على تلاوتِها في ليالي رمضان.

توفِّيَ ببغدادَ ودُفنَ في سوقِ السرّاجين، في مرقدِ الشيخِ أحمدَ القدوريِّ، قلتُ: قد سِيقَ في ترجمةِ أحمدَ القدوريِّ بيانُ ذلك السوقِ والمكانِ الذي دُفِنَ فيه.انتهى بحروفه

وفي العقدِ اللامعِ الموجودِ في دار صدّام للمخطوطات رقم ٩٠٤٩ ما نصُّه: الشريفُ شمسُ الدينِ الوتريُّ الوصفيُّ البغداديُّ محمد بنُ أحمدَ، ولدَ بالمَوْصِلِ سنةَ ٨٢٠ هجريةً وهاجرَ إلى بغدادَ والتحقَ بخدمةِ الشيخِ سراجِ الدينِ الرفاعيِّ، تُوُفِّيَ سنةَ ٩٠١ هجرية.انتهى بحروفِه

قلتُ: والسيّدُ سراجُ الدينِ الرفاعيُّ المخزوميُّ هو صاحبُ كتابِ صحاحِ الأخبارِ الذي ينقُلُ عنه الوتريُّ في روضةِ الطالبين، فهو شيخُ شيخِه.

وقد ذكرَ السيّدُ السامرائيُّ في جنايةِ الشايعِ أنّه يعرفُ أحدَ أحفادِ السيّدِ أحمدَ بنِ محمدٍ الوتريّ صاحبِ روضةِ الناظرينَ وأخبرَهُ أنّه استطاعَ أنْ يُثبِتَ صحةَ نسبِه إلى الوتريّ مؤلّفِ الكتابِ.

قلتُ: وذكرَهُ وكتابَه صاحبُ معجَمِ المؤلّفينَ ورمزَ له أنَّ اسمَه مذكورٌ في مخطوطاتِ المكتبةِ الظاهريةِ.

وقد عاصرَ أبو الهدى في العراقِ ١٢٨٢ - ١٣٤١ السيّدَ يحيى بنَ قاسمِ بنِ جليلِ الوتريَّ، قال في معجمِ المؤلّفين: فاضل عراقي، ولد ببغداد، وتولى التدريس في بعض المساجد، ثم كان قاضيا شرعيا في بلدة الكاظمي، ومدرسا للعربية في دار المعلمين.

مِن ءاثاره: رسائلُ في علمِ الفلَكِ والرسالةُ الوتريةُ في النحو.انتهى، والبقيةُ عندَ اللبيب.

وكلُّ هذا موافقٌ لِمَا نُقِلَ مِن كتابِ عقودِ اللآل وأنّه تُوُفِّيَ سنةَ ٩٨٠ هجرية.

أمّا محمدُ بنُ أبي بكرٍ بن رشيدٍ الوتريُّ البغداديُّ فلعلّه جَدُّه، لكنّه تُوفِّي في تِنّيسَ كما قال المقريزيُّ في المقفّى وهذه صورتُه حتى لا يُتّهم السيّدُ أبو الهدى في قبرِه:

1915 – الرجيليّ صاحب القصائد الوتريّة [– 662]

محمد بن أبي بكر بن رُشَيد ، البغداديّ ، أبو عبد الله ، الرجيليّ ، الواعظ ، صاحب القصائد المعروفة بالوتريّة .

قال منصور بن سليمان : قدم مصر والإسكندريّة . وأعاد بنظاميّة بغداد ، ورأيتُه بها . وجلس للوعظ بالإسكندريّة بالجامع . وكان عارفاً بالفقه والخلاف ، طاهر البدن والصلاح .

ثمّ دخل إفريقيّة وأقام بها وتحوّل بالغرب ودخل مرّاكش ورجع وحجّ وعاد إلى المغرب فتوفّي بتنيس بعد قدومه من الحجّ في أواخر سنة أثنتين وستّين أو أوائل سنة ثلاث وستّين وستّمائة .

– سراجُ الدينِ المخزوميُّ الرفاعيُّ رضي الله عنه.

جاءت ترجمتُه في العقدِ اللامعِ مطابقةً لترجمتِه في ءاخرِ صحاحِ الأخبارِ في النسخةِ الهنديةِ ص١٤٤، وفي جامعِ الأنوارِ المتقدِّمِ ذكرُه بالتركيةِ ثم العربيةِ والنصُّ للعربيةِ ص٦٠٨: ومنهم الشيخُ سراجُ الدينِ عليه الرحمةُ، هكذا ذكرَهُ المؤلِّفُ ولم يُسمِّهِ، وقال: إنّه مِن مشايخِ العراقِ صاحبِ الكراماتِ الصادقةِ والأحوالِ الرائقةِ، ومدفَنُه قربَ مشهدِ الشيخِ محيي الدينِ عبدِ القادرِ الجيلاني ظاهرٌ يُزارُ.انتهى قلتُ: وعلى قبرِه الآنَ جامعٌ كبيرٌ تُقامُ فيه الدوابتُ[٧] والجُمَعُ على طرفِ ضريحِه مِن داخلِ السوقِ حجرٌ منقوشٌ: هذا مرقدُ الشيخِ سراجِ الدينِ مِن مشايخِ الشيخِ عبدِ القادرِ الجيلانيِّ، ولعلهُ مِن مشايخِه الذينَ قرأَ عليهم.انتهى كلامُه

(٧) هكذا وردَتْ ولعلّها الضوابطُ، وإلاّ فلا أعرفُ ما هي.

قلتُ: وهذا خطأٌ ولعلَّ بعضَ الناسِ ظنوهُ شيخَه لأنّه مدفونٌ عندَه، فقد قالَ الإمامُ عبدُ الغنيّ النابلسيُّ في رحلتِه المعروفةِ باسم (الحقيقةُ والمَجاز) ص١٩٧ ما نصُّه:

لكنْ هناكَ ما يقتضي كونَه هو قبرَ يوشعَ النبيّ عليه السلامُ، مما اشتملَ عليهِ مِن المهابةِ والجلالةِ وعِظَمِ قبرِه، وقرائنَ أخرى تُشيرُ إلى ذلك، وأما ما ذكرناه مِن تلكَ الكتابةِ على القبرِ فلعلَّها مِن جاهلٍ بالألقابِ اللائقةِ بالأنبياءِ عليهمُ السلامُ. انتهى بحروفِه

وكثيرًا ما يحصُلُ هذا الخطأُ، وقد رأيتُ منه الكثيرَ، وفي مقبرةِ (باب صغير) بدمشقَ حماها اللهُ تعالى نحوُ هذا مِمّا يُخطئُ فيه الناسُ.

وقد جاءَ في العقدِ اللامعِ ص١٦٩ تمامًا كما جاءَ في كتابِ تراجمِ الرفاعيةِ هو ابنُ الشريفِ نجمِ الدينِ المباركِ محمد خزام السليم بن السيدِ شمسِ الدينِ عبدِ الكريمِ الواسطيّ وتُوُفّيَ سنةَ ٨٨٥ هجريةً. انتهى نقلاً عن محقّق جامع الأنوار

قلتُ: هو عينُ ما في ترجمتِه في كتابِ صحاحِ الأخبارِ.

أمّا الإمامُ الشعرانيُّ فقال في اليواقيتِ والجواهرِ ص٨ ما نصُّه:

وكانَ الشيخُ سراجُ الدينِ المخزوميُّ شيخُ الإسلامِ بالشامِ يقولُ... وهذه صورةُ الموضعِ مِن الكتابِ:

انتهى كلام الشيخ مجد الدين رحمه الله تعالى ، وكان الشيخ سراج الدين المخزومي شيخ الاسلام بالشام يقول اياكم والانكار على شيء من كلام الشيخ محيي الدين فان لحوم الاولياء مسمومة وهلاك أديان مبغضهم معلومة

وهذه صورةٌ مِن مخطوطٍ في جامعةِ الملكِ سعود، رقم الصنف: ٢١٤/ي.ش، الرقم العام: ١٦٥٢، تاريخُ الكتابةِ سنة ١٠٢٩ هجرية.

وما على اذا لم يفهم البقر [illegible] انتهى كلام الشيخ مجد الدين رحمه
وقد كان الشيخ سراج الدين المخزومي شيخ الاسلام بالشام يقول اياكم
والانكار على شيء من كلام الشيخ محيي الدين فان لحوم الاولياء مسمومة
وهلاك اديان مبغضيهم معلومة وبغضهم تنفر وما [illegible]

وهذه صورةُ أُخرى مِن جامعة أميركيةٍ واللهُ المستعان وتاريخُ كتابتِها في سنة ١٠٥٨ هجرية:

انتهى كلام الشيخ مجد الدين رحمه الله تعالى وقد كان الشيخ سراج الدين
المخزومي شيخ الاسلام بالشام يقول اياكم والانكار على شيء من كلام الشيخ محيي الدين
فان لحوم الانبيا مسمومة وهلاك اديان مبغضيهم معلومة ولبعضهم تنصّر
ومات على ذلك ومن اطلق لسانه فيهم بالسب ابتلاه الله تعالى بموت القلب

وكان الفراغ من كتابة هذه النسخة المباركة
في يوم السبت ثامن شهر رمضان المعظم
سنة ثمانية وخمسين وألف على يد
العبد الحقير العاجز المذنب الفقير
عبد الرحمن محمد المنشاوي
الشافعي التراب[illegible]

وهذا مدحٌ عظيمٌ أنْ يكونَ شيخَ الإسلامِ بالشامِ.[٨]

وقد حاولَ أحدُهم أنْ يُبرهنَ ما يزعمُه كذبَ أبي الهدى الصياديّ رضي الله عنه حيثُ إنّ أبا الهدى زعَمَه زعمًا صحيحًا أنّه مِن تلاميذِ شيخِ الإسلامِ البُلقيني، وهذا الطاعنُ جاهلٌ لا علمَ لديهِ ولا مرادَ له إلا أن يطعنَ واللهُ حسيبُه.

وقد جاءَ في كتابِ اليواقيت والجواهر للإمامِ الشعرانيّ رضي الله عنه ما صورتُه:

---

[٨] والشامُ حدُّها مِن نهرِ الفراتِ إلى حدودِ مصرَ إلى أنطاكيةَ، وينتهي الفراتُ بصبِّ مائِه في دجلةَ في واسطَ أو بينَ واسطَ والبصرةِ. انظرْ معجمَ البلدانِ للعلاّمةِ ياقوتٍ الحمويّ.

الفقراء لعرفوا اصطلاحهم وأمنوا من مخالفة الشريعة * قال شيخ الاسلام المخزومي وقد كان الشيخ محيي
الدين بالشام وجميع علمائها تتردد اليه ويعترفون له بجلالة المقدار وانه أستاذ المحققين من غير انكار
وقد أقام بين أظهرهم نحوا من ثلاثين سنة يكتبون مؤلفات الشيخ ويتداولونها بينهم انتهى * وقال
الفيروزابادي قد كان الشيخ محيي الدين بحر لا ساحل له ولما جاور بمكة شرفها الله تعالى كان البلد اذ ذاك
مجمع العلماء والمحدثين وكان الشيخ هو المشار اليه بينهم في كل علم تكلموا فيه وكانوا كلهم يتسارعون الى
مجلسه ويتبركون بالحضور بين يديه ويقرؤن عليه تصانيفه قال ومصنفاته بمكة الى الآن أصدق
شاهد على ما قلناه وكان أكثر اشتغاله بمكة بسماع الحديث واسماعه وصنف بها الفتوحات المكية كتبها
من ظهر قلب جوابا لسؤال سأله عنه تلميذه بدر الحبشي ولما فرغ منها وضعها في سطح الكعبة المعظمة
فأقامت فيه سنة ثم أنزلها فوجدها كما وضعها لم يبتل منها ورقة ولا لعبت بها الرياح مع كثرة أمطار مكة
ورياحها وما أذن الناس في كتابتها وقراءتها الا بعد ذلك * قال وأما ما أشاعه بعض المنكرين عن الشيخ
عز الدين بن عبد السلام وعن شيخنا الشيخ سراج الدين البلقيني انهما أمرا باحراق كتب الشيخ محيي الدين
فكذب وزور ولو أنها أحرقت لم يبق منها الآن بمصر والشام نسخة ولا كان أحد نسخها بعد كلام
هذين الشيخين وحاشاهما من ذلك ولو أن ذلك وقع لم يخف لانه من الامور العظام التي تسير بها الركبان في
الآفاق ولتعرض لها أصحاب التواريخ * وقال الشيخ سراج الدين المخزومي كان شيخنا شيخ الاسلام
سراج الدين البلقيني وكذلك الشيخ تقي الدين السبكي ينكران على الشيخ في بداية أمرهما ثم رجعا عن
ذلك حين تحققا كلامه وتأويل مراده وندما على تفريطهما في حقه في البداية وسلما له الحال فيما

من نسبه الى القول بالحلول والاتحاد ولم أزل أتتبع كلامه في العقائد وغيرها وأكثر من النظر في أسرار
كلامه وروابطه حتى تحققت بمعرفة ما هو عليه من الحق ووافقت الجم الغفير المعتقدين له من الخلق
وحمدت الله عز وجل اذ لم أكتب في ديوان الغافلين عن مقام الجاحدين لكراماته وأحواله انتهى
كلام الشيخ سراج الدين البلقيني قال تلميذه شيخ الاسلام المخزومي رحمه الله تعالى ولما وردت القاهرة عام
توفي شيخنا سراج الدين البلقيني وذلك في عام أربع وثمانمائة ذكرت له ما سمعت من بعض أهل الشام في
حق الشيخ محيي الدين من أنه يقول بالحلول والاتحاد فقال الشيخ معاذ الله وحاشاه من ذلك انما هو من أعظم
الائمة وممن سبح في بحار علوم الكتاب والسنة وله اليد العظيمة عند الله وعند القوم وقدم صدق عنده * وقال
المخزومي فقوي بذلك نفسي وكثر اعتقادي في الشيخ من تلك الساعة وعلمت انه من رؤس أهل السنة

واللهُ تعالى أعلمُ وأحكمُ.

- الإمامُ الدِّيرينيُّ وانتماؤه إلى الإمامِ الرفاعيِّ وتأليفُ كتابٍ يتعلقُ بمناقبِ الإمامِ الرفاعي وهو كتابُ (غاية التحرير) وهذه صورة المصدر:

AL-DAYAH AL-RAZI	MIRSAD AL-IBAD	869/1464	OR 11610	CC	17264-73
AL-DIMASHQI	AL-RISALAH AL-MAKKIYAH	17C AD	DEL AR 63 n	SAL 1350	39648-49
AL-DIRINI	GHAYAT AL-TAHRIR FI NASAB AHMAD AL-RIFAI AL-KABIR	19C AD	OR 9089	CC	17168
AL-DIRINI	TAHARAT AL-QULUB WA-KHUDU LI-ALLAM AL-AGHUYUB	13-14C AD	IO ISL 4102	SAL 1731	39626-29
AL-DIRINI	TAHARAT AL-QULUB WA-KHUDU LI-ALLAM AL-AGHUYUB	1281/1865	OR 4271	ACS 235	17930-34
AL-FANARI	[illegible]	17C AD	DEL AR 1858	[illegible]	[illegible]

وهذه موجودةٌ في اليابان بحسب البيانات، ونسخة تشير إلى مرجع ألماني، ولم أعرف أين توجدانِ تحديدًا، وهذا غاية ما ظفرتُ به، وتاريخُ هذه يعودُ إلى القرن التاسع عشر الرومي أي قبل سنة ١٩٠٠، ولا أدري إن كانت مقابَلةً أو عليها تملُّكٌ، لكن الكتابَ موجودٌ والحمد لله.

وأقولُ: قال الذهبيُّ في تاريخِ الإسلامِ بعد ذكرِ شيءٍ من سيرةِ السيِّدِ أحمدَ الرفاعيِّ رضي الله عنه ما يلي:

نقلتُ أكثرَ ما هنا عن يعقوبَ من كتابِ مناقبِ ابنِ الرفاعي رضي الله عنه جمعِ الشيخِ محيي الدينِ أحمدَ بن سليمانَ الهماميّ الحسينيّ الرفاعيّ، شيخِ الرواقِ المعمورِ بالهلاليةِ بظاهرِ القاهرةِ، سمعه منه الشيخ أبو عبد الله محمد بنُ أبي بكرٍ بن الشيخ أبي طالبٍ الأنصاري الرفاعي الدمشقي ويعرف بشيخِ حطّين، بالقاهرة سنة ثمانين وستمائة.... إلى ءاخرِه كلامِه.

وإذا نظرتَ في كتابِ (غايةِ التحريرِ) للإمامِ الدِّيريني فإنّه يقولُ:

أخبرنا شيخنا سلطان العلماء عبد العزيز أبو محمد الشيخ عز الدين بن عبد السلام الشافعي قدس الله سره قال: قرأت في كتاب الشيخ الصوفي العارف الصالح المتمسك بالسنة المحمدية بقية السلف السيد الشريف محيي الدين أحمد بن سليمان الحسيني الرفاعي الهمامي قدس الله روحه ومن خطه نقلت هذه الصحيفة، يقول الفقير إلى الله تعالى عبد العزيز بن أحمد الدميري عفا الله عنه: وأنا

نقلتها من خط شيخنا شيخ الإسلام عز الدين عبد العزيز ابن عبد السلام وقرأها بعد نقلها عليه.انتهى

وفي هذا النصِّ عندَ مَن مارسَ وأتقنَ علمَ الحديثِ ما يلي: الأمانةُ في النقلِ حيثُ صرَّحَ بطريقةِ حصولِه عليها، ولم يكتفِ بالعنعنةِ كما يفعلُه كثيرٌ مِن الرواةِ مِمّن أخذ عن الصحابةِ فمَن بعدَهم.

وليس ما قالَهُ الإمامُ الديرينيُّ حشوًا، بل هذا مِن حكمتِه وإتقانه ليُبَيِّنَ أنّه قرأَها على سلطانِ العلماءِ هذا الكلامَ، لأنّها في الأصلِ وجادةٌ.

ولو تأمّلتَ النصَّ قليلاً لوجدتَ أنّ أبا الهدى رضي الله عنه، لو أرادَ افتعالَ النصِّ لصرَّحَ بسماعِ الديريني من الإمامِ العزِّ بنِ عبدِ السلامِ، ولَصرَّحَ العزُّ بسماعِه من الهُمامي.

هذا والإمامُ الديرينيُّ يتمدَّحُ كثيرًا باتّباعِه الطريقةَ الرفاعيةَ والانتسابِ إليها حتى قال عنه ابنُ العمادِ في شذَراتِ الذهب فيمَن تُوُفِّي سنةَ ٧٠٠ ما نصُّه:

أبو محمدٍ عبدُ العزيزِ بنُ أحمدَ بنِ سعيدِ بنِ عبدِ اللهِ الدَّمِيريُّ الدِّيرينيُّ نسبةً إلى دِيرينَ قريةٍ بصعيدِ مصرَ الفقيهُ الشافعيُّ العالِمُ الأديبُ الصوفيُّ الرفاعيُّ أخذ عن الشيخِ عزِّ الدينِ بن عبدِ السلامِ وغيرِه مِمَّن عاصرَه ثم صحِبَ أبا الفتحِ بنَ أبي الغنائمِ الرَّسْعَني وتخرَّجَ به وتكلَّمَ في الطرائقِ وغلب عليه الميلُ إلى التصوفِ، وكان مقرُّه بالريفِ ينتقل مِن موضعٍ إلى موضعٍ، والناس يقصِدُونه للتبرك به.انتهى

وقد وصفه ابنُ قاضي شُهبَةَ في طبقاتِ الشافعيةِ بأنّه الديريني المصري الفقيه العالم الأديب الصوفي الرفاعي أخذ عن الشيخ عز الدين ابن عبد السلام وغيره ممن عاصره.

ونقلَ عنهُ التاجُ السبكيُّ في طبقاتِه في ترجمتِه ما يدلُّ على تعلُّقِه الشديدِ بالسيِّدِ أحمدَ الرفاعيِّ قُدِّس سِرُّه:

اللهُ ربِّـي وحسبي .. اللهُ أرجـو وأحمَدْ
وشافِعِي يومَ حشري .. خيرُ الخلائقِ أحمَدْ
صلَّى عليـه إلهي .. أوْفَى صلاةٍ وأحمَدْ

ومالِـكٌ والحَنيفي .. والشافِعيُّ وأحمدْ
وسيِّدي ابنُ الرِّفاعي .. قُطبُ الحقيقةِ أحمد
هذا مَقَـالُ الدَّمِيري .. عبدِ العزيزِ بنِ أحمد

وتقدَّمَ ما عنه الإمامُ الجليلُ ابنُ الملقّنِ مِن أرجوزَتِه في التصوُّفِ في طبقاتِ الأولياءِ في فصلِ الأرجوزةِ الوجيزةِ للديريني ص٥٢٤ وفيها:

وقدْ تعلَّقتُ بقُطْبِ العصرِ ... منهم، فنحنُ في سَنَاهُ نَسْري
شيخِ الأنامِ أحمدُ الرِّفَاعي ... حيـنَ أتانا مِن حِماهُ داعي
فنحنُ بينَ أحمدٍ وأحمدِ ... وشيخِنا القُطْبِ الشريفِ أحمدِ

وفي نسخةٍ أخرى: فنحنُ بينَ أحمدٍ وأحمدي، وهو وجيهٌ لأنَّ مِن الآخذينَ عنهُ تقيُّ الدينِ بنُ الحسنِ الرفاعيُّ فهو أحمديٌّ وعنه أخذَ لبسَ الخرقةِ كما في طبقاتِ ابنِ الملقّنِ.

وقولُه في قصيدتِه اللاميّةِ كما نقلَها ابنُ الملقّنِ ص٥٢٣:

والشيخُ أحمدُ سيِّدي ذو الهمةِ
الْعَلْياءِ والتحقيقِ والفضلِ الجَلي

ابنُ الرفاعيِّ الذي رُفِعَــت له
أعــلامُ صدقٍ من بُزاةِ المَوْصِلِ
قد كان يَسمُو همةً ومعارفًــا
أنــفاسُه فوقَ السِّماكِ الأَعْزَلِ
شيخي أبو الفتحِ الوليُّ الواسِطِي
مِنْــهُ إلى أهلِ الرِّواقِ تَوَصُّلِي
تلميذُ أحــمدَ سيِّدِي أنفــاسُه
عنه شِفَاهًا دونَ حَجْبٍ فَيصَلِ
بايعتُه عُمْرًا على شَــرْطِ الوَفَا
عَقْدًا على التحقيقِ غيرَ مُبَدَّلِ
وقطعتُ في أيامِه زَمَنَ الصِّبَا
حتّى قضيتُ على موثَّقِهِ وَلِي
فأنا الفقيرُ الأصغرُ الراجي الذي
ما زلتُ ذا فَقْدٍ حَلِيفَ تَطَفُّلِ
والسادةُ الأبرارُ مِنْ أصحــابِه
في حُبِّهِم قد صحَّ عِقْدُ توسُّلِي

فشيخُ الإسلامِ الدِّيرينيُّ رضي الله عنه رفاعيٌّ محضٌ شديدُ الانتماءِ إلى الرفاعيةِ وبايعَ عليها عمرَهُ كلَّه ، ولله الحمدُ.

- البرزنجيُّ السيِّدُ الشريفُ أبو القاسمِ بنُ السيِّدِ إبراهيمَ البرزنجيُّ صاحبُ (إجابةُ الداعي في بعضِ مناقبِ السيِّدِ ابنِ الرفاعي)

فليس وهمًا مِن اختراعِ أبي الهدى كما افتراهُ المفترون، بل هو مذكورٌ قبلَ أبي الهدى بنحوِ قرنٍ، جاءَ في تحفةِ المحبينَ والأصحابِ في فصلِ الباء (بيت البرزنجي) وهم أشرافٌ ما نصُّه وقد فرغ مصنِّفُه منه بقولِه: مِن شهورِ افتتاحِ سنةِ ١١٩٧ مِن هجرةِ مَن له دام العزُّ والشرفُ والتمكينُ:

فأما السيِّدُ إبراهيمُ فمولدُه في سنة ١١١٢ وتوفي سنة ١١٨٢ وأعقب من الأولاد: أبا القاسم، وحسنًا ضري العين، والشريفة عائشة.

فأما أبو القاسم فمولدُه في سنة ١١٥٨ واشتغل بطلب العلم، وهو في غاية الحذق والفهم، ذو أخلاق رضية

وكمالات مرضية، وله من الأولاد: السيد عمر، مولده سنة ١١٧٨.

ثمّ قال عن أحدِ البرزنجيين: وأعقبَ الشريفةَ صالحةَ زوجةَ السّيدِ أبي القاسمِ بن السيّد إبراهيمَ، وولدين توأمين في جمادى الأولى سنة ١١٨٧.انتهى أي كلاهُما برزَنجيٌّ سيِّدٌ من الأشراف.

فها هو رضي الله عنه حقيقةٌ ومخصوصٌ بينهم بالعلمِ والفهم والكمالات، وليس وهمًا كما افتراه بعضُ مَن حقَدَ على سيِّدي أبي الهدى رضي الله عنه.

وله في جامعةِ أمِّ القُرَى كتابٌ مخطوطٌ بخطِّ يدِه في قسمِ التراجمِ واسمُه (الروضُ الزهيّ في فضلِ بيتِ ءالِ النبيّ) رقم: ٢٩٥. صلّى اللهُ على سيِّدِنا محمدٍ وسلّم تسليمًا كثيرا.

والعجبُ العُجابُ أنّ ءالَ البرزنجي على شهرتِهم وشريفِ نسبِهم وعلوّ مقامِهم أيامَ الخلافةِ الإسلاميةِ العثمانيةِ أعادَ اللهُ مجدَها لَم يُعرفْ عن أحدٍ منهم أنّ هذا الكتابَ مفترًى

مع أنّهم تُشَدُّ إليهم الرحالُ لطلبِ العلمِ في مدينةِ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم وعلى ءالِه وصحبِه.

- كتابُ (ترياقُ المحبِّينَ في سيرةِ سلطانِ العارفين) لشيخِ الإسلامِ الواسطي: ذكرَه حاجي خليفة (كاتب جلبي) في كشفِ الظنونِ، وهذا الكتابُ فرغَ منه مؤلِّفُه رحمه الله سنة ١٠٦٢ هجرية تقريبًا، أي قبل ولادةِ السيّدِ أبي الهدى بقرنينِ.

قال فيه: درياق المحبين لعزِّ الدينِ أحمدَ بنِ إبراهيمَ الفاروثيِّ الرفاعي المتوفى سنة ٦٩٤.انتهى[٩]، لكنّه خطأٌ ولعلّهُ من الناسخِ في نسبتِه فإنّه لشيخِ الإسلامِ تقيِّ الدينِ الواسطي

---

[٩] يقالُ دِرياقٌ وتِرياقٌ وطِرياقٌ ودَرياقٌ، وقال رؤبةُ بنُ العجّاجِ وهو أشهرُ مَن أنشأَ الرَّجزَ:

قد كنتُ قبلَ الكِبَرِ الطِّلْخَمِّ - وقبلَ نَحْضِ العَضَلِ الزِّيَمِّ
رِيقِي ودِرْياقي شِفاءُ السُّمِّ

أرادَ بالكبرِ الطِّلْخمِّ شِدّةَ الكبَرِ، والنحضُ رِقةُ العضلِ وذهابُه، والزِّيَمُّ هنا الشديدُ أيضًا، وقد توسّعَ فيها صاحبُ اللسانِ فانظُرْه.

رضي الله عنه، أما كتابُ الإمامِ الفاروثيّ فهو (إرشادُ المسلمين).

والكتابُ أيضًا موجودٌ منه مخطوطٌ منسوخٌ في القرنِ الحادي عشرَ أي كذلك قبلَ أبي الهدى بنحوِ قرنينِ في معهدِ المخطوطاتِ العربيةِ التابعِ لجامعةِ الدولِ العربيةِ برقمِ: (تاريخ:١٧٥)، وقرأتُ نسخةً ناقصةً قدرَ النصفِ تعودُ إلى القرنِ الثامنِ الهجريّ.

وذكرَهُ اللاريُّ في جلاءِ الصَّدَى الآتي ذكرُه وفيه صورةُ المخطوطِ باسمِ هذا الكتابِ.

- **(شفاءُ الأسقام في سيرةِ غوثِ الأنام)** للإمامِ إبراهيمَ الكازَروني، كذلك ذكرَهُ اللاريُّ في جلاءِ الصَّدَى الآتي ذكرُه وفيه صورةُ المخطوطِ باسمِ هذا الكتابِ.

- **(جلاء الصدى في سيرة إمامِ الهدى)** لأحمد بنِ جلالِ الدينِ اللاّريِّ المصريِّ الحنفيِّ.

يوجدُ منه ثلاثُ نُسَخٍ:

الأولى في جامعةِ لايبتسيك (لايبتسيش) الألمانية، تاريخُ النسخِ: سنة ١٠٢٩ هجرية، وهي نسخةٌ قديمةٌ، أي قبلَ قرنينِ مِن ولادةِ السيِّدِ أبي الهدى.

الثانية في مكتبة الأسد في دمشقَ رقم (ص م٥٧٥) تاريخ النسخ: ١٠٨١، وجاءَ في بيانها:

(نسخة مصححة ــ في ءاخرها تملُّكٌ ليحيى القادري سنة ١١١٢هـ)

الثالثة: في جامعةِ ميتشيغان الأميركيةِ وتاريخُها مجهولٌ، والناسخُ عفا اللهُ عنه بخيلٌ ليس رفاعيًّا ولا أدري ما هو، بخيلٌ يقولُ (صلعم) عند ذكرِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم، وترى أحدَهم يكتُبُ ما يُفيدُ وما لا يُفيدُ ويُمضي الوقتَ في التفنُّنِ في تزيينِ الكتابِ، وينسى أنَّ تزيينَه بالصلاةِ على حبيبي محمدٍ صلى الله عليه وسلم لا يُدانِيه في جمالِها شيءٌ.

وهذه صورةُ المخطوطِ وفيه إثباتُ الكتبِ الثلاثةِ أيضًا:





فالكتبُ الثلاثةُ موجودةٌ قبلَ أبي الهدى وليست كما زعمَ المفترون أنّه اختلَقَ هذه الأسماءَ، اللهُ يهديهم ويُصلِحُ حالَهم.

- (طبقاتُ الأبرار) لعليِّ بنِ غانمٍ الخطيبِ الشافعي البقاعي.

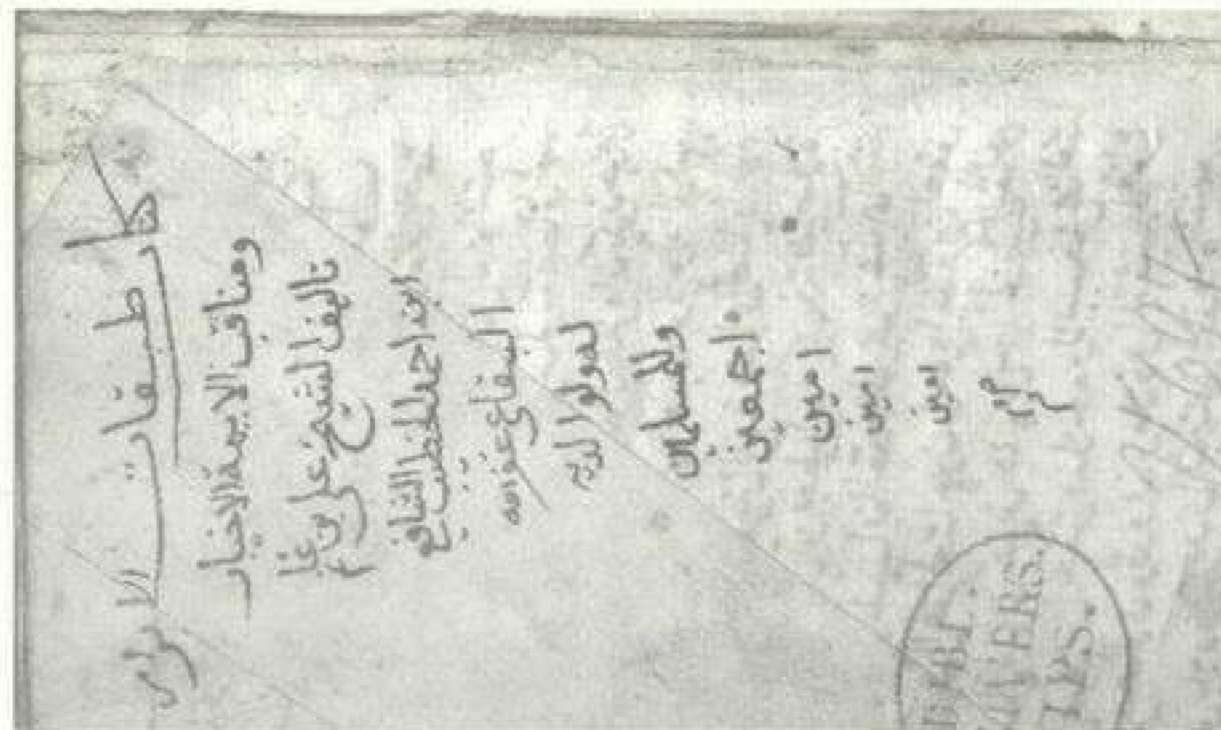
مخطوطٌ، ذكر فيه في الجزءِ الثالثِ، الورقة ٤٠ ما نصُّه عند ذكرِ كراماتِ السيِّدِ أحمدَ الرفاعيِّ قُدِّس سرُّه: ومِنها رضي

اللهُ عنه ما حدَّثنا بهِ شيخُنا البدرُ العزيزيُّ رحمه اللهُ تعالى أنه قال: لما حجَّ سيّدُ أحمدُ الرفاعيُّ ووصلَ إلى المدينةِ المشرَّفةِ وقفَ على ضريحِ النبيّ صلى الله عليه وسلم وأنشَدَ:

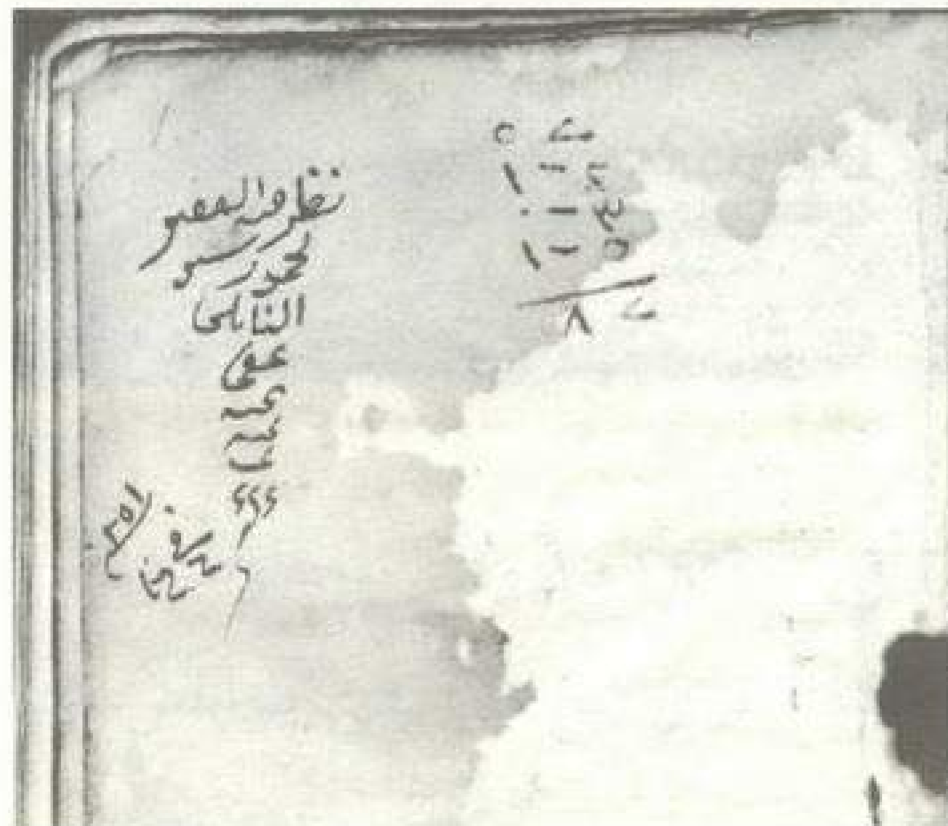
في حالةِ البُعدِ روحي كنتُ أُرسِلُها
تُقَـــبِّلُ الأرضَ عني وهي نائبتي
وهذه دولةُ (الأشياخِ) قد حضرَتْ
فامدُدْ يمينَكَ كي تحظَى بها شفتي

فخرجَتْ اليدُ الشريفةُ مِن القبرِ الشريفِ فقبَّلَها ورجعَتْ والناسُ ينظُرونَ جهارًا ونهارًا. انتهى بحروفه

هذا المخطوطُ قديمٌ مكتوبٌ على جزئهِ الثاني (نظر فيه الفقير محمود سيّد النابُلسي عُفِيَ عنه سنة ٨٥١)، وهذه صورُ المخطوطِ:



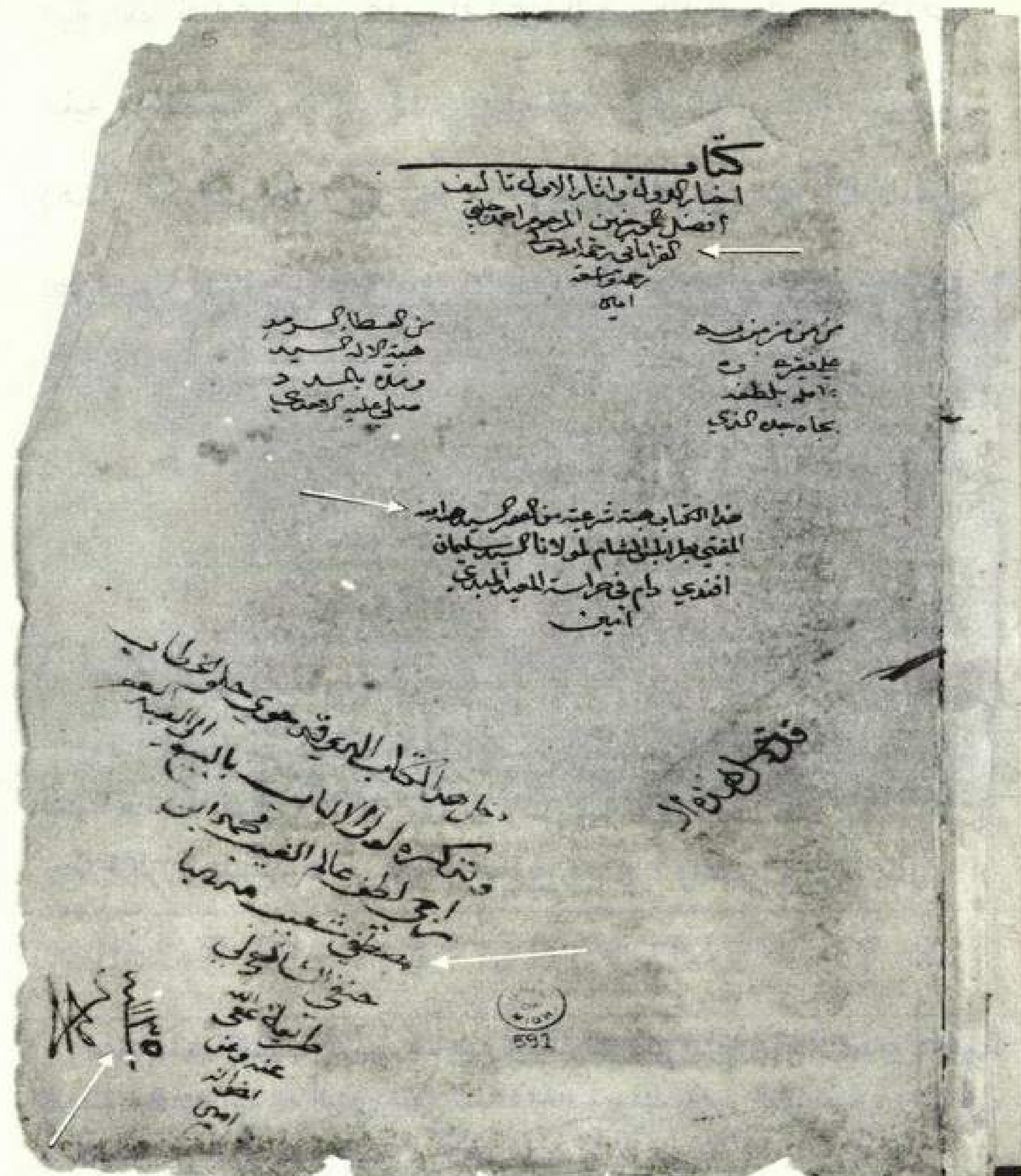
[illegible] رضي الله عنه ما حدثنا به شيخنا البدر العزيزي
رحمه الله تعالى انه قال لما حج سيد احمد الرفاعي ووصل
الى المدينة المشرفة وقف على الضريح النبي صلى الله عليه وسلم وانشد
في حالة البعد روحي كنت ارسلها * تقبل الارض عني وهي نايبتي
وهذه دولة الاشياخ قد حضرت * فامدد يمينك كي تحظى بها شفتي
فخرجت اليد الشريفة من القبر الشريف * فقبلها ورجعت
والناس ينظرون جهارا ونهارا [illegible] رضي الله عنه



- (تاريخُ القرماني) **أحمد جلبي** وهو كتابٌ شُنِّعَ فيه على أبي الهدى رضي الله عنه، وثارَتْ ثورةُ الطاعنينَ بسببِه.

وأفصَحَ - إن صحَّ عنه - جمالُ الدين القاسمي عن جهلِه وحقدِه، وهو رجلٌ معروفٌ له كتابٌ في مصطلحِ الحديثِ وتبِعَه مَن فرحَ بفضيحتِه فقال: **(والقرماني اسم بلا مسمى انتحله الصيادي وعزا له كتابًا كان لفَّقَه على عادتِه، عليه ما يستحقُّ في الافتراء والاختلاق).**

قلتُ: بل هذه في حقِّكَ أنتَ، فعليكَ ما تستحقُّ في الافتراءِ والاختلاقِ، وهذا البيانُ يكشفُ مدى افترائِكَ وتطاولِكَ بما يُسقِطُ صدقَكَ وأمانتَكَ واللهُ المستعانُ، والصوَرُ أوّلاً:



والقرمانيُّ توفِّيَ سنةَ ١٠١٩ وهذا المخطوطُ قديمٌ كما يظهرُ وهو موثَّقٌ كما هو واضحٌ مِن مفتي طرابلسَ الشامِ السيِّدِ

هبةِ اللهِ أفندي ابنِ علي أفندي البصيرِ الحموي، مكتوبٌ عليه ما نصُّه:

(هذا الكتابُ هبةٌ شرعيةٌ من الفقيرِ السيّدِ هبةِ اللهِ المفتي بطرابلسَ الشامِ لمولانا السيّدِ سليمان أفندي دام في حراسةِ المُعيدِ المُبْدِي ءامين)

وقد ترجمَه الإمامُ عبدُ الغنيِّ النابلسيُّ في رحلتِه (الحقيقة والمجاز) سنةَ ١١٠٥ هجرية في ص٢٠٣ كما يظهرُ فيهما:

في ضيافة الوزير

وقد كان[16] مفتي الحنفية بطرابلس الشيخ الإمام ، والحبر الهمام ؛ الحسيب النسيب السيد هبة الله أفندي ، لما بلغه وصولنا أرسل إلينا جماعة ليَنْزِلَنا عنده ، فأخبرناهم أن حضرة الوزير المذكور ، أمر بنزولنا عنده في السرايا ، واعتذرنا إليهم في ذلك .

—

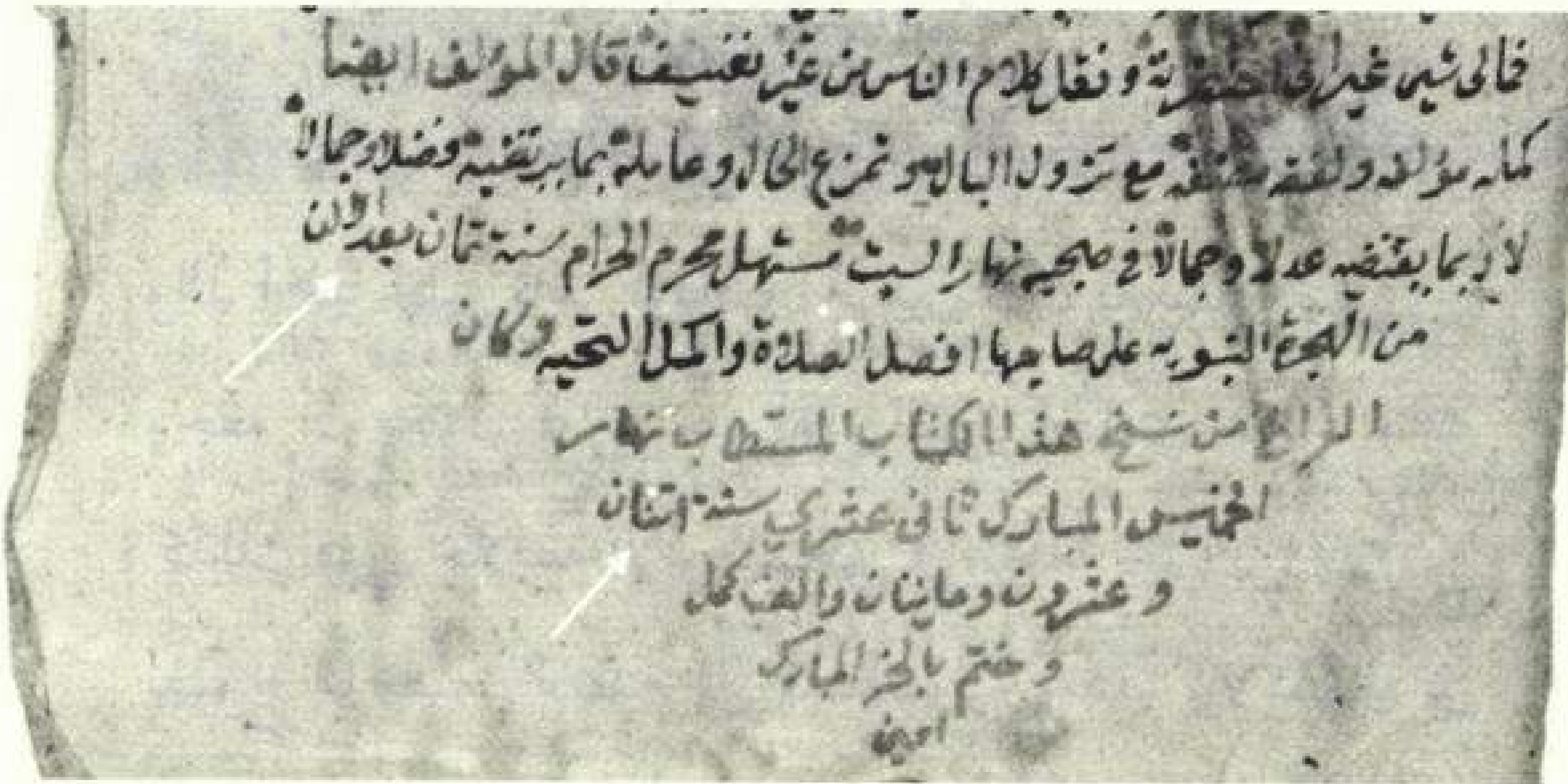
منهم السيد الحسيب النسيب صاحب المحامد والفضائل والمكارم العالم العلامة ، الجهبذ الفهامة ؛ السيد هبة الله أفندي مفتي السادة الحنفية يومئذ بالديار الطرابلسية ، فكان أول ما أنشدنا من لفظه هذا البيت[2] مخاطباً لنا به ولعله تمثل به[3] : [من الكامل]

سَبَقُـوكَ تَـارِيخاً وَأَنْتَ سَبَقْتَهُـمْ   فَضلاً فَأَنْتَ السَّابِـقُ المَسْبُـوقُ

وكان والده المرحوم الشيخ الإمام ، المحقق الهمام ، الحسيب النسيب السيد علي أفندي البصير[4] مفتياً بالديار الطرابلسية أيضاً ، وقد أدركناه بالسنّ ولم نجتمع به . وله نظمُ الدرر والغرر في فقه الحنفية للمنلا خسرو بألفي بيت من بحر الرجز ، وله تصانيف أخرى رحمه الله تعالى .

وعلى المخطوطِ تاريخُ مِلْكِ صاحبِها محمدِ بنِ مصطفى شُعيب الحنفي الشاذلي بعد ذلك سنةَ ١١٣٥ هجرية.

وهذه صورةُ ءاخرِ المخطوطِ:


لا ربما بغضه عدلا وجمالا في ضحية نهار السبت مستهل محرم الحرام سنة ثمان بعد الالف
من الهجرة النبوية على صاحبها افضل الصلاة واكمل التحية وكان
الفراغ من نسخ هذا الكتاب المستطاب نهار
الخميس المبارك ثاني عشرين سنة اثنان
وعشرون ومائتان والف كمل
وختم بالخير المبارك
امين

وقد فرغ منه مؤلِّفه سنةَ ١٠٠٨ هجريةً، وفرغَ ناسخٌ مِن نسخِ إحدى النُّسخِ عن الأصلِ سنة ١٢٢٢ هجريةً.

وأبو الهدى رضي الله عنه ولد سنةَ ١٢٦٦، فالكتابُ تملّكَه السيّدُ هبةُ اللهِ الحنفيُّ مفتي طرابلسَ قبلَ أبي الهدى بنحوِ ١٦٠ عامًا.

وعلى خلافِ ما زعموا فقد ذكرَهُ ابنُ العمادِ الحنبليُّ وهو دمشقيٌّ معاصرٌ له (تُوُفِّي سنة ١٠٨٩) في شذراتِ الذهبِ في تراجمِ سنةِ ستٍّ وستينَ وتسعِمِائةٍ عند ذكرِ حسين جلبي وشنْقِهِ مع سنان القرماني ما نصُّه:

وفيها سنانٌ القرمانيُّ نزيلُ دمشقَ، قال في الكواكب: هو والدُ **أحمد جلبي ناظرِ أوقافِ الحرمينِ الآنَ بدمشقَ**.انتهى

وحقُّه أنْ يكونَ في تراجمِ أهل القرنِ الحادي عشرَ، وهو كذلك ففي خلاصةِ الأثرِ للمحبي في ترجمةِ يحيى بنِ عليٍّ بنِ نصوحٍ ما نصُّه: ثم قدم إلى قسطنطينية وابتدأ بالاشتغال في سنة سبع وخمسين فأخذ عن المولى أحمد الشهير بابن القرماني.انتهى

وفي معجمِ المطبوعاتِ: معجم المطبوعات ٢-١٥٠٥:

مات بدمشق ودفن بمقبرة الفراديس، له أخبارُ الدول وءاثارُ الأُوَل، ويعرفُ بتاريخِ (القرماني) لخّصه مِن تاريخِ الجنابي المتوفى سنة ٩٩٩، وزاد فيه أشياءَ، **أوَّلُه: الحمدُ لله على تصاريف العبر عند سماع التواريخ والسير.. الخ** فرغ من

تأليفه سنة ١٠٠٨ طبع على الحجر ببغداد ١٢٨٢.انتهى، وهذه صورتُه:

ويلزَمُ على الأقلِّ لنسخِهِ وطبعِه سنةٌ أو سنتانِ أي كان أبو الهدى دونَ عشرينَ سنةً، وكانَ لا يزالُ في خانِ شيخون أو حلب.

فقولُ القاسميِّ: (عليه ما يستحقُّ في الافتراءِ والاختلاقِ) يصدُقُ عليه هو، فهو المفتري بسوءِ الظنِّ بلا حجةٍ، وما أقبَحَ أنْ يَذهبَ الحقدُ بهيبةِ أهلِ العلمِ، اللهمَّ سلِّمْنا.

وكما قلتُ سابقًا إنّ قسمًا مِن طعنِهم هو قلّةُ مواردِهم وجهلُهم، وهؤلاءِ كالذينَ وصفَهم السبكيُّ وغيرُه بأنّهم إذا حصَّلُوا الكتبَ الستةَ ظنُّوا أنهم علماءَ الزمانِ....

أمّا أبو الهدى فالسببُ كما قالَ شيخُ مشايخِنا الكتّانيُّ في فِهْرسِ الفهارسِ: قال عنه الشمسُ محمدُ بنُ عبدِ الجوّادِ القاياتيُّ المصريُّ في رحلته روضةُ البَشَام في الرحلةِ إلى بلادِ الشامِ: العالِمُ المرشِدُ الصالحُ الأستاذُ الشيخُ أبو الهدى أفندي الصياديُّ الرفاعيُّ المقيمُ الآنَ بالأستانةِ العَلِيّةِ في كَنَفِ الحضرةِ السلطانيةِ، ونال مِن لَدُنْه رُتَبًا سامية ونياشينَ عاليةً ومراتبَ عليةً بهيةً، ومع كونِه مِن أهلِ الطريقِ وخليفةً مِن خلفاءِ الطريقةِ الرفاعيةِ، له إلمامٌ بالسياسةِ وخبرةٌ تامّةٌ في أحوالِ الوقتِ الحاضرِ والزمانِ الغابرِ بمطالعةِ تواريخِ الأُمَمِ الماضينَ، فهو جديرٌ بالإقبالِ والقَبُولِ ونَيْلِ المأمولِ.انتهى

وهذا يُفسّرُ لك ما قاله الشايع – تاب اللهُ عليه فإنّه مع جمودِه وجفافِ مواردِه غيرُ صحيحِ العرْضِ – نقلاً العزّاوي في حقّ السيّدِ أبي الهدى: (فهو بحقّ صاحبُ مهارةٍ وخبرةٍ فيما كتبَ، وفي الكتابِ نصوصٌ يعزُّ على غيرِه العثورُ عليها، كما دَوَّنَ ما دوّنَ عَن مشاهدةٍ).انتهى

- تاريخُ ابنِ الساعي (ابنِ أنجب) زعم الطباخُ كما نقله الشايع أنّه مِن افتراءِ السيّد أبي الهدى، وهذا افتراءٌ على سيّدي أبي الهدى رضي الله عنه، فقد قال العلاّمةُ عزُّ الدينِ حمزةُ بنُ أحمدَ الحسينيُّ الشافعيُّ المُتوفّى سنةَ ٨٧٤ هجرية في كتابه المنتهى في وَفَيَاتِ أُولِي النُّهَى ما نصُّه:

ابنُ الساعي المؤرِّخُ الشافعيُّ تاجُ الدينِ أبو طالبٍ عليُّ بنُ أنجبَ بنِ عثمانَ البغداديُّ ولدَ سنةَ ٨٩٣، له مصنَّفاتٌ كثيرةٌ منها (التاريخُ) وشرحُ المقاماتِ وشعراءُ الزمانِ وطبقاتُ الفقهاءِ وذيلٌ على تاريخِ ابنِ الأثيرِ ومعجمِ الأدباءِ، مات ببغدادَ سنةَ ٦٧٤.انتهى

وهذه صورةٌ مِن المخطوطِ تُثبتُ صدقَ أبي الهدى وافتراءَ الحاسدينَ له وقليلي الصدقِ والنزاهةِ:



وهو مِن تلاميذِ شيخِ الإسلامِ ابنِ حجرٍ، وعليه يظهرُ تملُّكُ ولدِه وحفيدِه للكتابِ، وهذه صورةُ المقصودِ:

ابن الساعي المؤرخ تاج الدين ابو طالب علي بن انجب بن عثمان البغدادي ولد سنه ٥٩٣ له مصنفات كثيرة منها التاريخ وشرح المقامات وشعراء الزمان وطبقات الفقهاء وذيل على تاريخ ابن الاثير ومعجم الادباء ببغداد سنه ٦٧٤

مصنفاته وقريب

ويومُ المحشرِ قريبٌ.

ثمَّ اتهموا السيِّدَ أبا الهدى بأنه اخترعَ جدَّهُ السيّدَ الجليلَ أحمدَ عزَّ الدينِ الصياد، وأنّه لا وجودَ له ولا يُعرَفُ إلا مِن طريقِه، وهم جاهلونَ ظالمونَ، فقد قال اللاريُّ جلالُ الدينِ في جلاءِ الصَّدَى الكتابِ المتقدِّمِ الذكرِ عندَ ذكرِ خلفاءِ السيّدِ أحمدَ الرفاعيّ ما نصُّه:

والاناث اربع وتزوج سيد عبد الرحيم بن عثمان بنتي زينب فاولدت سيد شمس الدين محمد وسيد قطب الدين وابا الحسن علي وسيد عز الدين احمد وسيد ابا القاسم وسيد ابا الحسن وستي عايشه وستي فاطمه ثمانية اولاد

وهذه صورةٌ من النُّسخةِ الأخرى:

فاطمة ذكورهما اثنان والاناث اربع وتزوج سيد عبد الرحيم بن عثمان بنتي زينب فاولدت سيدي شمس الدين محمد وسيد قطب الدين وابا الحسن علي وسيد عز الدين احمد وسيد ابا

وفيه أيضًا:

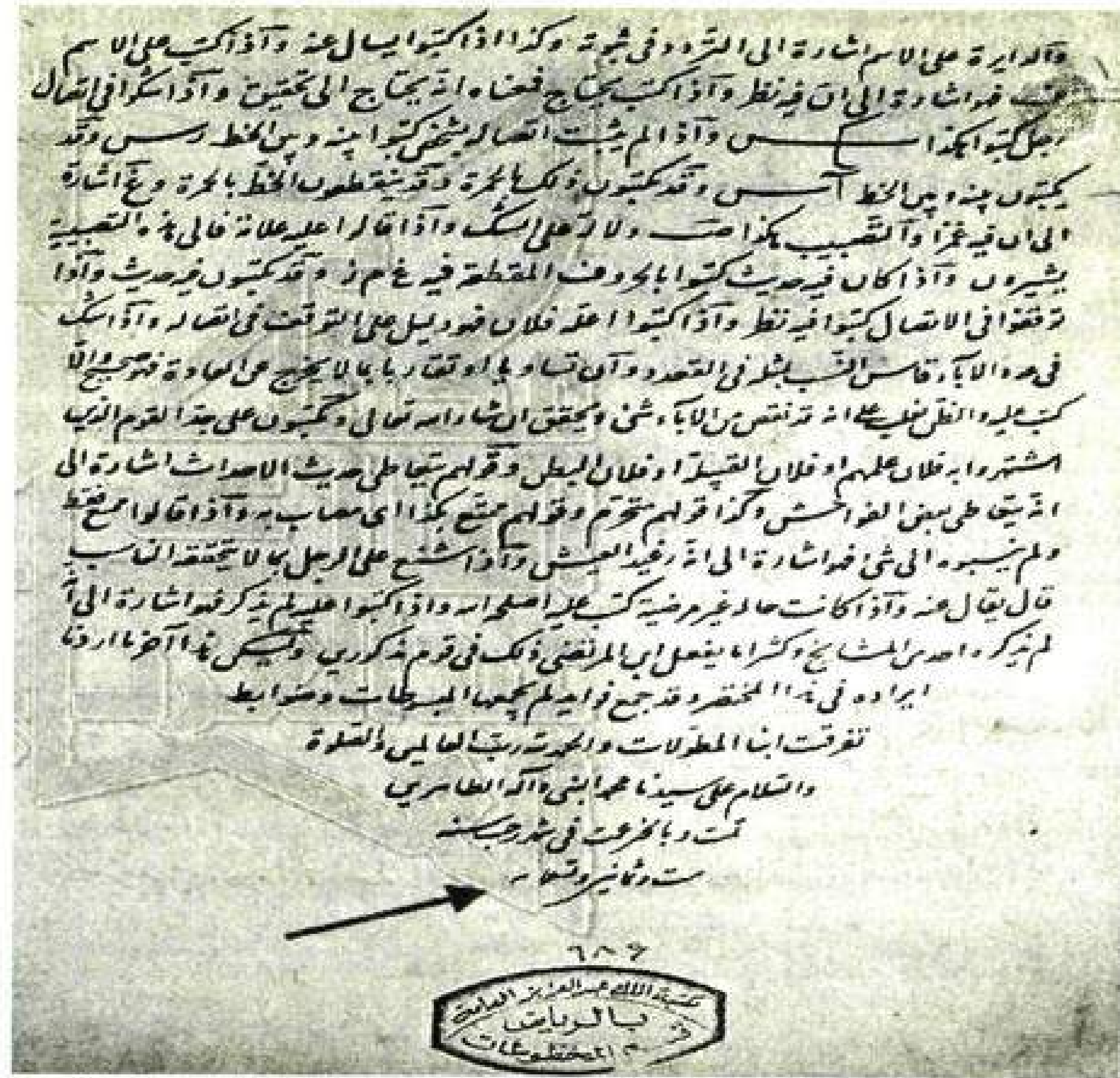
اخيه سيدي علي ومنهم الشيخ المعظم والامام المقدم ينبوع المحامد
والمعالي منبوع الاماجد والاعالي صاحب المقامات العليه
والحالات السنيه السيد الاجل الولي الكريم سيدي عز الدين احمد
بن سيدي عبد الرحيم كان قدس الله سره حسن الخلق لطيف الوجه تام
التميز بعيد المعاني لطيف الشمائل لم يكن في هذا البيت الكريم

وهذا فيه إثباتُ السيّدةِ زينبَ بنتِ سيّدي أحمدَ الرفاعيّ رضي الله عنه، ولم يُفكّرِ الشايع في مواقف يوم القيامةِ يومَ تَبيَضُّ وجوهٌ وتسْوَدُّ وجوهٌ فأنكرَ السيّدةَ زينبَ ولم يكتفِ بإنكارِ ولدِها السيّدِ أحمدَ عزِّ الدينِ رضي الله عنه، وكفى المرءَ ذُلاًّ وصَغارًا أنْ يُخاصِمَه أهلُ بيتِ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم يومَ القيامةِ، فانظُرْ إلى هؤلاءِ المفترينَ هداهم اللهُ وأصلحَ حالَهم.

- ابن عنبةَ صاحبُ عمدةُ الطالب في نسبِ ءالِ أبي طالب.

ويقولونَ (ابن عتبة وابن عنبسة وحاجي خليفة يقول ابنُ عقبة)، واتّهموا السيّدَ أبا الهدى زورًا بأنّه حاول الطعنَ بنسبِ السيّدِ عبدِ القادرِ في صحاحِ الأخبارِ، وهاك ما يُثبتُ وجودَه قبلَ أبي الهدى رضي الله عنه، منه نسخةٌ في مكتبةِ الملكِ عبد العزيز رقم ٣٠٥١، الفنّ: الأنساب، تاريخُ النسخ: ٩٨٣ هجرية، عدد الأوراق: ١٥٥ق، وهذه صورتُه:





وقد جاءَ هذا الكتاب في كشفِ الظنونِ وهو قبلَ أبي الهدى فثبتَ صدقُه، وجاءَ في تحفةِ الطالب بمعرفةِ مَن ينسَبُ إلى عبدِ اللهِ وأبي طالب لمحمدِ بن حسينٍ الحسينيِّ السمرقنديِّ المدنيِّ المُتوفَّى سنةَ ٩٩٦ هجريةً مِن مخطوطاتِ لايتسيش ويوجدُ نسخةٌ في القاهرةِ برقم ١١١/ ٩٨٠، وفي جامعةِ برينستون أميركا برقم ٤٤٩٠، وهذه صورتُه وعلى التفصيلِ الذي ذكرَهُ حاجي خليفة في كشفِ الظنون:

عنبه الاصغر بن علي بن معد بن عنبه جد جامع
مختصر عمدة الطالب في نسب آل ابي طالب وتجمع
هذا في نسب محمد الوارد من الحجاز الى العراق قال ابن
عنبه في هذا المختصر وقد نسبوا الى عبد الله بن محمد الشيخ
الجليل الباز الأشهب صاحب الخطوات محيي الدين عبد
القادر الكيلاني فقالوا هو عبد القادر بن محمد بن جنكي
دوست بن عبد الله المذكور ولم يدع الشيخ عبد القادر
ذلك

وهذا فيه أيضًا الردُّ على مَن ادّعى أنّ أبا الهدى حاولَ الطعنَ في نسبِ السيّدِ الغوثِ الإمامِ بَرَكةِ العالَمِ عبدِ القادرِ الجيلانيِّ أمَدَّنا اللهُ بأمدادِه وهو سيّدُنا ومولانا وقدوتُنا، وهذا بناءً منهم على أنّ أبا الهدى هو مخترعُ السيّدِ سراجِ الدينِ المخزوميِّ وكتابِه، وهذا المخطوطُ يكشفُ أمرَهم وخيانتَهم، وقد دافعَ عنه سيّدُنا أبو الهدى، وها أنت ترى طعنَ الطاعنينَ في نسبِ الإمامينِ الجيلانيِّ والرفاعيِّ رضي الله عنهما، ولا عبرةَ بهذا إنما العبرةُ بالتحقيق.

وقد قال أبو الهدى في قلادةِ الجواهر: (السيّدُ الشريفُ عبدُ القادرِ الجيلانيُّ)، هداهم اللهُ وأصلحَ حالَهم، وهذه صورةٌ مِن نسخةِ عمدةِ الطالبِ كما نقلها عنه بحروفِها:

فثبت أنّ السيّدَ أبا الهدى بريءٌ، وأخشى أن يكونَ أمرًا دُبّرَ بليلٍ لإثارةِ الفتنةِ بينَ الرفاعيةِ والقادريةِ، وهيهات، فكلُّهم أسيادُنا وليس لنا مِن هذا الأمرِ سوى محبّتِهم والمرءُ مع مَن أحبَّ، فمَن ظنَّ أنْ يوقعَ بينَ أتباعِ أحبابِ اللهِ فقد خابَ سعيُه وظنُّه.

وقد صدر هذا الكتابُ مطبوعًا في دمشقَ وكتبَ بشأنِه أحدُ دكاترةِ جامعةِ دمشقَ ما صورتُه:

عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب

في طبعة علمية محققة على ست مخطوطات

الدكتور عبد الكريم محمد حسين*

صدر كتاب عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب، وهو من تأليف النسابة جمال الدين أحمد بن علي الحسيني (878هـ) المعروف بابن عنبة. وتحقيق: الشريف عبد الله السادة، والباحث في التاريخ العربي: أ.عارف عبد الغني، وقد صدر الكتاب في دمشق – دار كنان، في 1/7 / 2005م.

ونسخةٌ واحدةٌ تكفي، والنسختانِ خيرٌ فكيفَ بثمانيةٍ إلى الآن.

وأختمُها بقولِ السيِّدِ أبي الهدى نفسِه في كتابه قلادةِ الجواهرِ عند ذكرِ السيِّدِ عبدِ القادرِ الجيلاني رضي الله عنه:

ومن اشياخ الخرقة وقادات الطريقة وسادات فرسان الحقيقة الامام العارف الرباني والغوث الكبير الصمداني الباز الاشهب والطراز المذهب الجامع لاشتات المعاني شيخ الاسلام ابو محمد محيي الدين عبد القادر الحسني الجيلاني قدس الله سره ورضي الله عنه هو ابن ابي صالح جنكي دست موسى بن عبدالله بن يحيى الزاهد بن محمد بن داود ابن موسى بن عبد الله بن موسى الجون بن عبد الله المحض ابن الحسن المثنى ابن الامام علم الاسلام سبط رسول الملك العلام صاحب الشرف المخلد ثاني ايمة اهل البيت الحسن ابي محمد بن اسد الله الغالب امير المؤمنين علي بن ابي طالب كرم الله وجهه ورضي الله

- (روضةُ الأعيان) لمحمدِ بن أبي بكرٍ بنِ حمادٍ الرفاعيِّ الموصِليِّ.

اتَّهموا أبا الهدى رضي الله عنه باختلاقِه، ويوجَدُ منه نسخةٌ في مكتبةِ الأسدِ وأنا على اتصال بمديرةِ قسمِ المخطوطاتِ وبيننا تعاونٌ، وهي نسخةٌ مصوَّرةٌ عن النسخةِ المحفوظةِ في مجمَعِ اللغةِ العربيةِ في سوريا شفى اللهُ جرحَها، ورقمُها: م ف/م/٥١٩٦ ووصفُها كالتالي: أُخِذَ العنوانُ واسمُ المؤلفِ

من البدايةِ ــ مُصحَّحة ــ على هوامشها بعض التعليقات.انتهى

ومنه نسخةٌ في جزءينِ في معهد المخطوطاتِ العربيةِ التابعِ لجامعةِ الدولِ العربيةِ برقم: ١/٢٦٦، ٢/٢٦٦.

- الزبرجدي صاحبُ الدرّ الساقط.

جعلَه الشايع رأسَ الوثائقِ في إثباتِ كذبِ أبي الهدى بدعوى أنّه تُوفِّي سنةَ ١٠٨٤ فكيفَ ينقلُ عنه مَن كانوا قبلَه، فجعل هذا الإثباتَ الأكبر على كذبِ أبي الهدى.

قلتُ: لا أدري مِن أين جاء الشايع بسنةِ ١٠٨٤، والذي في ترجمةِ الزبرجديّ في إيضاحِ المكنونِ ما يلي: الدرُّ الساقط في مناقبِ سادةِ واسط للشيخ أحمد بن أحمد بن محمد الزبرجدي الواسطي الرفاعي المتَوَفَّى سنة ٧٣٧ سبع وثلاثين وسبعمائة.انتهى

وفي هديةِ العارفين ما نصُّه: الزبرجدي: أحمد بن أحمد بن محمد بن علي بن عبد الرحمن الزبرجدي الواسطي الرفاعي

(نهر الزبرجد بواسط) ولد سنة ٦٥٠ وتوفي سنة ٧٣٧ صنف الساقط في مناقب سادات واسط أعني السادة الرفاعية (من روض الناظرين).انتهى فسبحانَ اللهِ العظيم.

- كتابُ الأربعينَ حديثًا للإمامِ الرفاعيّ

أغرَبَ شيخُنا ونفى كونَه للسيّدِ المترجَمِ، لأنه روى فيه حديثَ: (أدَّبَني ربِّي فأحسَنَ تأديــبي). وحجَّتُه أنّه ضعيفٌ جدًّا، فكيفَ يرويه السيّدُ أحمدُ.

وهذا عجيبٌ غريبٌ منه، لأنّ الحديثَ مختلَفٌ في صحَّتِه وضعفِه وشدّةِ ضعفِه، وحكى الإمامُ السيوطيُّ في الدررِ المنتثرةِ عن بعضِ الحفاظِ تصحيحَه، حتى ابنُ تيميةَ قال: لا يُعرَفُ له إسنادٌ ثابتٌ.

والخبيرُ يعرفُ معنى هذه العبارةِ، وأنّها شاملةٌ لكلِّ ما لم يثبُتْ، وقد رأى شيخُنا جزمًا كلامَ السخاويِّ كلَّه في المقاصدِ الحسنةِ وأنّه ضعَّفَ جدًّا إسنادًا معيَّنًا وسردَ أسماء

بعضِ مَن خرَّجَه وطرقَهم وقال: وبالجملة فهو كما قال ابنُ تيمية: لا يُعرَفُ له إسنادٌ ثابتٌ.انتهى

وهذه مِن شيخِنا قاعدةٌ جديدةٌ ما سمعتُ أحدًا جاءَ بها.

- حزبُ السيفِ القاطعِ وغيرُه

في المكتبةِ الظاهريةِ (مكتبةِ الأسد) نسختان وهذه صورتُهما وتاريخُ النسخِ ظاهرٌ فيهما:

٥٩٠ _ حزب الرفاعي .

حزب مكون من آيات وأدعية وأذكار يشبه الحزب الصغير له .

المؤلف : السيد أحمد بن علي بن يحيى الحسيني الرفاعي الأنصاري صاحب الطريقة الرفاعية المتوفى سنة ٥٧٨ هـ / ١١٨٢ م

أوله : الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم ، مالك يوم الدين ، إياك نعبد وإياك نستعين ...

آخره : كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون ، أعداؤنا لن يصلوا إلينا بالنفس ولا بالواسطة ، لا قدرة لهم على إيصال السوء إلينا بحال من الأحوال ...

الخط نسخ معتاد ، الحبر أسود .

ق ٣٢ – ٣٥، س ١٤ ، ٢١،٥ × ١٥ سم ، كلمات السطر ١٣ ، هامش ١٥ سم

الرقم ٨٣٣٣

تاريخ النسخ : سنة ١٣٤٧ هـ

٥٩١ _ نسخة ثانية .

أولها وآخرها : كالسابقة .

الخط نسخ معتاد ، الحبر : أسود وبعض كلماته بالأحمر .

ق ٦٠ – ٧١ ، س ١٢ ، ٢١ × ١٤،٥ سم ، كلمات السطر ٦، هامش ٧ سم .

الرقم ٥٣٣٣

اسم الناسخ : يوسف أفندي .

تاريخ النسخ : الأحد ٢٣ رمضان سنة ١٣٦٢ هـ

ملاحظات : نسخة عادية ليس عليها تملكات .

مصادر عن المؤلف : معجم المؤلفين ٢/٢٥ ، الأعلام ١/١٦٩

طبعة الكتاب : طبع ضمن مجموعة الأوراد ص ٨٦

وقد ادّعَوا على السيّدِ أبي الهدى أنّه يزعمُ الانتسابَ إلى السادةِ ءالِ الصيّادِ، ونقلَ بعضُهم عن رجلٍ مِن أهلِ المنطقةِ أنّه أنكرَ ذلك، والجوابُ أنّ هذا ظاهرُ الفسادِ لأنّه في خان شيخون كانَ نقيبَ الأشرافِ، ولا يكونُ نقيبَها إلاّ وهو شريفُ النسبِ ساطِعُه، ومَن هو هذا الرجلُ الذي أخذوا كلامَه حجةً، هو شخصٌ لا يُعرَفُ، فهَل قليلٌ مِن العدلِ.

وادَّعَوا أنّ مثارَ الخلافِ والعداوةِ بينَه وبينَ الكواكبي هو أنّ الكواكبيَّ رفضَ التوقيعَ على نسبِ أبي الهدى، وهذا عارٍ عن الصحةِ، ويكفيه أنّه نقيبُ الأشرافِ في خان شيخون ثم نقيبُ أشرافِ حلب، فأين هم أشرافُ حلبَ العلماءُ الذين نقضوا وانتفضوا محاولينَ أنْ يدخلَ فيهم ويكونَ رئيسَهم مَن ليس منهم.

وقد قال أحدُ الحاقدينَ على الخلافةِ العثمانيةِ وهو جان دايه هداه الله ءامين في **جريدةِ الشرق الأوسط** وهو ما يلي:

(الأربعـــاء ١٢ ربيـــع الثانـــي ١٤٢٧ هـــ ١٠ مايو ٢٠٠٦ العدد ١٠٠٢٥) قال فيه عن الكواكبي:

في عدد ٦ ديسمبر(كانون الأول) ١٨٧٧، **نشر الكواكبي في جريدته (الشهباء)** الخبر التالي: (في يوم السبت الماضي شرّف من الآستانة العلية لحلب جناب الفاضل الأديب نقيب السادة الأشراف فضيلة السيد محمد أفندي أبو الهدى).

وفي رسالة له من إسطنبول إلى ابنه أسعد في حلب، عام ١٨٩٥، **يقول الكواكبي**: (إذا رغبتم إعدادية الطبية في إستانبول)، **فيمكن الاستعانة (بأبي الهدى أفندي)**.(الأعمال الكاملة للكواكبي ص ٥٤٢).

ووصل مديحُ الكواكبي للصيادي ذُرْوَتَه في الرسالة التي نشرتها جريدة (القاهرة الحرة) في ١٣ فبراير (شباط ١٨٩٦، وذيّلت بتواقيع عدة شخصيات حلبية، في طليعتهم، عبد الرحمن الكواكبي وأخوه مسعود. والرسالة جاءت ردًا على ادعاء إحدى الصحف المناهضة للصيادي بأن مشايخ حلب وأعيانها لم يكتفوا بنفي انتماء الصيادي إلى أهل البيت، بل اعتبروه من الكافرين.

قال مُدَبِّجُو المقالِ والكواكبيُّ في طليعتهم: (يسوءنا ويسوء الحق والإنصاف، أن يتماضغ بعضُ الأفواه قول الزور في سيد كريم لم يوف حقه من المديح والثناء على ما قام به من عمل الصالحات والانتصار للدين والموحدين والنصح

والاخلاص لإمام المسلمين). والسيد الكريم المشار اليه هو (العالم الشهير الذي ملأ الخافقين عاطر نشره وشاع في المشرقين طيب ذكره، شيخ شيوخ الطريقة العالية الرفاعية، حضرة صاحب السيادة والسماحة السيد أبي الهدى أفندي الصيادي الرفاعي الحسيني).

وأكد أصحاب الرد، في مكان ءاخر، أن الذي دعاهم لمراسلة (القاهرة الحرة) ليس التزلف للمولى المشار اليه، كما ربما يزعمه السفلة الحاسدون (لأن الصيادي أسمى وأعلى من أن يحتاج للتزلف إليه، وإنما القصدُ من تحرير هذه الأسطرِ التنويهُ بكذب أولئك الخاسرين). وللدلالة على كذبهم (نُعلن على رؤوس الأشهاد أن الحلبيين لم يولد فيهم بعد من لا يفتخِرُ بسماحة السيد المشار اليه، فضلا عن أن يجسر على التقوّل عليه بالباطل المحض).

هذا بحروفِه منقولٌ مِن كلامِه وهو مقالٌ طويلٌ جُلُّ مقصدِه هو الطعنُ في السلطنةِ العليّةِ وفيهما.

وختامُها مسكٌ بشهادةِ السلطانِ عبدِ الحميدِ رضي الله عنه، وهو ما ينقله سويدان في كتابه (أبو الهدى في رأي معاصريه) عن ولي الدين يَكَن: قال يكَنْ: كان السلطان عبد الحميد يقول: عجبتُ لهؤلاء الخونة الذين يحسدون شيخي أي أبا الهدى وليس فيهم مَن يليقُ به أن يكونَ مِن خُدّامه، يكتب إليّ الواحدُ منهم كتابًا يطلُب فيه بدرة مالٍ أو رتبةً لا تكادُ تُذْكَرُ وهو مع ذلك يتعسّف الحيل ولا يهتدي إليها سبيلا.

أما أبو الهدى فإن سألَني، سألَني عن ثقة وظرف ولا يتدنى بقدره إلى طلب ما يكون مشاعًا يمكن أن ينازعه فيه غيرُه بل يطلب مني ما يفتخر الشريف بنيله فهو الأمير وأولئك هم الصعاليك.انتهى

ويكن نفسُه أقرّ بأنه كان أحدَ الكذّابين الذين افترَوا على أبي الهدى لتشويه صورته، لأنه يُبغِضُه وهو مع ذلك يعترف

أن أبا الهدى أنقذه مرةً وحماه، فانظرْ إلى ردِّ الجميلِ مِن يكن بالكذب والخيانة، يقول يكن:

وما غاظ أبا الهدى أحدٌ مثل كاتب هذا الكتاب – يعني نفسه – وقد قلتُ فيه ما لم يقل غيري وزعمتُ أنه كان يسعى في قلب الخلافة والاستئثار بها ولكنه زعمٌ ليس بصحيح وإنما أردتُ أن يبعُدَ عن عبدِ الحميد ويخف ضرره عن الدولة.انتهى

فهذا هو ضحيّةُ العلمانيةِ رضي الله عنه ورحمه وأحسن مثواهُ ءامين.

وقال الشيخ عبدُ الحفيظِ الفاسيُّ وهو الذي ينقلُ قليلو النزاهةِ كلامَه مبتورًا، ويقولُ الفاسيُّ عند ذكرِ أبي الهدى:

(أوليته) بيتُ بني الصيادِ الرفاعيين مِن أشهرِ وأعظمِ البيوتاتِ الشريفةِ بالشامِ، ولهم بها شهرةٌ عظيمةٌ ومجدٌ صميمٌ وفخرٌ كبيرٌ قلَّ أن يساويَهم غيرُهم فيها لِمَا تعدّدَ فيهم من المشايخِ العظامِ والعلماءِ الكرامِ ناهيك بالشهرة

الكبيرة والمجد العظيم الذي أوتيه صاحب الترجمة ولم يشاركه فيه أو يقاربه أحد من أهل عصره.انتهى

وهكذا يتهاوى خصومُ أبي الهدى الصياديِّ الرفاعيِّ الحسينيِّ العربيِّ، وها هي دولةُ العِلمانيةِ التي سعى خصومُ الحقِّ إلى إنشائِها وقد تمّ لهم ما أرادوا وانهدمت دارُ الخلافةِ وانظرْ إلى حالِنا اليومَ، كيفَ لبسْنا ثوبَ الذلِّ، فالمسلمةُ تمشي في الطرقاتِ كاشفةً عوراتِها وما كانت لِتَفعلَ هذا في ظلِّ الخلافةِ، وصارت شعائرُ الكفرِ تُقامُ في بلادِ المسلمينَ وعلى يدِ مَن يُسمَّونَ مسلمينَ وكأنّها مِن المسلَّماتِ، وأعرفُ أناسًا يزدَرُونَ بالمسلمِ الذي لا يحتفلُ بما يُسمَّى ميلادَ المسيحِ عليه الصلاةُ والسلامُ، ومنهم جاهلٌ لا يعرفُ أنّه خاصَ بالكفارِ، ومنهم يفعلُه بداعي التسامحِ ولا يدري هؤلاءِ الجُهّالُ أنّ مثلَ هذا داخلٌ في قولِ الحبيبِ الأعظمِ صلى الله عليه وسلم: (وكلُّ بدعةٍ ضلالةٌ، وكلُّ ضلالةٍ في النارِ) وأنّها أفعالٌ كفريةٌ لا يسلمُ منها إلا مَن نشأ على أنّها

عاداتٌ أو كانَ حديثَ عهدٍ بإسلامٍ ولا يعرفُ حقيقتَه وما كانَ نحوَ هذا مِمّا لا يُعتَقَدُ أنّه عقيدةٌ خاصّةٌ بالكفارِ.

فأبو الهدى هو المسلمُ الغَيُورُ على دينِه بحقٍّ، وخصومُه لهم يدٌ طُولَى في هذا الذلِّ الذي أصابَنا اليومَ بسببِ هدمِ الخلافةِ، وهذا بيتُ المقدسِ تُنتَهَكُ حرُماتُه والمسلماتُ يُؤذَينَ بخلعِ الخمارِ وغيرِه، فهل تمَّ لأعداءِ الدينِ هذا أيامَ السلطانِ عبدِ الحميدِ وأبي الهدى رضي الله عنهما، وعلى مثلِهما فليَبْكِ الرجالُ، فإنّا للهِ وإنّا إليه راجعون.

وقد تمت هذه العُجالةُ وبقيَ أمورٌ مِن أخطاءِ شيخِنا في اللغةِ - رغمَ كونه لغويًّا متمكّنًا - عندَ اعتراضِه على (إن قيل زرتُم بما رجعتُم) ومدارُ الردِّ عليهِ في كونه طبَّقَ أحكامَ اللغةِ في النثرِ على الشعرِ مع أنّ الشعرَ لهُ قواعدُه وجوازاتُه، وضرائرُه معروفةٌ مما لا يجوزُ في الكلامِ المنثورِ ارتكابُه، وهو تحامُلٌ لأنّي أعرفُ جيّدًا قدراتِه في اللغةِ والنحوِ، ولم يُوفَّقْ في البيتِ الذي اقترحَه مكانَ الأولِ، لأنّه مكسورٌ فبحرُ

الأولِ غيرُ الثاني، وقافيتُه بائيّة والأولُ لاميٌّ، ولعلّه تحريفُ الطباعةِ، ولا داعي إلى الخوضِ في المزيدِ وليس هذا مِن شأنِ الكتابِ، أقالَ اللهُ عثرتَه وعثرتي ءامين.

وما قالَه بخصوصِ الشعرِ ونسبَتِه إلى النبيِّ صلى الله عليه وسلم، قد ذكرتُه مفصّلاً في تحقيقي كتابَ الأضواءِ البهجة في إبرازِ دقائقِ المنفرِجة لشيخِ الإسلامِ زكريا الأنصاري، وهناك تفاصيلُ لا خيرَ في ذكرِها بخصوصِ هذا الشأنِ مما يُظهرُ شيئًا من عدمِ إحاطةِ شيخِنا بفروعِ المسئلةِ.

وأنا أعلمُ سببينِ دفعا شيخَنا إلى الطعنِ بهذه الكرامةِ، حدَّثني أحدُ تلاميذِه الثقاتُ وهو كبيرُ القدرِ سماعًا منه مباشرةً، والسببُ الثاني له علاقةٌ بالتاريخِ، واللهُ المستعانُ، هذا إنْ صحَّ عن شيخِنا الكتابُ أو كلُّ ما فيهِ.

خاتمةٌ: قد تلخّص أنّ السيّدَ أبا الهدى واسعُ الاطّلاعِ جدًّا، مما أدّى ببعضِ مَن دونَه بسببِ الجهلِ أو الحسدِ إلى الطعنِ

فيه، وهم شرذِمةٌ لا يزيدونَ على بعضِ البعضِ مقابلَ ألوفٍ مؤلَّفةٍ مِن أهلِ العلمِ مِن فقهاءَ ومحدِّثِينَ ومؤرِّخينَ، وقد قامَ البرهانُ هنا على كذبِهم أو فسادِ قولِهم.

خاتمةُ الخاتمة: اعلَمْ رحمَكَ اللهُ أني لا أُنزِّهُ نفسي عن الخطإ وإني أخافُ اللهَ أنْ يؤاخذَني بكلمةٍ كتبتُها، وقد فعلتُ ما بوُسعي، فكما أنّي لم أتعصَّبْ لشيخنا الغُماريّ صاحبِ الفضلِ العظيمِ، فكذلك لا أتعصَّبُ لأحدٍ لا لرفاعيةٍ ولا لغيرِهم، وقد رأيتَ الوثائقَ التي قدَّمتُها وهي تقضي بصدقِ أبي الهدى وكذبِ مخالفيه، ولا أدّعي عصمةَ أحدٍ بعدَ حبيبي محمدٍ صلى الله عليه وسلم.

وهذا الكتابُ بينَ يديكَ، فما كانَ مِن خيرٍ فمِن اللهِ بخلقِه وكرَمِه، وما كان مِن خطإٍ فبخلْقِ اللهِ ومِني ومِن الشيطانِ، والفهمُ عرَضٌ يطرأُ ويزولُ، وأستغفرُ اللهَ وأتوبُ إليه، ومَن وجدَ عيبًا فلا يتأخَّرْ عني فإنَّ هذا العلمَ دِينٌ واللهُ المستعانُ.

وأسألُه تعالى الصَّفْحَ عمّا كانَ وأنْ يُحسِّنَ العملَ ويُبلِّغَ الأجَلَ ءامينَ إنّه على ما يشاءُ قديرٌ سبحانَه لا إله إلا هو.

وقد بقيَ على شيخِنا احتجاجُه بعدمِ ذكرِ الذهبيِّ وغيرِه لنسَبِ السيّدِ أحمدَ، وهذا غيرُ واردٍ وليست هذه الكتبُ مختصّةً، وأراهُ لم يلتفِتْ إلى طعن الذهبيّ بنسبِ السيّدِ الشريفِ الإمامِ أبي الحسنِ الشاذليّ وما هكذا تُوردُ الإبل.

وسبحانَ ربّكَ ربِّ العزّةِ عمّا يصفونَ وسلامٌ على المرسَلينَ والحمدُ للهِ ربِّ العالمين، وكتبَها الفقيرُ إلى رحمةِ مولاهُ الغنيّ الرءُوف، عبدُه مجدي غسان معروف المتطفّلُ على السادةِ الشافعيّةِ والرفاعيَّةِ عفا اللهُ عنه وسامَحَه بكرمِه.

وكان الفراغُ منه ليلةَ التاسعِ والعشرينَ من ربيعِ الأولِ شهرِ ولادةِ خيرِ الخلقِ محمدٍ صلى الله عليه وسلمَ ما دامتِ السمواتُ والأرَضُونَ مِن سنةِ ألفٍ وأربعِمِائةٍ وخمسٍ وثلاثينَ الموافِقَة ٣٠-١-٢٠١٤ رومية.

تقرُّبات

قالَ العبدُ الفقيرُ متمسِكًا بأذيالِ أثوابِ القومِ، ولا تنسَني مِن صالحِ دعائكَ والدعاءِ بالمغفرةِ والرحمةِ، ولي فيمَن سبقني أُسوةٌ حسنةٌ، وقد قلتُ على نهجِ البردةِ متقرِبًا إلى الحبيبِ عليهِ صلواتُ اللهِ وسلاماتُه بلا عدٍّ ولا نفدِ:

مولايَ صَلِّ وسلِّم دائِـمًا أبَـدًا
على حبيبكَ خيرِ الخلقِ كلِّهِمِ
مَن مثلُهُ في الورى، حاشى يكونُ لهُ
مِثلٌ فذاكَ الأعزُّ الطاهرُ الشيَمِ
مُحَمَّـدٌ مَـن لـهُ ذِكرٌ تطيبُ به
نفْـسٌ وعينٌ تقرُّ العُمْرَ بالنِّعَمِ
إنَّ الـحَشَا فـيهِ نارٌ لا يُسَـكِّنُها
إلا الـوِصالُ وقلبي بالغرامِ رُمِي
عَيني عن الغَـيْرِ عمـياءٌ تُطاوعُني
وعن سوى شأنِهِ فالسَمْعُ في صَمَمِ
نَسْـجُ الْمَديحِ وإنْ عزَّتْ بَلاغتُهُ

يشكو القُصُورَ لدى الممدوحِ ذي العِظَمِ
مَن عزَّ فيه نَظِـيرُ الْحُسْـنِ مجتمِعًا
فأطرَبَ الدهرَ فخرًا قولُ لا ولَمِ
وهْو المشَفَّعُ في العاصي ومُنْجِـدُهُ
في يومِ يُدعَى لذِكرِ الإثمِ والندَمِ
ماذا أقولُ ونفسي ليس يَـرْدَعُها
عن المعاصي شديدُ الزَّجرِ واللُّجُمِ
أسْعَـى إلى رَفْعِها لكنْ تُراوِدُني
على ارتِيَـادِ عظيمِ الذنبِ واللَّمَمِ
فانْـظُرْ إليها رسولَ اللهِ وا سَنَدي
وامنُنْ على طالبٍ رَشْفًا مِنَ الدِيَمِ
واغفِـرْ لِكـاتِبِـها ربّي وقائلِها
كـذا لسامعِ ما قدَّمتُ مِنْ كَلِمِ
وارحَمْهُمُ يا إلـهي بالحبيبِ ومَنْ
حَـقَّ القَبولُ بهِ في سائرِ الأمَمِ

– وقلتُ في الحضرةِ النقشبنديةِ العليّةِ، والصادقونَ منهم ملوكٌ قلوبُهم لا تفترُ عن الذكرِ القلبي، أدامَ اللهُ عزَّهم وفضلَهم ونفعني ببركاتِهم ءامين:

أَيُّهَا السَاقِيْ اسْقِنِيْهَا ... وَامْزُجَنَّ الوَصْلَ فِيْهَا
يَا بِرُوحِيْ أَشْتَرِيْهَا ... فَهْيَ إِيْنَاسِيْ مَعَ اللهْ

فُكَّ ذَا القَيْدَ الثَقِيْلا ... وَاحْدُ بِي حَدْوًا جَمِيْلا
فَالَّذِيْ أَهْوَى جَلِيْلا ... فَهْوَ لا إِلَاهُ ... (الله)

أَطْلِقِ الرُوْحَ وَدَعْنِيْ ... لا تَحِدْ بِالْكَاسِ عَنِّيْ
فَهْوَ عِزِّيْ فَهْوَ يَعْنِيْ ... أَنَّ رُوحِي قَوْلُ: (الله)

أَنْتَ تَدْرِيْ أَنَّ صَدْرِيْ ... فِيْهِ نِيْرَانٌ وَتَدْرِيْ
أَنَّنِيْ فَارَقْتُ صَبْرِيْ ... أَوَّلَ الكَاسَاتِ وَاللهْ

بَعْدَ هٰذَا الْحُبِّ هَلْ لِيْ ... عَوْدَةٌ عَنْ ذَا التَجَلِّيْ
قَدْ سَبَى رُوحِيْ وَكُلِّيْ ... مُنْذُ قَالَ الْقَلْبُ: (الله)

– وقلتُ متطفِّلاً في حضرةِ السادةِ الرفاعيّةِ أصحابِ المآثرِ السَّنية، وكنتُ ولم أزَلْ أتودَّدُ إليهم وكانوا ولم يزالوا أصحابَ فضلٍ وكرمٍ، للهِ دَرُّهم وزينةُ التاجِ دُرُّهم:

مِنْ أينَ تَعْرِفُ بَعْدَ الوَصْلِ سُلْوَانا
وَصُورَةُ الْحِبِّ طافَتْ فِيْكَ أَكْوَانا

وَهَلْ لِقَلْبِكَ أَنْ يَبْقَى لأَضْلُعِهِ
وَقَدْ صَحَوتَ مِنَ الأغيارِ سَكْرَانا

تَرَى الْحَبِيْبَ بِقَلْبٍ غَيْرِ مُنْتَبِهٍ
يَتْلُو بِخَفْقَتِهِ ذِكْرًا وَقُرْءَانا

يا أَيُّها الْجَسَدُ الْفانِيْ أَنَا رُوحٌ
مُتْ فِي الْوِصَالِ فَمَا إِلَاهُ أَحْيَانا

وحَيْثُما كانَ كُنْ وَاغْرَقْ بِعَالَمِهِ
فَحَاضِرُ الآنَ لا يَرْضَاكَ إِنْسَانا

وَكُنْ مَعِي حَاضِرًا فِي أُنْسِ غَيْبَتِهِ
ورَقْرِقِ الدَّمْعَ إِنْ فَارَقْتَ أَحْيَانا

وَالْثُمْ بِوَجْدِكَ أَعْتَابًا مُقَدَّسَةً

وَادْخُلْ هُـناكَ بَشِـيْرُ السَّعْدِ يَلْقَانا

هَا ذُقْـتَ أوَّلَها فَكَـيْفَ ءَاخِـرُها

وَأَنْـتَ مِنْ قَـطْرَةٍ مَا زِلْتَ وَلْهَانا

وبَـعْدَها لَـمْ تَـقُمْ إلاّ لِدَعْـوَتِـهِ

وَلَسْتَ تَقْبَلُ غَيْرَ الـرُّوْحِ قُـرْبَـانا

وَذا مُصَـلاَّكَ فِـي ذُلٍّ وَفِي طَرَبٍ

كَـأَنَّـهُ أَنْتَ نِـيْـرَانًا ورَيْحَـانا

جَـلَّ الْحَبِـيْبُ رَقِيْبًا أَنْتَ تَطْلُـبُـهُ

فَكَيْفَ تَعْرِفُ بَعْدَ الْوَصْلِ سُـلْوَانا

- وقلتُ في حِمَى سيّدي المرشِدِ الكاملِ الفقيهِ الإمامِ سليم خلَف النقشبندي المعروفِ بِغَوْثِ الدَّخيل رضي الله عنه:

شَرَابِـي نَقْشَبَـنْدِيٌّ عجيبُ

طَهُـورٌ مِـلْؤُهُ نُورٌ وَطِيبُ

رَوَى قلبـي وأَطْرَبَ لِي زَماني

وَذَوَّبَـنِي بِنَـظْرَتِهِ الطبيبُ

سَلِيـمٌ قَـد سَقَـانيهِ سَلِـيمًا

بِكَـفٍّ كيفَما ترمي تُصِيبُ

لَدَى غوثِ الدخيلِ قطعتُ عهدًا

خَـلِيفَتُهُم ومولايَ الحبيبُ

أَمَـدُّوني - كعادَتِهم - كرامٌ

مَـعَـاذَ اللهِ ضيفُهُمُ يَخيبُ

أذاقُـوني الوِصَـالَ وعَـلَّمُوني

بأنّـي دُونَـهمْ فَردٌ، غريبُ

قَرَعْـتُ البابَ مشـتاقًا، فقالوا

مَقامُـكَ عنـدَنا حقًا يَطِيبُ

تَقَـدَّمْ مُخلِصًا في ثوبِ صِدقٍ

وقُـلْ (اللهُ) واتْرُكْ ما يُريبُ

سليمُ الحالِ سلَّـمَ فاعْتَـراني

غِيَـابٌ في غيابٍ لا يغيبُ

سليمُ القـومِ مُبْتَـسِمًا دعاني

فَقُمْـتُ بكلِّ وجدٍ أستجيبُ

أَطُـوفُ بكعبةِ الأمدادِ دهرًا

يُطَـوِّفُني الْمُـرَبّي والرقيبُ
وأَسـلُكُ في طريقِ القومِ دربًا
شديدَ الحَوْلِ ظاهِرُهُ رَطِيبُ
وَزَادي مِن مَـقامٍ زانَ حِمْصا
لَهُ مِـن كُلِّ مَحْمَدَةٍ نصيبُ
يُمِدُّ مُرِيدَهُ بالغَـوثِ سَيْـلاً
ولا فَـرْقٌ بَعِـيدٌ أم قَرِيبُ
فنورُ الشمسِ يسطعُ لو تناءَتْ
فكيفَ سليمُنا الغوثُ العجيبُ

وقد قالَ صلّى اللهُ عليهِ وسلّمَ: (أكثِرُوا ذِكْرَ اللهِ حتى يَقولوا مجنونٌ) رواهُ أحمدُ والحاكمُ وصحّحهُ وابنُ حبانَ وغيرُهم، وصحّحهُ السيوطيُّ وحسّنَه شيخُ الإسلامِ ابنُ حجرٍ في أماليّه وغيرُه، فغيابُ هؤلاءِ الرجالِ، مِن مراتبِ الكمالِ، وصلّى اللهُ على سيّدِنا محمدٍ وعلى الأطهارِ ءالِه وصحبِه لا سيّما الخلفاءِ الأربعةِ والعشرةِ وحِزبِه.تمّت.

المحتويات

نصبُ الأوتاد في الدفاع عن الرفاعيةِ والصوفيةِ الأسياد

إلجامُ مَن تكلّم

ردُّ مَن اعتدى على السيّدِ الصياديِّ أبي الهدى